السيرة الذاتية

للمستشرق الالماني بروكلمان

(١٨٦٨ - ١٩٥٦ م)

الدكتور كامل عياد

١ - مقدمة

نشرت مجلة (أوريانس Oriens) التي تصدرها الجمعية الدولية للدراسات الشرقية في عددها المزدوج (٢٧ - ٢٨) - ليدن ١٩٨١ - ذكريات و ملاحظات كان سجلها المستشرق الكبير الأستاذ (كارل بروكلمان) في سنة ١٩٤٧ ، وبقيت محفوظة لدى أسرته حتى حصل عليها رئيس تحرير المجلة المستشرق الاستاذ (رودولف زلهايم) من جامعة (فرانكفورت/على الماين) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد عرف الأستاذ (زلهايم) أن (الذكريات والملاحظات) لم يكتبها الأستاذ (بروكلمان) بقصد النشر ، بل أراد حفظها لولده الذي يحمل أيضاً اسم (كارل) والذي كان وقع في الأسر عند استسلام الجيش النازي في (ستالينغراد) سنة ١٩٤٣ .

ثم تسربت مؤخراً ، بعد انقطاع طويل ، أخبار عن الابن وعن احتال رجوعه من الأسر . وبالفعل عاد الابن في أوائل الخمسينات وعمل طبيباً في مستشفيات المانيا الغربية قبل أن ينتقل إلى جزيرة (سوماطرا) للعمل فيها دون أن يجتمع بوالده في (هاللة) بالمانيا الشرقية .

كان الأستاذ (بروكلمان) أحيل في سنة ١٩٤٥ على التقاعد من كرسي أستاذية اللغات الشرقية في جامعة (برسلاو) ثم اضطر إلى النزوح عن هذه المدينة التي ضمت إلى (بولونيا) بعد دخول الجيش السوفياتي إليها في تموز من سنة ١٩٤٥ ، وهكذا فقد (بروكلمان) كل ما يملك وانقطع راتبه التقاعدي .

على أنه لما وصل إلى مدينة (هاللة) توسط له رئيس جامعتها المستشرق (آيسفيلد) في تشرين الأول ١٩٤٥ لتولي أمور مكتبة الجمعية الالمانية للمستشرقين والحصول بذلك على مورد للعيش مؤقتاً .

والى (بروكلمان) يرجع الفضل في المحافظة على هذه المكتبة القيمة في مكانها بأمر من الضابط المسؤول في الادارة العسكرية لمنطقة الاحتلال السوفياتية وذلك احتراماً لشخصية العلامة الالماني المشهور .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد أشرف (بروكلمان) على نقل الكتب من مخابئها إلى مقر الجمعية . ويتذكر رواد المكتبة أنهم في شتاء سنة ١٩٤٦ ـ ١٩٤٧ وفي البرد القارس الذي يهبط إلى (٣٠) درجة تحت الصفر كانوا يشاهدون رجلاً متقدماً في السن ملتحفاً بمعطفه الأسود ، جالساً في مدخل المكتبة والى جانبه مدفأة كهربائية تشعل اذا لم يكن التيار الكهربائي مقطوعاً في أكثر الأحيان . هذا الرجل كان الاستاذ (بروكلمان) نفسه الذي قام بإعداد الفهرس لكتب جمعية المستشرقين الالمان ..

في خريف ١٩٤٧ تحرر الأستاذ (بروكلمان) من متاعب أعمال المكتبة اذ عهدت إليه جامعة (مارتين لوثر) في (هاللة) بكرسي أستاذ اللغة التركية ، فتهافت عليه الطلاب الذين كانوا يدرسون معه النصوص التركية والعربية والسريانية والآكادية والحبشية والذين كان يشرح لهم

اشتقاق الكلمات ومقارنتها في مختلف اللغات بالاضافة إلى معلومات غزيرة أدبية وتاريخية كان يجود بها .

كان بين الطلاب الذين التفوا حوله لدراسة اللغة العربية على كتابه (قواعد اللغة العربية) الشاب (رودولف زلهايم) الذي أرسله (بروكلمان) الى المانيا الغربية ، وكلفه بالاشراف على طبع الأجزاء الملحقة من كتاب (تاريخ الآداب العربية) المشهور لدى ناشره في هوللاندا .

جلس (بروكلمان) يوم ١٤ أيلول سنة ١٩٤٧ ، بعد أن بلغ التاسعة والسبعين من العمر وانتهى في عدة ساعات من كتابة سيرته الذاتية معتمداً على ذاكرته دون أن تكون لديه مذكرات مكتوبة . ولا عجب فقد اشتهر (بروكلمان) بقوة عجيبة في التذكر ، و بقدرة فائقة على تركيز أفكاره ، و بطاقة هائلة للعمل . وقد ظلت هذه السيرة الذاتية محفوظة لدى زوجته الثانية التي اقترن بها بعد وفاة زوجته الاولى في سنة (١٩٤٦) والتي كان محتاجاً لرعايتها بعد أن بلغ الثانين من العمر .

ولما جاء تلميذه (زلهايم) ، الذي أصبح استاذاً في فرانكفورت / (على الماين) في زيارة إلى (هاللة) في سنة (١٩٥٨) اطلع على هذه السيرة التي تنازلت زوجة (بروكلمان) عنها إليه .

كان (زلهايم) يعلم بأن أستاذه (بروكلمان) لم يفكر أبداً في نشر ما كتبه عن سيرته الذاتية . ولكنه رأى مع غيره من المستشرقين بأن للأجيال الناشئة كل الحق في معرفة جميع النواحي المتعلقة بهذه الشخصية العلمية الفذة وأن يقرؤوا ما كتبه عن نفسه هذا المستشرق الذي يحتل مكانة عالية في تاريخ علم الاستشراق . وهل هناك من مستشرق على

وجه الأرض لا يعرف اسم (بروكلمان) ولم يرجع إلى مؤلفاته ويحمده على ما يقتبسه عنها من علم سواء في الوقت الحاضر أو المستقبل على الرغم من التقدم العلمي المستمر في دراسة تراث الشرق وازدياد التخصص والتعمق في البحث ؟

٢ ـ أسرة (بروكلمان) ونشأته

يبدأ (بروكلمان) سيرته الذاتية بالكلام على أجداده وفروع أسرته ويذكر بعض أفراد عرفت أسماؤهم منذ القرنين السابع عشر والثامن عشر في مقاطعة (هانوفر) وبالأخص في مدينة (روشتوك) على بحر البلطيق ، حيث ولد (بروكلمان) سنة ١٨٦٨ . وكان والده يميل إلى الزراعة مثل أجداده ولكنه اضطر إلى الاشتغال بالتجارة دون رغبة منه حتى انتهى إلى الافلاس فتولى أعمالاً ادارية بسيطة في مستشفى الجامعة وفي احدى المكتبات ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نشأ (كارل بروكلمان) (Carl Brockelmann) في (روشتوك) ، حيث أتم الدراسة الثانوية (الجمنازيوم) . وهو يذكر أسماء بعض أساتذته الذين عرفوا بالكفاية . ويمدح مدرسي اللغة الالمانية اللذين كان أحدهما يدرس أيضاً اللغة العبرية التي كان تعلمها اختيارياً ، فاختارها (بروكلمان) لأنه ظل خلال فترة قصيرة يفكر في دراسة اللاهوت بالجامعة . الا انه سرعان ما أحب اللغة ذاتها . ولا حظ المدرس اهتمامه بهذه المادة خلافاً لجميع زملائه فأخذ يشجعه و يساعده . ولما أثبت تفوقه في فحص الشهادة الثانوية اتصل مدرسه بأستاذ اللغات الشرقية في الجامعة لتقديم التوصية بشأنه ، وبالفعل كان للاستاذ (فيليبي) أكبر الأثر في مجرى حياة (بروكلمان) .

ويشكو (بروكلمان) من مدرس اللغتين الفرنسية والانكليزية الذي لم يتعلم التلاميذ منه شيئاً . فقد كان من خريجي معاهد اليسوعيين ، لفق كثيراً من الكتب التافهة وفرض على التلاميذ مراجعتها في حين كان يقضي دوماً نصف ساعة الدرس في الثرثرة ورواية حوادث البلدة .

وقد خص (بروكلمان) بالذكر مدرسين في الصفوف الوسطى : أحدهما مدرس اللغة الالمانية (كرن) الذي لمع اسمه اذ ذاك بين كتاب الشباب المحبوبين ، والذي كانت قصصه ورواياته تلهب خيال الناشئين وتغذي ميولهم إلى المغامرات في بلاد الشرق البعيدة . أما المدرس الثاني فهو الدكتور (شتريليتس) المتميز في اللغات الكلاسيكية (اليونانية واللاتينية) وهو ، على الرغم من كونه (يهودياً) ورغم ضؤولة مظهره كان قادراً على فرض النظام في الصف .

يقول (بروكلمان) : « منذ الصفوف العليا الاولى بدأت تظهر بوضوح ميولي التي ظلت تسيطر على حياتي . فقد كانت لنا في المدرسة اذ ذاك حلقة للقراءة تجتمع مرتين كل اسبوع ، فكنا نأتي كل يوم أربعاء بمجلة (غلوبوس) ، وكل يوم سبت بمجلة (البلاد الأجنبية) ، وهما المجلتان الرائدتان في تلك الفترة التي كانت ما زالت تشهد تعاقب الاكتشافات الجغرافية الكبيرة في آسيا وافريقيا . وبتأثير ذلك اتجه خيالي مبكراً نحو الشرق . وكان اهتمامي مركزاً في الدرجة الأولى على المعلومات اللغوية التي يرد ذكرها في المجلتين . وبالاستناد إلى ذلك قمت ، وأنا في الصف الثانوي قبل الأخير ، بوضع قواعد لهجة (البانتو) السائدة في المستعمرة البرتغالية (أنغولا) . وكانت أكبر أمنيتي أن أعيش فيا وراء البحار . ومما كان يدفعني إلى ذلك الأوضاع السيئة في (روشتوك) . فقد كانت الحياة التجارية في الحضيض ، وكان التجار الموهوبون يسعون إلى

خارج البلاد ، وكنا نسمع كثيراً عن أبناء جيراننا الذين كانوا يمارسون التجارة أو ادارة الشركات في أمريكا الجنوبية أو في روسيا ، وعن الذين أصبحوا أغنياء . وعلمت مثلاً أن اثنين من زملائي التلاميذ قاما بتأسيس شركة للتصدير في (شانغهاي) .

ولكن من المؤسف أنه لم تكن لدي أي ميول أو مواهب تجارية . ولذلك فكرت أحياناً في دراسة اللاهوت ثم القيام بأعمال التبشير . وكان يخطر لي في بعض الأوقات دراسة الطب حتى أصبح طبيباً في البحرية فأتمكن من الرحيل إلى كثير من أنحاء العالم .

وفي الأخير تغلبت اهتماماتي اللغوية على كل الاتجاهات الأخرى . فقد كنت ، بعد أن تعلمت اللغة العبرية ، بدأت في الحال دراسة الآرامية ـ الانجيلية التي وضعت لها القواعد النحوية بنفسي ، كما تعلمت وأنا في الصف الثانوي الأخير اللغة السريانية ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عندما انتهيت من فحوص الدراسة الثانوية في سنة ١٨٨٦ كان قد تم

تأسيس معهد الاستشراق في برلين لاعداد التراجمة المطلوبين في خدمة السفارات والقنصليات ، وكذلك العمل في مستعمراتنا ، وقد بدا لي أن هذه هي الطريق الصحيحة بالنسبة لمستقبلي ، واعتقدت انه يحسن بي دراسة اللغات الشرقية في المعهد الجديد . ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث لحسن الحظ . فإن التراجمة الذين تعرفت عليهم فيما بعد كانوا ، في أثناء أعمالهم الرتيبة ، قد فقدوا كل اهتمام علمي ولم يكتب لهم التقدم في مسلك حياتهم ماعدا واحداً منهم هو (فريتس روزن) الذي أصبح سفيراً ، بل تولى في عهد الجمهورية وزارة الخارجية مدة ستة أشهر .

إن (بروكلمان) يذكر فضل والدته التي كانت تطلب منه ، وهو في

المدرسة ، أن يقرأ لها مؤلفات جميع الكتاب الألمان (الكلاسيكيين) بالاضافة الى الروايات المرغوبة في ذلك الوقت وعلى الأخص الروايات التاريخية فكان لهذه القراءات أثر في توسيع ثقافته العامة .

ثم يروي (بروكلمان) كيف كان يخرج أيام الأحد للنزهة مع والده ويتحدث اليه عن مشاريعه للمستقبل . ولكن والده اضطر بعد مدة قصيرة أن يعترف له بعجزه عن مساعدته على دخول الجامعة وتحقيق أهدافه ، وأن عليه بعد الآن الاعتماد على نفسه فقط .

٣ ـ الدراسة الجامعية والكفاح في سبيل العيش

يقول (بروكلمان) : « لما » سجلت » بجامعة (روشتوك) في عيد الفصح سنة ١٨٨٦ انتقيت ، عدا اللغات الشرقية ، مادتي اللغات الكلاسيكية والتاريخ حتى يتسنى لي في يوم ما التقدم إلى فحص (أهلية التعليم الثانوي) لأن الاختصاص في اللغات الشرقية لم يكن ، كما بدا لي ، كافياً وحده لضمان العمل في المستقبل » .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثم يذكر (بروكلمان) انه بدأ دراسة اللغتين العربية والحبشية على الاستاذ (فيليبي) الذي استطاع ، عندما اطلع على ظروف أسرة (بروكلمان) المادية السيئة ، أن يحصل له على أكبر منحة دراسية مخصصة للتوزيع اذ ذاك تبلغ (٧٥٠) مارك في السنة دون اشتراط الدراسة في مدينة (روشتوك) ذاتها . وبعد ذلك نصحه أستاذه بالانتقال إلى (برسلاو) ومتابعة دروس صديقه الاستاذ (بريتوريوس) .

يقول (بروكلمان) بعد انتقاله في عيد الفصح سنة ١٨٨٧ إلى (برسلاو) : « كانت المعيشة في (برسلاو) رخيصة ، فلم اضطر إلى العمل لكسب بعض المال الا في الفصل التالي ، و ذلك عن طريق

الدروس الخاصة بأغنياء اليهود الذين كانوا يحرصون على تعليم أولادهم اللغة العبرية . وقد درست في (برسلاو) مدة فصلين اللغات الشرقية لدى الاستاذ (بريتوريوس) وعلى الاستاذ بلا كرسي (فرنكل) ، وهو يهودي فطن جداً تتلمذ على (بريتوريوس) وعلى (نولدكه) . كذلك تابعت محاضرات (فرنكل) عن (التلمود) التي كان يلقيها على طلاب معهد (الحاخامين) . »

ويذكر (بروكلمان) ان (فرنكل) وصى به طبيب العيون (كوهن) الذي كان يرغب في زيارة (استانبول) مرة ثانية وطلب معلماً للغة التركية ، وكان (بروكلمان) بدأ دراسة هذه اللغة بنفسه ، فقبل العمل مدة ساعة في الاسبوع مقابل أجر حسن ، ولكن عمله اقتصر في الواقع على مجالسة (كوهن) لاحتساء القهوة معه والتدخين والاستماع إلى أحاديثه عن استانبول لتصحيح بعض الكلمات والتعابير ، لأن (كوهن) لم يكن حقاً يريد تعلم اللغة التركية وإنما اعتبر هذه الدروس نوعاً من الدعاية ..

ثم انتقل (بروكلمان) في عيد الفصح سنة (١٨٨٨) بنصيحة من استاذيه (فيليبي) و (بريتوريوس) إلى (شتراسبورغ) لتلقي العلم عن الاستاذ (نولدكه) ، أشهر مستشرق في ذلك الوقت . ويقول (بروكلمان) إنه بالفعل قد تعلم الكثير من (نولدكه) . وقد تركزت دراسته في الفصل الأول على اللغات الشرقية لدى (نولدكه) بالاضافة إلى اللغة (السانسكريتية) عند (هوبشمان) ثم (الأرمنية) و (المصرية) عند (دوميشن) . وكان هؤلاء الاساتذة يدرسون في بيوتهم لقلة الطلاب ، وكان (بروكلمان) يحضر في الغالب وحده عند (نولدكه) ، ويرافقه راهبان أرمنيان عند (هوبشمان) . ويلاحظ

(بروكلمان) قائلاً : « كانت محاضرات (هوبشمان) شائقة ، مثيرة للاهتمام حتى إنني فكرت حيناً في الانتقال إلى التخصص باللغات الهندية ـ الجرمانية عوضاً عن الشرقية ، ولكن الاستاذ (هوبشمان) نصحني بالتخلي عن هذه الفكرة لأن جميع الكراسي في هذا القسم كان يتولاها في ذلك الوقت مدرسون في سن الشباب ولا أمل لذلك في الحصول على كرسي في القريب . »

يذكر (بروكلمان) ان المعيشة في (شتراسبورغ) كانت أغلى بكثير مما في (برسلاو) وانه لقي صعوبات كبيرة في أمر المسكن والطعام . ويبدو أن احد زملائه تحدث عن ضيق حاله الى الأستاذ (نولدكه) الذي استطاع أن يحصل له على منحة جيدة من إحدى المؤسسات الوقفية والذي نصحه في الوقت ذاته بأن يعود إلى دراسة اللغات الكلاسيكية والتاريخ حتى يضمن معيشته في المستقبل .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

كذلك قام (نولدكه) في شتاء سنة ١٨٨٩ ـ ١٨٩٠ بترتيب جائزة عن موضوع طلب إلى (بروكلمان) معالجته ، واستجابة لذلك كتب (بروكلمان) أطروحته وعنوانها : « العلاقة بين كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير وكتاب أخبار الرسل والملوك للطبري » فنالت الجائزة التي ساعدته على طبع الأطروحة (شتراسبورغ سنة ١٨٩٠) والتقدم بها إلى الجامعة لنيل الشهادة وحق التدريس ...

وفي فصل الصيف (١٨٩٠) حصل (بروكلمان) على وظيفة معلم خاص مقابل المسكن والطعام مع راتب شهري يبلغ (١٠٠) مارك وبذلك تمكن من التقدم إلى (امتحانات الدولة لنيل شهادة أهلية التعليم الثانوي) وبدأ التدريس في المدرسة الثانوية البروتستانتية في

(شتراسبورغ) لمدة سنة تجريبية . وقد عهد إليه بساعات اضافية عديدة في مختلف الصفوف ، ثم عين في بداية عام ١٨٩١ معلماً مساعداً براتب (١٠٠ مارك) كما ظل يسعى إلى إعطاء دروس خاصة لتوفير بعض المال الذي سوف يحتاج إليه عندما يعين « مدرساً خاصاً » في احدى الجامعات .

[ملاحظة : ان نظام الجامعات الالمانية ، الموروث عن القرون الوسطى ، كان اذ ذاك ولا يزال الآن مختلفاً عن سائر الأنظمة الغربية في تصنيف المدرسين وترتيب درجاتهم وأسلوب ترفيعهم ، اذ يقضي بأن يبدأ الأساتذة بلقب (مدرس خاص) لا يتقاضى راتباً ثابتاً وإنما يتلقى أحياناً منحة دراسية كما يحصل على مبلغ من الرسوم التي يدفعها الطلاب الذين يستمعون إلى محاضراته وهذا المبلغ يزيد أو ينقص حسب عدد الطلاب .]

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شعر (بروكلمان) في خريف سنة ١٨٩٢ بضرورة اتخاذ قرار فيما يتعلق بمستقبله ومهنته . وقد أدرك انه ليس هناك من أمل في أن يحصل على وظيفة مدرس دائم في (الثانوية البروتستانتية) التي كان يقوم بتدريس ساعات اضافية فيها ، وذلك لأنه لم يكن هناك مكان شاغر اذ ذاك ، عدا ان ادارة المدرسة لم تكن ترغب في تعيينه لمعرفتها باهتماماته العلمية وتجاربها السابقة مع المدرسين الذين ينتظرون أول فرصة للانتقال إلى الجامعة .

يقول (بروكلمان) : « لما طلبت المشورة من الاستاذ (نولدكه) في التقدم إلى التدريس في جامعة (شتراسبورغ) نصحني بالتخلي عن ذلك لأن هذه الجامعة لا تقدم أي منحة للمدرسين الخاصين عدا أن شخصاً

اختصاصياً في اللغة الآشورية تقدم إلى قسم اللغات الشرقية ثم تقدم بعد مدة مدرس للغة العربية .

وهكذا اتجهت إلى الأستاذ (بريتوريوس) في (برسلاو) أسأله عن رأيه في العمل تحت رعايته فلم يعارض .

٤ ـ « مدرس خاص » في (برسلاو) و (برلين) (١٨٩٣ ـ ١٩٠٠)

انتقل (بروكلمان) في تشرين الثاني ١٨٩٢ إلى (برسلاو) وتقدم إلى الجامعة باطروحة لنيل حق التدريس ، كان موضوعها تحقيق مخطوطة في مكتبة برلين (لعبد الرحمن أبي الفرج بن الجوزي) عنوانها « تلقيح فهوم أهل الآثار في مختصر السير والأخبار » . وقد تأخر تعيينه عدة أشهر لأن الاطروحة كان يجب أولاً طبعها في (ليدن) بهولاندا ، ثم لأن عميد الكلية (كارو) اليهودي لم يظهر اهتماماً خاصاً بالأمر بل كان ينتظر أن يتولى المدرس اليهودي (فرنكل) كرسي اللغة العربية بعد انتقال (بريتوريوس) إلى جامعة (هاللة) .

ويعترف (بروكلمان) ، الذي عين مدرساً خاصاً ، في أول سنة ١٨٩٣ ، أن الأستاذ (فرنكل) لم يحاول ، بعد وصوله إلى المنصب ، أن يثير العراقيل والمصاعب في طريقه ، بل كان يكتفي بأن يزوره مرة أو مرتين خلال الفصل الدراسي . ثم يقول (بروكلمان) :

« كانت مهنة التعليم في (برسلاو) لمستشرق مثلي تدعو إلى الرضى من حيث الدخل ، اذ كان هناك ، بالاضافة إلى (كلية اللاهوت الكاثوليكية) معهد للحاخامين اليهود يقصده عدد كبير من الطلاب الذين يدرسون اللغات السريانية والعبرية والعربية ، ويدفعون الرسوم المقررة لتأمين رواتب المدرسين الخاصين . »

يذكر (بروكلمان) انه توقف عن التدريس في فصل الشتاء سنة ١٨٩٥ ـ ١٨٩٦ للقيام برحلة الى (لندن) واستنساخ مخطوطة أحد اجزاء (كتاب الطبقات الكبير) لابن سعد ، الذي كان المجمع العلمي في (بروسيا) قرر نشره بإشراف الأستاذ (ساخاو) الذي كلف عدداً من المستشرقين الشباب بالتعاون معه . [المقصود بذلك هو الجزء الثامن من الطبقات المتضمن تراجم النساء . وقد طبع في ليدن سنة ١٩٠٤] .

وفي الوقت نفسه أراد (بروكلمان) أن يحقق وينشر مؤلفاً آخر هو (كتاب عيون الأخبار) لابن قتيبة ، وكان قد استنسخ من قبل مخطوطة للكتاب استجلبها من (بطرسبورغ) ، ولكن تبين له أنها ناقصة وعلم أن النسخة الوحيدة الكاملة موجودة في (استانبول) فقرر متابعة رحلته إلى هناك وكان من الصعب أن يستنسخ المخطوطة بسرعة في مكتبة (كوبريلي) التي لم تكن تفتح أبوابها إلا بضعة أيام في الأسبوع ولمدة ساعتين فقط ، لذلك لجأ (بروكلمان) إلى السفارة الالمانية التي توسطت لدى مدير المكتبات العام في سبيل استعارة المخطوطة ، خلافاً للنظام ، ونسخها في دار السفارة . [وقد طبع الكتاب في أربعة أجزاء في (برلين) و (شتراسبورغ) بين سنة ١٩٠٠ ـ ١٩٠٨]

تعرف (بروكلمان) في سنة (١٨٩٧) على السيدة التي أصبحت زوجته فيما بعد . إلا ان أحواله المالية لم تكن لتسمح له في ذلك الوقت بالارتباط بها فوراً . ولما كان راتب (المدرس الخاص) لايعتمد عليه في تكوين أسرة أدرك (بروكلمان) ضرورة السعي للوصول إلى منصب أستاذ في الجامعة . ولكن لما مات أستاذه المستشرق (فيليبي) الذي كان يأمل في احتلال مكانه ، استدعت الجامعة إلى الكرسي الشاغر أحد الاختصاصيين في اللغة (السانسكريتية) خلافاً للتقاليد ، فأصيب

(بروكلمان) بخيبة الأمل ، وأخذ يفكر في التخلي عن السلك الجامعي وقد راودته الآمال بعض الوقت في الحصول على وظيفة (مدير للمكتبة الوطنية) في القاهرة التي كانت دوماً ، منذ تأسيسها يعهد بها إلى أحد المستشرقين الآلمان ، ولكن رئيس معهد الاستشراق الأستاذ (ساخاو) أسرع إلى تعيين أحد أتباعه في هذا المنصب . ثم تقدم (بروكلمان) في صيف سنة ١٨٩٩ إلى وظيفة مدرس ثانوي أعلنت عنها مدينة (مونيخ) ويقول (بروكلمان) : « لحسن الحظ لم يقبل طلبي لأن حكومة (بافاريا) كانت بطبيعة الحال ترغب في تعيين مدرس (كاثوليكي) . »

ثم يضيف قائلاً : « وأخيراً جاء الفرج فجأة في أوائل سنة ١٩٠٠ ، فقد توفي اذ ذاك ، في سن مبكرة ، الاستاذ (سوسين) صاحب كرسي اللغات الشرقية في (لايبزيغ) واقترح لخلافته (المدرس الخاص) في (هاللة) ، المستشرق (فيشر) الذي يكبرني ثلاث سنوات والذي كان يعلم اللغة العربية منذ أربع سنوات بمعهد الاستشراق في برلين ، وطلب الي اشغال مكانه ، فانتقلت في الربيع الى (برلين) واقتصرت على استئجار مسكن مؤقت لأنه كان من المنتظر أن يشغر قريباً منصبان آخران في الجامعات . »

« كان معهد الاستشراق تابعاً للجامعة ولكنه يخضع في الوقت نفسه لإشراف وزارة الخارجية ، ولهذا السبب كان يتمتع بميزات مالية . فعلى الرغم من أن وظيفتي كانت على سبيل الوكالة فقد زاد دخلي إلى ثلاثة أمثال ما كان عليه . »

« ان الاستاذ (ساخاو) الذي أسس المعهد في سنة (١٨٨٦) اصطدم بمشاكل كثيرة من جراء حبه للتسلط والاستبداد ، فلم تمض مدة طويلة حتى اضطر المدرسون الأوائل الذين تم اختيارهم إلى التخلي عن العمل في

المعهد . وكان مدرس اللغة العربية العالم الكبير (مارتين هارتمان) الذي عاش مدة (١٦) عاماً في بيروت يعمل ترجماناً ونشر أبحاثاً كثيرة عن العالم العربي . ولم يستطع (ساخاو) أن يفرض عليه ارادته أو أن يبعده عن المعهد . ولكنه لجأ إلى تعيين مدرسين آخرين للغة العربية عهد إليها بجميع المواد الدراسية وهكذا ظل (هارتمان) يتقاضى راتباً عالياً ويتمتع بأوقات فراغ طويلة استغلها للقيام برحلات عديدة إلى الشرق . »

يلاحظ (بروكلمان) أن (مراكش) كانت إذ ذاك ، مع الأسف ، تحتل مكانة خاصة في سياسة المانيا الخارجية حتى أصبحت فيا بعد من أهم أسباب الحرب العالمية الأولى لأنها أدت إلى الاصطدام مع الفرنسيين .

ARCHIVE

وقد عهد إلى (بروكلمان) بتعليم اللهجة المراكشية التي كانت غريبة عليه وكان لا بدّ له من تعلمها مستعيناً بمعيد مراكشي ، كان تاجراً غير مثقف من الرباط ولكنه كان نبيهاً ، مجتهداً وقد سبق أن دربه الاستاذ (فيشر) على متطلبات وظيفته . فكان (بروكلمان) يجلس معه كل يوم أربع ساعات حتى يتعب من الكلام . وكان على (بروكلمان) أن يقوم بالتعليم مدة ساعتين يومياً . ولحسن الحظ لم يكن هناك سوى ثلاثة طلاب أحدهم من الحقوقيين اعترف بأنه لم يتقدم إلى معهد الاستشراق إلا للخلاص من التعيين في الارياف . واستطاع الطالب الثاني في آخر الفصل الدراسي أداء الامتحان فاستخدم في شركة (مانسمان) التي كانت تستثمر بعض المناجم في (مراكش) ، أما الطالب الثالث فكان شاباً يهودياً تخصص في اللغة المصرية القديمة .

ويتابع (بروكلمان قائلاً : « ان انشغالي بالمعيد المراكشي لم يترك مجالاً للاهتمام بالمعيدين العرب الآخرين الذين كان بينهم مدرس مصري

برز فيا بعد في حياة بلاده السياسية . وكان هناك زنجي من الحوساء يتكلم اللهجة التونسية عدا لغته الأصلية . اما المعيد لتعليم اللهجة السورية الذي لم يكن لديه طلاب يتولى أمرهم فكان يتيماً مسيحياً لجأ إلى المانيا في أثناء مذابح سنة ١٨٦٨ بدمشق وحصل على الجنسية الالمانية وعين كاتباً في بلدية (برلين) .

كانت لهجات المعيدين العرب مختلف بعضها عن الآخر إلى درجة يصعب معها التفاهم فيا بينهم فيضطرون إلى التحدث بالالمانية . »

٥ ـ أستاذ بلا كرسي في (برسلاو) (١٩٠٠ ـ ١٩٠٣)

« في نهاية صيف سنة ١٩٠٠ عرضت علي في وقت واحد وظيفة أستاذ بلا كرسي في جامعة (أرلانغن) ومثلها في جامعة (برسلاو) . لم يكن الاختيار سهلاً لأن جامعة (أرلانغن) اقترحت راتباً يزيد بمقدار (٨٠٠) مارك ، عن (برسلاو) . ولما استشرت موظفاً في وزارة التعليم أعرفه جيداً إذ كان قبلاً استاذاً في (برسلاو) ، نصحني بعدم الذهاب إلى (أرلانغن) لأنه لم يكن هناك كرسي أستاذ يمكن أن يشغر الا في « مونيخ » وهو الكرسي الذي ظل الاستاذ (هو ممل) يشغله أكثر من (٢٥) عاماً بعد ذلك التاريخ . »

« ثم عرض علي معهد الاستشراق وظيفة ثابتة عوضاً عن الوكالة وبراتب يبلغ ضعف الراتب الذي ينتظرني في جامعة (برسلاو) . ولكن العمل في المعهد كان يعني الخضوع لسيطرة الأستاذ (ساخاو) الذي رفض طلب الأستاذ (فيشر) للتدريس في جامعة (برلين) كا لم يقبل أيضاً أن أتقدم باطروحة لنيل هذا الحق . »

يقول (بروكلمان) : « هكذا استقر رأيي على قبول العمل في جامعة

(برسلاو) . وربما كانت فكرة السكنى في مدينة واحدة مع المرأة التي صممت على الاقتران بها من الحوافز الدافعة إلى هذا الاختيار . وعلى كل حال أثبتت لي الأيام صحة رأي صديقي . »

« وقد تبين لي أن منصب أستاذ بلا كرسي أسهل وألطف وظيفة جامعية . ولم أفهم لماذا ألغيت هذه المرتبة فيما بعد . إن صاحب هذا المنصب كان موظفاً براتب ثابت وان لم يكن مرتفعاً وكانت واجباته تقتصر على التعليم دون الاشتراك في أعمال الجامعة الادارية التي تؤدي إلى إضاعة كثير من الوقت . »

وقد التقى (بروكلمان) في (برسلاو) بعدد من أصدقائه القدماء كما كان يحضر حلقتين علميتين للمناقشة والقاء المحاضرات . وكانت احدى الحلقتين مؤلفة ، من الأساتذة أصحاب الكراسي الذين قرروا أن لا يقبلوا بينهم يهودياً بعد تجارب مؤسفة لهم مع مدرس كيمياء يهودي من أصحاب الملايين . عند ذلك اتفق عدد من الأساتذة اليهود على تأسيس حلقة ثانية دعوا إليها بعض المسيحيين ، بينهم (بروكلمان) وصديق آخر . وكان (بروكلمان) يرغب بالدرجة الأولى في الاجتماع بالمدرسين المشتغلين بعلوم الاستشراق . وقد حدد يوماً معيناً في الأسبوع لدراسة اللغة القبطية مع أستاذين متخصصين . ويشير (بروكلمان) إلى التجارب والفوائد الكثيرة التي اكتسبها في هذه الاجتماعات .

٦ ـ الانتقال إلى (كونيكسبرغ) في منصب أستاذ ذي كرسي (١٩٠٣ ـ ١٩١٠)

يقول (بروكلمان) : « في شتاء ١٩٠٢ ـ ١٩٠٣ طلب صاحب كرسي اللغات الشرقية في جامعة (كونيكسبرغ) الاستاذ (يان) إحالته على التقاعد قبل بلوغ المدة القانونية ، إذ كان غنياً وسبق له أن عاش في (برلين) وهو شاب منتقلاً بين أندية الرّقص فأراد العودة إلى حياة

الراحة واللهو . وعلى الرغم من أن علاقاتنا لم تكن حسنة منذ التقائي به مدة قصيرة في (استانبول) عند البحث في المخطوطات فإنه لم يستطع أن يعارض ترشيحي للحلول مكانه . وهكذا انتقلت في ربيع (سنة ١٩٠٣) إلى (كونيكسبرغ) وتوليتُ منصب كرسي اللغات الشرقية . لم يكن راتبي قد ازداد كثيراً في بادئ الأمر ، ولكن أصبح في استطاعتي الآن الاقدام على الزواج بالمرأة المختارة ، الا أنني لم أجسر على دعوتها إلى السكنى في هذه المدينة بسبب قساوة اقليمها ، عدا أن أملي كان كبيراً إذ ذاك في الانتقال بسرعة إلى (ماربورغ) . »

ظل (بروكلمان) استاذاً في (كونيكسبرغ) مدة سبع سنوات وعاش مع عدد من الزملاء الذين استرسل في وصفهم ولكنه لم يشترك كثيراً في حياتهم الاجتماعية ، كما لم يكن راضياً عن نشاطه في التعليم لأن سلفه لم يترك له من الطلاب سوى عدد قليل من اليهود الشرقيين الذين كانوا يتسابقون إلى نيل الاجازة ، فكان يثير العراقيل في سبيلهم للخلاص منهم بسرعة .

وكان (بروكلمان) يقضي فترات العطلة الجامعية في الأسفار . وقد رافق مرة صديقه (روزن) إلى ايطاليا التي تكررت رحلاته إليها بعد ذلك . وفي عطلة عيد الفصح سنة (١٩٠٥) اشترك في مؤتمر المستشرقين بالجزائر وكان يرغب في زيارة (مراكش) حسب البرنامج الذي أعلنه المؤتمر ولكن السلطات الفرنسية لم تسمح بذلك لتوتر العلاقات بين فرنسا والمانيا في تلك الفترة بسبب حادثة (أغادير) . فقام برحلة إلى واحة (بسكرة) في الصحراء التي سكن فيها (ابن خلدون) عند تأليف المقدمة . وفي طريق العودة إلى المانيا زار في (شتراسبورغ) استاذه (نولدكه) الذي كان تقدم في السن كثيراً .

ثم اشترك (بروكلمان) في مؤتمر المستشرقين المنعقد سنة ١٩٠٨ في (كوبنهاغن) بدعوة من رئيس المؤتمر المستشرق الدانيماركي (بول Buhl) الذي أصر على أن يعهد إليه برئاسة فرع اللغات السامية . ويقول (بروكلمان) : « لم تكن هذه المهمة مستحسنة لأنها كانت ترغمني على حضور الجلسات جميعها ولأن المناقشات تخللتها حوادث شغب مؤسفة إذ حاول أحد الاميريكين الالمان اسمه (هاوبت) ، في خطاب ألقاه أن يبرهن على أن المسيح لم يكن يهودياً ، بل كان من العرق الآري . وقد أثار هذا القول عاصفة من الاستنكار لدى اليهود الكثيرين الحاضرين الذين كانوا يكفرون بالمسيح ولكنهم لم يكونوا يريدون فقدان هذا الرجل المشهور من جملة أبناء جنسهم . وعدا ذلك اصطدمت مع أحد رجال اللاهوت الكاثوليك من (شتراسبورغ) اسمه (فولهاير) ، وهو الذي أصبح رئيس أساقفة (مونيخ) فيما بعد ، اتهمني بالاعتداء على حرية الكلام ويمنعه عن إبداء آرائه كما يشتهي » .

ويتابع (بروكلمان) سيرته قائلاً :

« إن السنوات السبع في (كونيكسبرغ) كان يمكن أن تصبح أسوأ مما وصفت لو لم أكن في تلك الفترة منهمكاً كلياً في تأليف أحب كتاب الي من سائر كتبي ، وأعني بذلك (كتاب الأساس في قواعد اللغات السامية المقارنة) الذي طبع في برلين ، الجزء الأول سنة (١٩٠٧) والجزء الثاني (١٩١٣) ، ومن المؤسف أن الكتاب لم يطبع ثانية لأن دار النشر (رويتر ورايخارد) أغلقت بعد موت صاحبها الرئيسي . وقد قام اثنان من الزملاء الفرنسيين بترجمة ملخص للكتاب حاولا فيه مراعاة متطلبات التعليم في المعاهد الاستعمارية الفرنسية . »

ويذكر الأستاذ (زهايم) على الهامش ان (بروكلمان) كان قام في الوقت نفسه بتأليف كتاب صغير ضمن سلسلة كتب (غوشن) بعنوان « علم اللغات السامية » صدرت الطبعة الأولى منه في (برلين) سنة ١٩٠٦ والطبعة الثانية المنقحة سنة ١٩١٦ . ثم انتهى (بروكلمان) من الاعداد لطبعة ثالثة وكتب في أوائل ١٩٥١ إلى (زهايم) بفرانكفورت يخبره أن مخطوطة هذه الطبعة موجودة لدى دار النشر منذ سنة دون أن يتم طبعها . ويلاحظ الأستاذ (فوك) في كتابه عن المستشرقين ان (بروكلمان) قام في السنوات العشر الأخيرة من حياته بإعداد طبعة جديدة للكتاب تتلاءم مع التقدم العلمي ويراعى فيه قبل كل شيء لغة (اوغاريت) . وفي حين يدعي (فوك) أن هذا المشروع لم ينفذ ، يقول (زهايم) ان مخطوطة (كتاب الاساس) ومخطوطة الأجزاء الملحقة من كتاب (تاريخ الآداب العربية) موجودة وقد اخترقها الرصاص ، ملقاة في (هاللة) دون أن يستفاد منها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.sakhrit.com

يروي (بروكلمان) انه تزوج في خريف سنة ١٩٠٩ وقضى شهر العسل في أحد منتجعات (بافاريا) ثم عاد إلى عمله في (كونيكسبرغ) و بقي هناك في فصل الشتاء الذي كان لحسن الحظ معتدلاً ..

٧ ـ الانتقال إلى (هاللة) (١٩١٠ ـ ١٩٢٢)

في كانون الأول سنة ١٩٠٩ تلقى (بروكلمان) دعوة إلى تولي كرسي أستاذ اللغات الشرقية في جامعة (هاللة) الذي تخلى عنه أستاذه (بريتوريوس) مفضلاً احتلال مكان الأستاذ (فرنكل) بعد موته في (برسلاو) . وقد انتقل (بروكلمان) في بداية سنة ١٩١٠ إلى (هاللة) حيث ظل يعمل مدة (١٢) عاماً (من ١٩١٠ ـ ١٩٢٢) وحيث رزق ابنته ثم ابنه .

يقول (بروكلمان) عن عمله الجامعي في (هاللة) :

« ان ظروف وظيفتي في (هـاللـة) كانت أفضـل بكثير ممـا في (كونيكسبرغ) فقـد لقيت هنـا عـدداً من الطلاب الموهـوبين والمستمعين المهتين باللغات الشرقيـة . ولما أرسل الأستـاذ (مـاينهوف) ، المتخصص باللغات الافريقيـة في (هـامبورغ) يسـألني ترشيح أحد طلابي لوظيفـة أستاذ مساعد ذكرت له اسم (كلينكن هيبل) الذي أصبح فيا بعد خليفة (مـاينهوف) في (هـامبورغ) ، ثم ظهر في الفصـل الـدراسي التـالي بين الطلاب (هلموت ريتر) الذي كان لاهوتياً موهوباً ولكنـه انتقل بسرعـة إلى فرع اللغـات الشرقيـة وهو الـذي رشحتـه ليكـون مسـاعـداً للأستـاذ (بيكر) في (هامبورغ) . وقد تولى خلال الحرب العالمية الأولى وظيفـة ترجمان في الشرق لمـدة سنتين ثم أصبح خليفـة (بيكر) في جـامعـة (هامبورغ) . ولكنـه ، مع الأسف ، ارتكب بعض الأعمال الشـاذة التي أدت إلى فصلـه عن العمل ، وقـد عـاش منـذ ذلـك الوقت في اسـتـانبـول حيث قام في بادئ الأمر بادارة فرع (جمعية المستشرقين الالمان) هنـاك ثم عين أستاذاً في جامعة (استانبول) فـاستطـاع انجاز كثير من الأعمـال البـاهرة . وقد أضـاف (بروكلمان) على هـامش مخطـوطتـه الملاحظـة التالية : عندما سرح الأتراك جميع الأسـاتـذة الالمان في سنـة ١٩٤٧ جـاء (ريتر) إلى المانيا ولكن الدسـائس حـالت دون إعـادتـه إلى وظيفتـه في جامعة (هامبورغ) ، لذلك شعر بالفرح لما استـدعي في سنـة ١٩٤٩ إلى التدريس في جامعة(فرانكفورت / ماين) .

يتحدث (بروكلمان) بـالتفصيل عن انـدلاع الحرب العـالميـة الأولى (١٩١٤) التي كانت مفاجئة للطبقـة (البورجوازيـة) كافـة . ويقول : « فقد كان الكثيرون يشعرون بالاستياء من هزائم المانيا الـدبلومـاسيـة في

قضية (مراكش) وظلوا يتابعون سياستنا في الشرق بكثير من الارتياب والقلق ولكن دون أن يدركوا ان هذه السياسة كانت تمهد لمسيرة الشعب الالماني في طريق الموت ، كما قال أحد المؤرخين الحديثين . ولم يكن ذلك رأي أساتذة الجامعات فقط ، الذين يوصفون بالبعد عن واقع الحياة ومجرى الأحداث . فقد صرح مثلاً صاحب أكبر مصرف في (هاللة) اذ ذاك بعد أيام قليلة من نشوب الحرب بأنها لن تدوم أكثر من أربعة أسابيع (وذلك حسب رأيه) بسبب تشابك المصالح الدولية ـ الرأسمالية . »

كانت الحرب في بادئ الأمر تسير سيراً حسناً يبعث على التفاؤل ، ولم يبدأ الناس يشعرون بالقلق على المستقبل الا بعد مرور سنتين عندما ازدادت المشاكل الاقتصادية والقيود المفروضة على شروط الحياة .

كان على (بروكلمان) في السنة الثالثة من مجيئه إلى (هاللة) أن يتولى عمادة الكلية التي كان يتجدد انتخاب صاحبها في كل فصل دراسي . وفي حين كان هذا المنصب يدر دخلاً جيداً في المعتاد تضاءلت وارداته كثيراً خلال الحرب .

ثم ماكاد (بروكلمان) في صيف سنة ١٩١٨ ينتخب رئيساً لجامعة (هاللة) حتى أخذت المشاكل الاقتصادية والادارية تزداد بسبب انهيار المانيا العسكري وتدفق الجنود العائدين من ساحات الحرب واندلاع الثورات والاضطرابات في كل مكان .

كان الاستياء شديداً في الجامعة ضد مدير المكتبة في ذلك الوقت حتى ان مجلس الجامعة قرر تكليف الرئيس (بروكلمان) مع أحد أساتذة التاريخ بالذهاب إلى برلين وتقديم الشكوى شخصياً . ولكن من المؤسف

أن مدير المكتبة كان يتمتع بحماية الوزير . ولذلك عندما عقد الاجتماع في الوزارة ، حيث انضم إلى الوفد المستشرق الأستاذ (بيكر) الذي كان يشرف على أمور الجامعات في الوزارة ، لم يستطع اقناع الوزير بسوء تصرفات مدير المكتبة . فبقي هذا المدير في وظيفته ولم تتمكن الوزارة من إثبات فساده الا بعد سنتين من وفاته ..

يقول (بروكلمان) : « لم تمض أيام على اندلاع الثورة على الامبراطور في (كيل) حتى تدفق جنود البحرية وأخذوا يسيرون في شوارع (هالة) أيضاً رافعين الرايات الحمراء ، وقد حصلت بعض التغييرات في وظيفة عمدة المدينة وفي وزارة التعليم . واضطر مجلس الجامعة إلى تأليف (لجنة اصلاح) برئاستي تجمع كافة الاساتذة بكرسي أو بلا كرسي و باشرت عقد الاجتماعات مرة كل اسبوع تحتدم فيها المناقشات دون الوصول إلى أي نتيجة . وفي اجتماع حر للمدرسين تقرر أن « تخرج الجامعة إلى الشعب » كما كان يقال في روسيا . كذلك تقررت الدعوة إلى « أمسيات شعبية ، تجتمع في قاعة الجامعة كل اسبوعين مرة تلقى فيها محاضرات تعالج الموضوعات السياسية والاقتصادية و تعقبها مناقشات حرة . كانت هذه الأمسيات تمضي في المعتاد على أحسن وجه ، وان كانت أحياناً لاتخلو من طرائف غريبة واصطدامات مضحكة ، فقد قام مرة أستاذ الاقتصاد (ونتيغ) الذي كان والده يتمتع بثروة وسلطات جامعية واسعة وألقى محاضرة أعلن فيها أنه « بروليتارى » (أي صعلوك) أيضاً مثل أي عامل آخر لأنه إنما يعيش من عمله وجهده ، فارتفعت أصوات العمال تتهكم وتسخر من مظاهر ثيابه الفاخرة . ووقع مرة أخرى حادث مزعج إذ ما كدت أعلن افتتاح الاجتماع حتى اندفعت جماعة كبيرة من الشيوعيين ودخلت القاعة براياتها الحمراء وبرز بعضهم

فوق منصة الخطابة فأسرعت إلى إلغاء الاجتماع وخرج جميع الحاضرين وهم يزمجرون . وكان في القاعة عدد من رجال الشرطة لا حظوا بعض المشاغبين الذين اندسوا بين العمال فقبضوا عليهم بعد أيام ودعيت إلى السجن لمواجهتهم . »

يروي (بروكلمان) حوادث فترة الاضطرابات من استدعاء طلاب الجامعة العائدين من جبهات الحرب وجمعهم في ثكنات بألبستهم ومعداتهم العسكرية واتخاذهم حرساً خاصاً لحفظ الأمن والنظام حتى هدأت الأحوال في (هاللة) وغيرها من المدن ، ثم يقول :

« بعد أن نجح الاشتراكيون في توطيد سيطرتهم عهدوا بوزارة التعليم إلى زميلي المستشرق (بيكر) ، وهو من الديموقراطيين ، فتقدم بمشروع معقول يفرض على الجامعات أن تعمل بجميع الوسائل لنشر المعرفة بين الطلاب عن البلاد الأخرى ، لأن نقص هذه المعرفة هو الذي دفع الالمان إلى هاوية الحرب . ويقضي ذلك المشروع بأن تتولى جامعة (غوتنغن) الاعتناء خاصة بالحضارة الانكليزية والاميريكية وبأن يعهد إلى جامعة (بون) بالاهتمام بالحضارة الفرنسية وإلى جامعة (برسلاو) بحضارة العالم السلافي ، وأخيراً كان على جامعة (هاللة) ، وهي مركز جمعية المستشرقين الالمان ، أن تركز جهودها على الشرق . ولهذه الغاية عقدت اتفاقية بين الجمعية ووزارة التعليم تنص على تزويد الجمعية بالأموال اللازمة لاختيار رئيس قدير لمكتبة الجمعية ولشراء ما تحتاج إليه من كتب . كذلك تقرر الحاق المكتبة بمعهد للاستشراق يؤسس مجدداً وتكون له ميزانية خاصة . »

٨ ـ الانتقال إلى (برلين) (١٩٢٢ ـ ١٩٢٣)

في شتاء (١٩٢١ ـ ١٩٢٢) شغر كرسيان لأستاذية اللغات الشرقية

في (بـون) و (برلين) و عرضت الـوزارة على (بروكلمـان) اختيـار أحدهما . فلم يكن الأمر سهلاً . كان هناك من جهة جمال (جامعة بون) على ضفـاف (الراين) التي كان الاحتلال الفرنسي ، مـع الأسف ، يشوه روعتها ، وكان هناك من جهة ثانيـة امكانيـات للتـدريس في (برلين) ولكن مـع صعـوبـات كبيرة في العثـور على مسكن . وقـد سـافر (بروكلمـان) أولاً إلى (بون) لمشاهـدة الـوضع عن كثب . فلما التقى هناك بصديقه الأستاذ (مايسنر) نصحه بأن يرفض المجيء إلى (بون) . ذلك لأن سلفه الأستاذ (ليتمان) لم يقم بتنظيم المعهد الذي كانت تنقصه كل الأجهـزة الـلازمـة ، ولأن سلطـات الاحتـلال الفرنسي كانت تتعمـد ازعاج المواطنين الالمان . هكذا علم (بروكلمـان) من أحـد معارفـه وهو رجل غني جداً من (برسلاو) ان الضباط الفرنـسيين أقـدموا على مزاحمتـه في قصره فلم يتركوا له سوى غرفتين بالطابق الأرضي لسكنـاه . وكان على المـواطن الالمـاني إذا قـابـل ضـابطـاً فرنسيـاً في الطريـق أن ينزل عن الرصيف . ومعروف أن أكثر الجنود الفرنسيين كانوا من الهندالصينية .

يقول (بروكلمـان) : « استقر رأيي بعـد التفكير على اختيـار العمل في برلين ، حيث قطعت لي الوعود بتأمين منزل لي سريعاً ثم ببناء معهـد علمي جديد للاستشراق ، و قد تظاهر (بيكر) حسب العـادة بـبـذل كل الجهود لتحقيق الوعود . ولكن تبين انه إنما كان يماطل في تقديم المسـاعدة لأن منصبه في الوزارة لم يكن راسخاً بسبب مطـالبـة الاشتراكيين تعيين أحـد منهم مكانـه ، فـأراد الاحتفـاظ بكرسي اللغـات الشرقيـة في برلين لنفسـه . » وهكـذا ظل (بروكلمـان) يسـافر كل أسبوع مـدة يومين إلى برلين لالقاء محاضراتـه . وكانت قيمـة المـارك الالمـاني تـدهور من يوم إلى آخر من جراء التضخم الهائل في النقد فكان الراتب الـذي يـدفع لـه كل

اسبوعين مرة لا يكاد يكفي للعيش في أبسط الفنادق والمطاعم . الا ان (بروكلمان) كان راضياً عن نشاطه في التعليم اذ كان عدد الطلاب في قسم اللغة العربية يبلغ السبعين كما أن عددهم حتى في فرع مهمل مثل اللغة الحبشية لم يكن يقل عن الخمسة .

٩ ـ الانتقال إلى (برسلاو) (١٩٢٢ ـ ١٩٣٧)

في أواخر سنة (١٩٢٢) استدعي (بروكلمان) لاحتلال كرسي أستاذه السابق (بريتوريوس) الذي تقاعد في (برسلاو) . وكان التضخم النقدي قد بلغ أقصى الحدود فلاحظ (بروكلمان) عند انتقاله من (هاللة) ان كل مدخراته في المصرف لم تعد لها أية قيمة . ولم تستقر الاحوال الا بعد اصدار المارك الجديد في سنة ١٩٢٣ وبعد تدفق البضائع من البلاد الأجنبية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

استطاع (بروكلمان) ، بعد التغلب على مصاعب السكنى ، أن يقضي بضع سنوات هنيئة في (برسلاو) ، على الرغم من أن نشاطه في التعليم تقلص بالنسبة إلى الماضي لأن طلاب اللاهوت الكاثوليك الذين كانوا يقصدون دروسه قل الآن عددهم بعد أن صرح رئيس الأساقفة ان الطلاب التابعين له أصبح من الأفضل لهم أن يتعلموا اللغة البولونية عوضاً عن العبرانية .

انتخب (بروكلمان) في سنة ١٩٢٨ عميداً للكلية التي كانت في (برسلاو) ما زالت تجمع بين العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية ، فكثرت أعمال وظيفته ولكن دخله أيضاً زاد كثيراً حتى رأى انه يستطيع القيام في عطلة عيد الفصح (١٩٢٩) برحلة إلى استانبول ، على أن الطقس هناك كان في تلك السنة ما زال بارداً والعمل لم يكن سهلاً في المكتبات

التي كانت دون تدفئة في استانبول . ثم يستأنف (بروكلمان) سيرته الذاتية قائلاً :

« من المؤسف أن الحالة السياسية ازدادت اضطراباً وتوتراً في السنوات التالية بسبب الدعاية النازية . في سنة (١٩٣٢) طلب المعهد العالي التقني (أي كلية الهندسة) الانضام إلى الجامعة لأن المعهد لم يكن يزدهر على الرغم من تجهيزاته الجيدة ، ومن البيئة الصناعية الغنية المجاورة . وكان المرشح لرئاسة الجامعة في سنة ١٩٣٢ ـ ١٩٣٣ هو عالم الفيزياء (شيفر) الذي كانت مصلحته تدعو ، بطبيعة الحال ، الى توحيد المعهد التقني مع الجامعة ، وخوفاً من اتخاذ قرار متحيز طلب الي بصفتي محايداً لا علاقة لي بالأمر أن أتولى رئاسة الجامعة ، فكانت النتيجة ازدياد أعمالي الادارية إذ كان من واجبي أن أترأس اللجنة المختلطة من أساتذة الجامعة والمعهد التقني في جلسات لا نهاية لها . ولما أخذت سيطرة النازيين في الازدياد تخلى أكثر أساتذة المعهد عن مشروع التوحيد لأنهم كانوا يطمعون في الحصول على تأييد أكبر من حكومة جديدة .

ومن أسوأ الحوادث التي جابهتني في رئاسة الجامعة قضية (كوهن) . فقد كان أساتذة الحقوق استدعوا الى كرسي (التشريع الالماني) استاذاً يهودياً اسمه (Cohn كوهن) . وفي الحال أشيع ان النازيين سيحتجون على ذلك ، وفي اليوم الأول من الفصل الدراسي جاء (كوهن) إلى مكتب رئاسة الجامعة وطلب مني حمايته لأن الطلاب في قاعة المحاضرات كانوا يصرخون ويشاغبون . فرافقت الاستاذ الى القاعة وحذرت الحاضرين الذين كان بينهم الكثيرون من غير الطلاب وأنذرتهم بضرورة احترام كرامة الجامعة . وقد ساد الهدوء برهة ولكن ماكاد الاستاذ يبدأ الكلام حتى عاد الضجيج أكثر شدة . ولما تكرر ذلك ثلاث مرات طلبت

استدعاء الشرطة لاخلاء القاعة . وقد تكررت هذه الحوادث في شهري تشرين الثاني وكانون الأول (١٩٣٢) ولم تهدأ الحالة حتى بعد إغلاق الجامعة كلها مدة ثلاثة أيام . »

وقد تعرض الاستاذ (بروكلمان) الى هجمات الصحف النازية لقيامه بواجب رئيس الجامعة في منع الشغب والفوضى .

على انه بعد ابعاد (كوهن) عن الجامعة وتسلّم النازيين للسلطة في (آذار ١٩٣٣) كان (بروكلمان) قد بلغ الخامسة والستين من العمر وكان يمكن حسب الانظمة الجديدة احالته على التقاعد في الحال . ولكن وزير التعليم الجديد الذي جاء لزيارة (بروكلمان) في رئاسة الجامعة ، قابله بلطف وطلب منه البقاء في وظيفته حتى خريف سنة (١٩٣٥) .

وقد انتقل (بروكلمان) في سنة (١٩٣٧) الى مدينة (هاللة) وظلّ يعيش براتب التقاعد وما يصله من مكافآت عن كتبه . ثم انقطع راتب التقاعد في شباط ١٩٤٥ بعد انهيار الحكم النازي واحتلال (برسلاو) من قبل البولونيين . وكان (بروكلمان) قد فقد جميع مدخراته في المصرف بعد دخول السوفييت والغاء كل الاوراق النقدية . وهو ما كان ليستطيع المعيشة خلال صيف ١٩٤٥ لولا أن ناشر كتابه (القاموس السرياني) [الطبعة الثانية ، هاللة ١٩٢٨] أرسل اليه بقية المكافأة المستحقة .

حاول (بروكلمان) عبثاً في هذه الفترة أن يجد عملاً لكسب رزقه الى أن توسط له رئيس جامعة (هاللة) الاستاذ (آيسفيلد) فعين مستشاراً لمكتبة جمعية المستشرقين الالمان ، كما سبق ذكره في المقدمة . ثم تولى (بروكلمان) كرسي اللغة التركية مدة عدة سنوات اعتباراً من سنة

١٩٤٧ الى أن أحيل على التقاعد للمرة الثانية سنة ١٩٥٣ . وقد تعرض يوم عيد الميلاد سنة ١٩٥٥ الى برد شديد في احدى الكنائس القديمة فمرض ثم مات (٥ ايار ١٩٥٦) وقد قام زميله المستشرق (آيسفيلد) بإلقاء كلمة تأبينية في حفل كنائسي بسيط ، ولكن اصدقاء (بروكلمان) وتلامذته الكثيرين تنادوا في ١٧ ايلول من السنة نفسها لاقامة احتفال ضخم في القاعة الكبرى بجامعة (هاللة) بمناسبة عيد مولده الثامن والثانين فتحدث الخطباء عن مآثر هذا العلامة والاستاذ المشهور واستعرضوا مؤلفاته القيمة الكثيرة التي مازال المستشرقون يعتمدون عليها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العثور على النسخة المسروقة من كتاب
تحفة الزائر في مآثر الامير عبد القادر وأخبار الجزائر

الدكتور ابو القاسم سعد الله

١ ـ كيف عثرنا على النسخة ووصفها :

كل من قرأ النسخة المطبوعة من كتاب (تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر)[1] يذكر أن المؤلف محمد باشا بن الأمير عبد القادر، كتب في مقدمتها ما يلي : « ولما فرغتُ من ترتيبه ... وسميته (تحفة الزائر ...) فسطت عليه يد من لا بارك الله بأصله ونسله ، وسرقته عمدا ... ثم شمرت عن ساعد الاجتهاد ، لجمع ما تفرق من المواد ، بعد ان فقد منها الاكثر ... فجاء مطابقا للأصل ... »[2] .

ومنذ قرأتُ انا تلك العبارات ، من نحو عشرين سنة خلت ، وسؤال يلح علي وهو : أين النسخة المسروقة من هذا الكتاب ، وهي النسخة التي سماها المؤلف (الاصل) ؟ فالاشياء المسروقة عادة لا تعدم بالضرورة ولكنها تنتقل من يد الى يد ومن مكان الى آخر . ولم يكن السؤال : من سرقها ؟ أو لماذا سرقت ؟ قضية هامة عندئذ . كما ان الفرق الذي قد يكون بين النسخة الاصل والنسخة الفرع لم يكن مهما ايضا . أما القضية الملحة في نظري فكانت البحث عن مكان تلك النسخة التي ادعى المؤلف أنها سرقت منه بعد الانتهاء منها .

وقد استمر بحثي عنها في كل المظان الممكنة : دمشق والاسكندرية واسطانبول وباريس ، وهي البلدان التي تردد عليها المؤلف والتي يوجد فيها من يهمه موضوع الكتاب . وكانت النتائج دائما مخيبة للآمال ، ولكن اليأس لم يتطرق الى البال . وزاد من حماستي للبحث أن الطبعة الثانية للكتاب التي صدرت بعناية الدكتور ممدوح حقي لم تقدم نقدا ما لقضية النسخة المسروقة ، رغم أن المحقق كان قريبا من بيئة المؤلف وقريبا من أسرته الموزعة بين سورية واسطانبول[٣] .

وفي زيارتي لاسطانبول في شهر آب (اغسطس) ١٩٧٠ ، تمكنت من الاطلاع على نسخة مخطوطة من كتاب (تحفة الزائر ...) في احدى مكتبات اسطانبول . وكان عنوانها هناك (تاريخ الامير عبد القادر) وقد بادرتُ الى تصفحها وقرأت مقدمتها ، فاذا هناك فروق بين ما سبقت لي معرفته عن النسخة المطبوعة وهذه . وأول ما لاحظته من فروق بين النسختين هو ان المخطوطة ليس فيها عبارة « فسطت عليه يد من لا بارك الله بأصله ونسله ، وسرقتْه عمدا .. الخ » كما أن المخطوطة احتوت على إهداء طويل الذيل الى السلطان عبد الحميد الثاني ، وهو شيء خلت منه النسخة المطبوعة . ثم أخذتُ ألاحظ بقية الفروق بين النسختين لا على سبيل التحقيق والمقارنة الدقيقة ولكن على سبيل الفضول ، لأن الوقت والظرف لا يسمحان بذلك عندئذ . ولكني سجلت بداية النسخة المخطوطة ونهايتها وبعض الملاحظات على خطها وشكلها ، ودونت كذلك رقمها ، ونويت تصويرها لعقد مقارنة بينها وبين المطبوعة عندما يكون هناك متسع من الوقت . ولكن تمويل التصوير عندئذ كان يعوزني (والمخطوط في الف صفحة) .

واليك ما كتبتُ في كناشي عندما رأيت النسخة المخطوطة من هذا الكتاب لأول مرة باسطانبول : « تاريخ الامير عبد القادر ، جزآن منفصلان . مخطوط بخط نسخي جيل ، مذهب ومجلد . أهداه المؤلف الى السلطان عبد الحميد الثاني . فرغ منه سنة ١٣٠٧ هـ ، ١٨٩٠ م . لا يذكر المؤلف في المقدمة أنه سرق منه . في الجزء الاول قصيدة منفصلة لمحمد الشاذلي القسنطيني ، اولها :

أيـا ذاهبـاً نحـو الخليفـة بَلِّغَنْ سـلامـاً ...

وهو يحمل رقم ٤٧٨٨ ، مكتبة الحاج محمود افندي بالمكتبة السليمانية باسطانبول . ويحتوي الكتاب أيضا على عدة وثائق منفصلة ، منها واحدة في « ذكر هيئة العسكر وترتيبه في السفر » وهي بخط رقعي مغاير للاصل . أول الجزء الاول « الحمد لله الذي أحاط بكل شيء علما ، وأنفذ في كل مخلوق قضاء أزليا وحكما ... » ويقع الجزء الاول في ٤٩٨ صفحة ، والثاني في ٥٠٣ صفحة » انتهى من كناشي المؤرخ سنة ١٩٧٠ ، اسطانبول .

ولما رجعتُ الى الجزائر ، طلبت من مكتبة الجامعة تصوير المخطوط على نفقتي ، واعطيتها الرقم والمعلومات الاضافية . ووقعت المراسلة بينها وبين المكتبة التركية ، ولكن هذه المكتبة لجأت الى ما يمكن أن نسميه (بالشانتاج) ، فاشترطت لتصوير المخطوطة ، المبادلة بنسخة من كتاب الدكتور محمد بن أبي شنب عن مخطوطات مكتبة الجامع الكبير بالجزائر ، وقد وفت مكتبة جامعة الجزائر بالشرط وجاءت النسخة المخطوطة من كتاب (تحفة الزائر) على الميكروفيلم . ورغم أن النسخة كما رأيتها وكما

سأذكر ، جيدة وكاملة ، فان تصويرها جاء ناقصا ومشوها في بعض الحالات . ثم شُغِلت عنها بعض الوقت باعداد كتابي (تاريخ الجزائر الثقافي) ، الى أن حانت مصادفة رويت فيها للدكتور عبد الجليل التميمي حديث نسختي من كتاب تحفة الزائر ، فأخبرني أنه يملك هو أيضا صورة من نفس النسخة على الميكروفيلم وأرسل الي مشكورا نسخته لتدارك النقص وهذا ما تم فعلا[٤] .

٢ ـ حياة المؤلف :

ليس من غرضنا هنا التوسع في الحديث عن أسرة الأمير عبد القادر بالمشرق واستيطانها بلاد الشام وظروفها وعلاقاتها ، لان ذلك يخرجنا عن موضوعنا المحدد ، ولأن هناك مصادر أخرى تحدثت عن ذلك ، ومنها كتاب (تحفة الزائر) نفسه . ويكفي هنا أن نذكر بعض المعلومات عن مؤلف هذا الكتاب لعل ذلك يساعدنا على معرفة ظروف نسخته الضائعة ويلقي الاضواء على « سارقها » والهدف من أخذها منه ، وظروف تأليف النسخة الأولى (الاصلية) والثانية (الفرعية) .

ولد محمد لوالده عبد القادر بن محيي الدين بن مصطفى بن المختار ، في القيطنة بالجزائر عام ١٨٤٠ م ١٢٥٦ هـ[٥] . والقيطنة هي مسقط رأس والده ايضا ، وهي تقع على وادي الحمام ، غير بعيد من مدينة معسكر اليوم (او أم العساكر) ، عاصمة دولة الأمير عبد القادر . وكان محمد اكبر ابناء الامير عبد القادر من زوجه ، ابنة عمه ، خيرة . وقد عاش محمد طفولة مضطربة حقا . فقد ولد اثناء تصاعد الكفاح بين الجزائريين بقيادة والده ، وبين الفرنسيين . ففي آخر سنة ١٨٣٩ م استؤنفت الحربُ

بين الأمير والجيش الفرنسي ، بعد معاهدة التافنة التي كانت عبارة عن هدنة . وفي ١٨٤١ ، جاء الجنرال بوجو المشهور الى الجزائر وعنده صلاحيات لمحاربة الأمير في كل مكان وبكل الوسائل ، وهي الحرب التي استمرت الى سنة ١٨٤٧ ، تاريخ هزيمة الأمير وأخذه أسيراً الى فرنسا . اذن لقد عاش محمد ثماني سنوات من الحرب الضروس بين بلاده وفرنسا ، ثم خمس سنوات من الأسر في سجون فرنسا ، آخرها هو سجن امبواز بنواحي بوردو ، وبعد نحو سنتين في بروسة نزلت أسرة الأمير بدمشق حيث استقر بها المقام .

اذن لم يعرف الامير محمد الاستقرار لا في الجزائر ولا في فرنسا ولا في بروسة . لقد فتح عينيه على الحرب والخوف بالجزائر وعلى الاسر والغربة بفرنسا وعلى الزلزال في بروسة . فلم يتلق تعليما منتظما ولم يعرف حياة اجتماعية هادئة ولا اصدقاء ثابتين . ولاشك أن والده قد تكفل بتعليمه في امبواز ووضعه على الخصوص تحت إشراف صهره مصطفى بن التهامي . ولكن ذلك كان غير كاف ليتعلم الطفل محمد تعليما منتظما . ولاشك ايضا ان الطفل ، وقد دخل مرحلة المراهقة ، قد عوض في دمشق ما فقده في موطنه ومهاجره الاخرى ، فاختلف الى مدارسها وتمكن من دروس علمائها ونهل من مكتباتها ، ولكن قاعدة تعليمه تظل في نظرنا ، واهية على اية حال .

ومهما كان الامر ، فان الشام ، والمشرق عموما قد اخذت تدب في أوصالها بواكير النهضة الادبية والسياسية عندما نزلتها أسرة الامير عبد القادر . ولم يمض وقت طويل حتى انتشرت الصحافة والجمعيات الادبية

وحركة الجامعة الاسلامية والمنتديات العربية . وكانت أسرة الامير نهب الرياح تتجاذبها خيوط السياسة تارة نحو فرنسا وتارة نحو الدولة العثمانية وتارة نحو العزلة والانكماش وتارة اخرى نحو التيار العربي القومي . ولم يكن الامير محمد بعيداً عن هذه الاجواء . فهو كبير والده ، يرافقه حيث حل وارتحل ، ويطلع على أسراره وأخباره . لقد رافقه يوم ودع نابليون الثالث بباريس ويوم استقبله السلطان عبد الحميد باسطانبول . وسافر معه الى فرنسا ثانية وإلى مصر . ولكننا لاندري ان كان سافر معه في رحلته الى لندن[٦] . وكان يحضر مجالس والده مع أعيان الشام وغيرهم من زعماء العالم الاسلامي ، ومن الاوربيين ايضا . وقد اخبر هو عن نفسه أنه كان يلازم والده محتذيا حذوه في جميع أعماله ، وأنه قرأ عليه التوحيد والحديث والنحو ، وأنه استفاد منه ما يهمه في القديم والحديث .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهكذا يتضح ان ثقافته ثقافة عصامية - اذا صح التعبير - تولاها والده ، والمجتمع الشامي ، ثم الحياة العامة وجهوده الشخصية . ويبدو أنه كان مهتما بالأدب والتاريخ . ذلك أن ثقافته التاريخيه الاسلامية تبدو غزيرة من كتابه (تحفة الزائر) ومن كتبه الأخرى التي سنذكرها . وأسلوبه الادبي ، المبني على السجع في معظمه ، غني ومتنوع مما يبرهن على كثرة مطالعاته ومحفوظاته . كما أن له اهتماما بالقضايا الاجتماعية المعاصرة كما سنرى أيضا . ورغم عيشته في فرنسا عدة سنوات سجيناً وزائراً فانه لم يتعلم الفرنسية ، كما يدل ذلك التجاؤه الى المترجمين في أسفاره من جهة وفي استحضار مادة كتابه من جهة أخرى .

ويبدو أن الامير محمداً قد اعتنق مبدأ الجامعة الاسلامية ، ولكنه لم يكن نشيطاً فيها نشاط بعض أنصارها الآخرين . وكأنه في ذلك كان يتبع سيرة والده الذي لا نجده قد اتخذ مواقف بارزة لصالح هذه الحركة رغم اجتماعه ومجالسته لبعض زعمائها مثل الشيخ محمد عبده ومحمد شمويل (شامل) الداغستاني . وتدل التعزية التي بعث بها محمد عبده الى الامير محمد واخيه محي الدين في والدهما الامير عبد القادر ، أنه كان يعرفها شخصيا اثناء مجالسته لوالدهما . فقد كتب محمد رشيد رضا مقدما هذه التعزية بقوله : « وكتب منها (اي من رسائل التعازي) معزيا عن الامير عبد القادر الجزائري الشهير ، وكانت صلة المودة بينهما محكمة العرى ، كما اشير اليه في بعض المكتوبات الاصلاحية »[٧] ، ومما جاء في هذه الرسالة قول الشيخ محمد عبده : « وكفى في مصيبة أهل الايمان أن يقال : أصبحوا بلا امير ، وحسبهم تعزية عن مصابهم انكم بنوه وورثة فضله ومعززوه » وفي رسالة أخرى بعث بها محمد عبده الى الشيخ عبد المجيد الخاني طلب منه ابلاغ تحياته الى الامير محمد وأخيه محي الدين[٨] .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكان ولاء الامير محمد للدولة العثمانية لا غبار عليه . فهو يكثر من الدعاء الى سلاطينها ، وبعد مبايعة الأسرة له جاءه وسام (نيشان) وراتب من السلطان عبد الحميد ، وكان على صلة بوالي دمشق عندئذ ، وقد حصل على لقب « الباشا » ، وأصبح فيما يقال ، ضابطا في الجيش العثماني . ولاشك ان هذا الولاء الواضح للدولة العثمانية قد كلفه غضب ، او على الاقل شك ، الفرنسيين فيه . ومع ذلك لانجد له عاطفة عداء قوية ضد الفرنسيين فوصفه لهم اثناء كتابه وصف محايد ، أو قل هو وصف تاريخي .

وكما لم نجد له موقفا متحمسا من الجامعة الاسلامية ، لم نجد له ايضا موقفا متحمسا من الوطنية أو من قضية الجزائر . فرغم أنه عاش الى سنة ١٩١٣[٩] ، وهو تاريخ سبقته عدة أحداث تهم القضية الجزائرية فاننا لا نجده قد شارك أو كتب ما يدل على عاطفته الوطنية القومية او العدائية نحو السلطة الاستعمارية . حقا ان حنينه الى الوطن قوي جدا ، يشير اليه في عدة مناسبات بألفاظ واضحة وأشعار مؤثرة ، ولكن الأمر لم يتجاوز الحنين الى الفعل . ولا نعلم انه زار الجزائر او حتى مسقط راسه الذي طالما حن اليه . فهل حاول ذلك ومنع منه ، او لم يكن ذلك في نيته أصلا ؟

ومهما كان الامر فقد أصبح ، بعد وفاة والده ، هو كبير الأسرة على اثر مبايعة اخوته له في وثيقة وقعوها بذلك . ولم يكن أبناء الامير العشرة من أم واحدة . وكان الولاء فيما بينهم ضعيفاً ، والمصالح الاجتماعية والسياسية تجعلهم في اتجاهات متعاكسة أحياناً . وكان ولاء أبناء الامير موزعا بين الدولة العثمانية وفرنسا . واذا كان ولاء الاخوة محيي الدين ومحمد وعلي واضحا نحو الدولة العثمانية ، فان ولاء عمر ، والهاشمي ، وعبد المالك كان ، على الأقل ، قبل الحرب العالمية الاولى ، نحو فرنسا . ولانعرف ولاء بقية الاخوة[١٠] . وقد ترك الامير محمد بعض الابناء ، منهم علي زين العابدين الذي ترك احمد مختار الذي ترك السيدة أمل التي التقينا بها في الجزائر يوم ٢٥ أيار (مايو) ١٩٨٣[١١] .

وبالاضافة الى شؤون الاسرة ، كان الامير محمد (باشا) يشتغل بالتأليف . وقبل أن نتحدث عن مخطوطه (تحفة الزائر) ، نذكر أنه الف عدة كتب هي :

(١) - تحفة الزائر في مآثر الامير عبد القادر وأخبار الجزائر ، طبع للمرة الاولى في الاسكندرية (مصر) ، ١٩٠٣ . وهو في جزأين[١٢] وسنتحدث عنه .

(٢) - مجموع فيه ثلاث رسائل او ابحاث ، مطبوعة في مصر (القاهرة) ، بدون تاريخ ، وهي :
أ - ذكرى ذوي الفضل في مطابقة أركان الاسلام للعقل .
ب - كشف النقاب عن أسرار الاحتجاب .
ج - الفاروق والترياق في تعدد الزوجات والطلاق .

(٣) - عقد الاجياد في الصافنات الجياد (مطول) ، وهو مطبوع حسبما جاء في الاعلام[١٣] .

(٤) - نخبة عقد الأجياد في الصافنات الجياد ، وهو مختصر من الاول ، ومطبوع طبعتين في بيروت ، الاولى سنة ١٢٩٣ في ٤١٠ ص . والثانية سنة ١٣٢٦ ، في ٣٠٤ ص . وموضوع هذا الكتاب كما يدل عنوانه في أوصاف الخيل وتاريخها وآدابها .

(٥) - نزهة الخاطر في قريض الامير عبد القادر ، طبع المعارف بمصر ، بدون تاريخ ، في ٥٨ ص . والكتاب الاخير جمع فيه بعض ما تفرق من شعر والده ، ولكن لم يأت عليه جميعا[١٤] .

واذا حكمنا على تفكيره واهتمامه من مؤلفاته فاننا نجد الأمير محمداً منسجماً مع التيار الاصلاحي الذي ظهر في النصف الثاني من القرن الماضي في المشرق عموماً وفي الدولة العثمانية على وجه الخصوص . فهو يتحدث عن قضية تعدد الزوجات ويقدم لها الحلول الاجتماعية والشرعية

او « الفاروق والترياق » كما يقول . وهو يكتب عن عقلانية الاسلام (اذا صح التعبير) أو مطابقة التعاليم الاسلامية لاحكام العقل ، وهو رأي يحاذي آراء المدرسة العبدوية ، وهو من جهة ثالثة يتناول موضوع السفور والحجاب الذي طال فيه النقاش ـ وما يزال ـ في عهد الدعوة الاصلاحية المشار اليه ، والف فيه كل من قاسم امين بمصر والطاهر الحداد بتونس ومصطفى بن الخوجة في الجزائر . واذا كانت رسائله قد ركزت على موضوعات اجتماعية فان كتابيه المطولين (عقد الاجياد) و (تحفة الزائر) لا يخرجان عن التاريخ والأدب . ويهمنا الآن تفصيل الحديث عن الاخير منهما .

٣ ـ تحفة الزائر وظروف تأليفه :

ان الظروف التي أقنعت الامير محمداً بتأليف (تحفة الزائر) تذكر المرء بالظروف التي أقنعت أحمد المقري بتأليف (نفح الطيب) رغم فارق ثلاثة قرون بين الرجلين . فكلا الرجلين أجبرته الظروف السياسية على الهجرة الى دمشق ، وكلاهما كان يكثر من الحنين الى وطنه الاول ويسترجع ذكرياته ، وكلاهما من غرب الجزائر ، فالمقري من تلمسان والامير محمد من نواحي معسكر ، وكلاهما له بطل يملأ عليه وجوده الأدبي والتاريخي ، وهذا البطل هو لسان الدين بن الخطيب والأندلس عند المقري ، وهو الأمير عبد القادر والجزائر عند الامير محمد ، وكلاهما كان يبكي مجداً غارباً وبلدا عربياً اسلاميا ضائعا (الاندلس والجزائر)، وأخيراً وليس آخرا ، فان اهل الشام هم الذين « أقنعوا » الرجلين بالكتابة وأغروهما بالتدوين بدل البكاء والحنين . ونحن بالطبع لا تهمنا هنا تجربة

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

المقري مع بطله ومع أهل الشام[١٥] لان موضوعنا هو ظروف تأليف (تحفة الزائر) .

كان الامير محمد كثير الشوق الى مراتع صباه ، وكانت مناظر الشام الطبيعية تذكره ربوع وادي الحمام وسهل غريس حيث فتح عينيه على الحياة لأول مرة . وكانت الوفود من أهل الشام ومن الجالية المغربية ترد على منزلهم في دمر[١٦] فيتفرع الحديث ويتشعب عن طبيعة الجزائر واهلها وكفاحها ضد الاستعمار الفرنسي وتطواف الأمير عبد القادر وأسرته من الجزائر الى دمشق عبر فرنسا واسطانبول وبروسة . وكان ذلك الحديث يهيج الذكريات ويسيل العبرات . وفي كتاب (تحفة الزائر) كثير من هذه العاطفة الجياشة التي أخرجت صاحب الكتاب احيانا عن مهمته كمؤرخ . ومنذ وفاة الامير عبد القادر[١٧] اصبح الحديث عن سيرته وجمعها في كتاب من آكد الأمور . وازداد الالحاح على الامير محمد في ذلك : اليس هو كبير الاسرة وملازم الوالد وموضع ثقته وأسراره ؟ الم يعرف اكثر من غيره عن كفاح والده وهو في سن الصبا وعن سجنه وهو في سن المراهقة وعن تحولاته من كفاح السيف الى كفاح النفس والتصوف والقلم ؟ الم يرافقه في كل أو جلّ أسفاره ويعرف من زاره أو كتب اليه من كبار العصر ؟ ثم اليس هو اكثر أخوته ثقافة وأميلهم الى الادب والتاريخ واكثرهم اطلاعا على الكتب ، بما في ذلك كتب والده ومذكراته التي آلت اليه ؟

اذن لقد كثر الالحاح وتوالت الرغبات ولكنها لم تنزل على اذن صماء او قلب من جماد ، بل نزلت على اذن مرهفة وقلب مفعم بالاستعداد .

ان الامير محمداً كان يحس أن عبئا ثقيلا قد ألقي على كاهله ، وان عليه ان يتحمله وحده كمسؤولية ثقيلة امام الوفاء لوالده ولوطنه ولاسرته التي اعطى لها اهتماما خاصا في الكتاب وابرز دورها التاريخي في الدفاع عن بيضة الاسلام والعربية في الجزائر ، حتى لقد يشعر من لايعرف الخلفيات ان المؤلف « بالغ » في ذكر كلمة « نحن » في كتابه التي لا تعني الا اسرته . ومهما كان الامر ، فانه استجابة لذلك الالحاح وتلك الرغبات قام بتأليف الكتاب : « فحرضوني على القيام بهذا المندوب ... وقالوا لا يخفى ان تحرير احوال الاكابر وتسطير مزاياهم في صفحات الدفاتر ، لمن سنة الكرام ... لاسيما هذا الامير الشهير ... حيث اشبه من السلف عمر بن عبد العزيز في زهده ورشاده ، ومن الخلف يوسف صلاح الدين في حركاته وغزواته وجهاده ، وحكى الشيخ الاكبر فيما يؤثر عنه ويذكر ،... فقلت لعمري قد اصبتم فيما ذكرتم ، وحق ان تجابوا الى ما به اشرتم ... »[١٨] .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولكن من اين يبدأ ؟ ان هذا النوع من التأليف يحتاج الى مصادر كثيرة ، عربية وأجنبية ، قديمة وحديثة ، وهو عمل غير سهل ايضا ، لأن عليه أن يعود بتاريخ الجزائر الى اقدم العصور وان يلم باحداث المغرب والمشرق وأن يعرض سياسة الدول الخارجية والداخلية ، وأن تكون له فكرة عن التاريخ السياسي والعسكري والاقتصادي لبلاده اثناء كفاح والده ، ثم عليه أن يكون على اطلاع بالعلاقات القبلية والطرق الصوفيه وصراع القيادات الشخصية اثناء ذلك الكفاح ، وهو موضوع معقد ذو نسيج متشابك لا يخوضه الا خبير معتدل في احكامه . ولكي يوازن الامير محمد ذلك ويتغلب على الصعوبات وفر له مكتبة غنية بالكتب

والمذكرات والصحف والوثائق والمراسلات ، بالاضافة الى عمله على ترجمة بعض الكتب الاجنبية للعربية . ويمكننا ان نصنف مراجعه الى هذه الاصناف :

١ ـ حديثه مع والده ومشاركته هو في الأحداث او مشاهدته لها ، وهو مايمكن ان نسميه بالتجربة الشخصية .

٢ ـ وثائق الأسرة كالرسوم والانساب ، مثل شجرة الاسرة وسندها المفصل .

٣ ـ الوثائق الرسمية مثل المعاهدات والاتفاقات والتعهدات (مثل معاهدة ديميشال والتافنة .. الخ) .

٤ ـ الكتب الأجنبية المترجمة الى العربية سواء كانت عن والده أو عن تاريخ الجزائر عموما .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٥ ـ الكتب العربية عن الأمير والجزائر والمغرب العربي والأندلس (مثل كتب ابن خلدون ، وابن حزم ، وابن الخطيب)[٢٦] .

٦ ـ المراسلات وهي كثيرة سواء منها الرسمية أو الشخصية .

٧ ـ الصحف المعاصرة ، عربية واجنبية .

٨ ـ انتاج الامير نفسه من الشعر والنثر .

ويقول الامير محمد عن الطريقة التي اتبعها لاستخراج الحقائق من هذه المصادر ، انه جعل والده هو الحكم . ذلك أن بعض المصادر قد جانبت ، في نظره ، الصواب لاعتبارات قومية وسياسية وشخصية ، رغم اعترافه بان بعضها قد مارس ضبط النفس وسار في طريق الحق . ومن

الممكن ان يقال هذا عن الامير محمد نفسه ، فما دام قد جعل والده هو مرجعه في تصويب المصيبين وتخطئة المخطئين ، فمن ادراه ان والده ايضا كان على خطأ فيما رأى وقدر ؟ ونحن وان كنا سنقول كلمة عن القيمة التاريخية للكتاب (تحفة الزائر) فاننا نبادر الى القول هنا بانه كتاب ادب ومذكرات وليس كتاب تاريخ بالمعنى العلمي للكلمة .

ويهمنا أن نسوق عبارة الامير محمد نفسه في هذا المجال ، تلك العبارة التي تكشف عن طريقته ومنهجه في كتابه . فهو يقول : « جلبتُ تواريخه ووقائعه (اي والده) المدونة باللغة الافرنجية ، وتكلفت ترجمتها الى العربية[٢٠] ، وبعد مطالعتها وامعان النظر فيها وجدت بعض مؤلفيها قد أصاب ، والبعض اخطأ جادة الصواب ، وحافظ فريق على انتصارات قومه ، ونسي الآخر احوال امسه وذكر وقائع يومه ... فلذا وضعت الاخبار في ميزان واحد ، وجعلت الحكم العدل شهادة سيدي الوالد ، فانه رب تلك المشاهد ، ولايستوي الغائب والشاهد ، وقد استخرجت من آثار مولاي خبرا يدل عليه دلالة اللفظ على المعنى »[٢١] . ولعل لفظة « آثار مولاي » ذات معنى هام في هذا المجال . ذلك انها تبرهن على أن الامير محمداً كانت له عند التأليف ثروة والده من المذكرات والاوراق الشخصية .

ويحتوي (تحفة الزائر) على معلومات غزيرة عن الجزائر في عهد كفاح الامير عبد القادر وعن الامير نفسه ، منذ نفيه سنة ١٨٤٧ الى وفاته ١٨٨٣ . ونحن نقول « في عهد كفاح الامير عبد القادر » لان الجزء الخاص بجغرافية المغرب العربي والجزائر خصوصا ، والدول الاسلامية

المتعاقبة على هذا الجزء من العالم العربي ، وان كان مفيدا ، الا انه غير أساسي ويظل مدخلا فقط للموضوع الرئيسي . كما اننا عنينا بكلمة « كفاح » ان المؤلف لم يؤرخ للجزائر في عهد حياة الامير الطويلة بل توقف معها بخروج الامير منها . فتاريخ الجزائر بين ١٨٤٧ و ١٨٨٣ غير مدروس في الكتاب . ذلك أن الامير محمداً يبقى متتبعا في كتابه تحركات والده وليس تطورات بلاده . كما ان القسم الاخير من الكتاب ضعيف من الناحية التاريخية لانه اقتصر فيه على ايراد الاشعار المديحية والرثائية ومقالات الصحف ونحو ذلك ، مما يقرب الى الجمع والحشو اكثر من التاريخ والدرس .

ولكن الكتاب يضم وثائق هامة تجعله مصدرا لا غنى عنه لدراسة تاريخ الجزائر خلال فترة الأمير . ولا شك أن ذلك راجع بالدرجة الاولى الى تمكن المؤلف من الاطلاع على اوراق الأسرة واستعمالها والى احساسه الفطري بالتاريخ وأهميته عند الامم والشعوب والأسر . ذلك ان حرصه على تدوين مآثر والده قد جعل الكتاب يخدم أيضا وطنه الجزائر وقومه وأسرته ، بالاضافة الى تسجيل صفحة مجيدة في تاريخ الكفاح العربي والاسلامي ضد الغزو الاجنبي ، ومن ذلك يصدق تشبيه الامير بيوسف صلاح الدين الايوبي الى حد بعيد . وعلى هذا الاساس فان كتاب (تحفة الزائر) كان ، ولعله ، مايزال ، الكتاب الوحيد باللغة العربية الذي فصل الحديث عن المرحلة الاولى من الصراع الجزائري الفرنسي (١٨٣٠ ـ ١٨٤٧) .

ولكن الكتاب يبقى كتاب أدب أيضا . فمجاله هو عرض سيرة الامير عبد القادر البطل مع اعجاب واضح بمواقف البطولة ، وانتاء

شخصي وعرقي الى البطل نفسه . وفي كثير من الحالات حجبت العاطفة والولاء والاعجاب قضايا التاريخ المعقدة . ثم ان اشتمال الكتاب على اشعار مختلفة ابياتا وقطعا وقصائد ، واسلوب التأليف القائم اساسا على السجع ، والحنين (او النوستلجيا) التي يتميز بها ـ كلها جعلت الكتاب قطعة أدبية اكثر منه دراسة تاريخية . ولعل المرء لا يترك الحديث عن هذه النقطة حتى يشير ايضا الى الجانب الصوفي من الكتاب . ذلك ان الوفاء لسيرة الامير جعلت المؤلف يسوق نصوصا له في هذا المجال ايضا . وهذا حق له ، ولكن المجال الصوفي ـ الفلسفي في الكتاب أضعف ايضا جانبه التاريخي .. فهل يمكننا القول اذن ان (تحفة الزائر) هو كتاب في سيرة الامير عبد القادر وليس في تاريخ الجزائر ؟ ان في العنوان الفرعي للكتاب جوابا على هذا السؤال ، اذ هو في مآثر الامير عبد القادر وأخبار الجزائر ولاشك ان كلمة « مآثر » أقوى من كلمة « أخبار » وهذه بدورها أخف من كلمة « تاريخ » .

لقد قسم الامير محمد كتابه الى قسمين منذ البداية . فجعل القسم الاول في سيرة الامير عبد القادر السيفية او الحربية وهو القسم الذي يحويه الجزء الاول من الكتاب سواء منه المطبوع والمخطوط . وهذا ما يمكن أن نسميه فترة مقاومة الامير في الجزائر بين ١٨٣٠ و ١٨٤٧ . وفي القسم مدخل طويل عن جغرافية وتاريخ المنطقة من أقدم العصور الى الاحتلال الفرنسي . اما القسم الثاني فقد خصصه لسيرة الامير العلمية او القلمية[٢٢] ، ويغطي هذا القسم من الناحية الزمنية سيرة الأمير منذ خروجه من الجزائر في آخر كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٨٤٧ الى وفاته في شهر أيار (مايو) ١٨٨٣ م . وبمعنى آخر حياة الامير في فرنسا

والمشرق العربي والاسلامي . ولعله من الخطأ ان نسمي هذا القسم بقسم السيرة القلمية (او العلمية) لان الامير نظم الشعر وكتب الرسائل وألف ايضا قبل مغادرته الجزائر . حقيقة ان بعض انتاجه الصوفي قد كتب في مهجره ولكن الفترة التي يتناولها هذا القسم اطول بكثير من تاريخ تأليف انتاجه الصوفي .

ومهما كان الامر ، فان الامير محمداً لم يبوب عمله الى فصول وأبواب ولم يخضع كتابه الى منهج علمي دقيق ، وانما استخدم طريقة العناوين الصغيرة والانتقالات المتقاربة حسب موضوعات ذات مدلول ضيق ، مثل : ذكر كذا ، أو انتقال الامير الى .... ونحو ذلك . وهي طريقة مملة ومشتتة للذهن . وهذا ينطبق على النسخة المطبوعة والمخطوطة معاً . وهو أحيانا يستعمل عبارة « فصل في كذا » ولكن ذلك لا يدل حقا على التبويب المتبع حتى عند بعض القدماء وانما هو طريقة من طرق التفريع في البحث .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

٤ ـ المقارنة بين النسخة المخطوطة والمطبوعة :

طبع كتاب تحفة الزائر ، كما أشرنا ، مرتين ، مرة في حياة المؤلف ، سنة ١٩٠٣ م والثانية سنة ١٩٦٤ م ، الطبعة الاولى في الاسكندرية والثانية في بيروت . وقد تميزت الطبعة الاولى بضيق السطور وصغر الحروف وانعدام الفقرات تقريبا وكثرة الاخطاء المطبعية وعدم وجود خرائط او صور او ثبت عام ، وليس فيها نبذة عن حياة المؤلف . اما الطبعة الثانية فتميزت بمقدمة للمحقق[٢٣] ، وبعض التعاليق والصور ، وسعة السطور وكبر الحروف ، كما لم تشتمل هذه الطبعة ايضا على ثبت

عام بأسماء البلدان والاشخاص ولا على جدول بالخطأ والصواب . واذا كان يجوز لطبعة ١٩٠٣ أن تخرج بدون ثبت عام فانه لا يجوز ، في نظرنا ، لطبعة سنة ١٩٦٤ ، وهي طبعة تحمل سمة التحقيق ، ان تخرج بدون هذا الثبت .

والنسخة المخطوطة تقع أيضا كما قلنا ، في قسمين ، كل في مجلد منفصل . وهي مكتوبة بخط نسخي جيد وحروف بارزة وفنية ، في إطار جميل ومذهب . وتكاد تكون بدايات الجزأين ونهايتها واحدة ، مع اختلاف سنذكره في القسم الاخير من هذه الدراسة . ولا يوجد في النسخة المطبوعة تاريخ انتهاء المؤلف من تأليف كتابه ولكن هذا التاريخ في النسخة المخطوطة هو سنة ١٣٠٧ هـ (١٨٩٠) أي سبع سنوات بعد وفاة الامير عبد القادر . ولا يمكن في نظرنا ان تكون النسخة المخطوطة التي اطلعنا عليها مكتوبة بخط المؤلف ، لانه لا يعقل أن يؤلف احد المؤلفين عمله على ذلك النحو من التخطيط والتجميل والتذهيب والتأطير والصفاء . فلو كانت هذه النسخة « الاصلية » حقا لكانت غير مجملة كل هذا التجميل ولكانت فيها تخريجات وحواش وحذف واضافات ونحو ذلك مما يوجد عادة في النسخة الاولى من التأليف[٢٤] .

اذن ، هل نحن نتكلم هنا عن « النسخة الاصلية » أو نسخة مخطوطة مأخوذة عنها ؟ واذا كنا نتعامل مع نسخة مأخوذة عن الاصل ، وهو ما نميل اليه ، فأين هي نسخة المؤلف المسروقة منه ؟ هل اعدمت بعد ان نسخت يد الخطاط الماهر منها هذه النسخة التي بين ايدينا ؟ نحن نستبعد ذلك . ونميل الى أن نسخة المؤلف ما تزال موجودة في احدى المكتبات الخاصة سواء مكتبة الشخص الذي سرقها ، أو الشخص الذي

آلت اليه بسبب من الاسباب[٢٥] . وعلى فرض ان هذا صحيح ، فمن هو خطاط نسختنا يا ترى ؟ انه لا يوجد على النسخة المصورة اسم الخطاط او الناسخ ، ويبدو من المؤكد ان الذي خططها على الشكل الذي وجدناها عليه اراد بها وجه السلطان عبد الحميد لأن عبارة الاهداء اليه في النص مكتوبة بخط جميل وغليظ ، وكأنها هي المقصودة من التخطيط كله . ولكن من كان وراء فكرة التخطيط اصلا ؟ هل هو المؤلف نفسه الذي ، نفترض ، انه سلم عمله لأحد الخطاطين فدبج له ما اراد ولكن السرقة وقعت لهذه النسخة المدبجة من عند الخطاط او من عند المؤلف ، قبل أن يقوم هذا بتقديمها الى السلطان ؟ او ان مسودة المؤلف هي التي سرقت منه وأخذت الى احد الخطاطين فاستخرج عليها النسخة التي رأيناها وقدمها السارق نفسه الى السلطان لغرض ما ؟ اننا نميل الى الاحتمال الثاني ، لأنه هو الذي يحرم المؤلف من نسخته الاصلية ويجعله يلجأ الى كتابة عمله من جديد . اما الاحتمال الاول فهو بعيد لان المؤلف عندئذ يكون قد حافظ على نسخته الاصلية وان ضاعت منه المدبجة ، ولم يكن في حاجة الى اعادة التأليف .

ولكن السؤال المحير حقا هو : من كان وراء السرقة وما الهدف منها ؟ ان اخوة المؤلف وأسرة الأمير عبد القادر على العموم لم تكن ، كما ذكرنا ، متفقة على الولاء للدولة العثمانية . وكان هناك انقسام في صفوف الأسرة اشار اليه المؤلف نفسه عند حديثه عن المبايعة له بعد وفاة الوالد . كما كان هناك تحاسد وتنافس على الفوز برضا هذا أو ذاك من كبار الدولة العثمانية او الفرنسية . وقد لمح المؤلف نفسه الى كون المسألة « عائلية » عندما دعا على سارق النسخة بقوله : « فسطت عليه يد من

لابارك الله بأصله ونسله ، وسرقته عمدا من حرز مثله ، جزاه الله على ما ابداه من حسده ، في نفسه وماله وولده ... » ونعتقد ان سارقها الذي قدمها بذلك الاهداء الفخم اراد التقرب بذلك الى السلطان لغرض دنيوي ، سياسي او مالي مثلا . اقرأ معي ما جاء في النسخة المخطوطة من اهداء (وهو مفقود تماما من النسخة المطبوعة) « وبعد ان انتهيت من ترتيبه ، وامعنت النظر في تحريره وتهذيبه ، قدمته لسدة سلطنة ولي النعم ، ومالك ملوك العرب والعجم ، حامي حوزة الملك بالسيف الباتر والحزم الوافر والحلم السافر ، الجامع بحسن الابتداء بذكر اسمه الحميد ، وتشنفت المسامع بدر وصفه العزيز المجيد ، امير المؤمنين ، وظل الله على العالمين الخليفة الأعظم الخاقان الأفخم السلطان الغازي عبد الحميد خان ، أيده الله بسر الكتاب المبين ، وأمد جنوده بالملائكة المقربين :

آمين آمين لا يرضى بواحدة حتى أضيف اليها الف آمينا

راجيا ان يحظى بلثم رائحته الكريمة ، ويلحظ بعين عنايته الفخيمة ، فينجلي نجم سعده في سماء الاقبال ، ويتحلى بحلى القبول ويرفل في حلل الكمال ، وسميته ... تحفة الزائر ، الخ . » .

وهناك قضية اخرى ما زلنا لم نجد لها حلا ، وهي لماذا طبع الامير محمد كتابه في الاسكندرية بالذات ؟ واين كان هو عند طبع الكتاب ، في الآستانة او في دمشق او في مصر ؟ ولماذا المطبعة التجارية بالذات ايضا ؟ وهل لوجود الانجليز في مصر دخل في تغيير وجهة نظر المؤلف من الدولة العثمانية ، ومن السلطان عبد الحميد خصوصا ؟ وهل يفسر لنا ذلك حذف الاهداء السابق من النسخة المطبوعة تماما ؟ أسئلة كثيرة لا

يمكننا الجواب عليها الآن . وبالاضافة الى ذلك هناك احتمال دخول المؤلف في حزب اللامركزية الإسلامي الذي كان بعض أتباعه مغضوبا عليهم فهاجروا او هربوا في اوائل هذا القرن الى مصر ، ومنهم المؤلف ، فهل هذا ايضا وارد ؟ اننا لانملك الجواب عليه الآن .

واثناء عقدنا للمقارنة بين النسختين المخطوطة والمطبوعة وجدنا ان الاولى أشمل وأوفى ، وانها قد احتوت على تفاصيل ووثائق مفقودة في الثانية ، ولكن العكس احيانا صحيح ايضا . كما يلاحظ المرء تقديم او تأخير الحوادث بين النسختين . ويوجد في المخطوطة تاريخ الانتهاء من التأليف ، وهو ١٨٩٠ ، كما ذكرنا بينا المطبوعة خالية من هذا التاريخ . وقد قرأت نصيبا كبيرا من النسختين على وجه المقارنة مع كل من الاستاذين : الشيخ محمد الطاهر التليلي بقمار ، والدكتور ابو العيد دودو بمدينة الجزائر ، وقارنا الفهارس في النسختين وبعض الوثائق والاشعار ، فوجدناهما نسختين مختلفتين حقا ، ولا يمكن ان يقال ان المطبوعة نسخة عن المخطوطة وانما المؤلف في الواقع كتب تأليفه مرتين ، ففصل في المرة الاولى وأوجز في الثانية ، كما انه قد عكس احيانا ، وان الذي يجمع بين النسختين هو وحدة الموضوع ووحدة العاطفة ووحدة المؤلف وليس وحدة النص او المتن .

ولكي نشرك القارئ معنا في إدراك بعض الفروق بين النسختين عمدنا الى استخراج عبارات من مقدمة النسختين ، ونصوص من اوائل واواخر الجزئين وبعض النصوص الداخلية ، وجعلنا هذه النقول على هذا النحو :

١ ـ نص من مقدمة النسخة المطبوعة فيه ذكر سرقة النسخة وليس معه الاهداء الى السلطان عبد الحميد الثاني ، يقابله نص من مقدمة النسخة المخطوطة فيه الاهداء الى السلطان وليس فيه ذكر السرقة .

٢ ـ نص يتضمن نهاية الجزء الاول في النسختين ، وفيه يظهر التوسع في المطبوعة اكثر من المخطوطة .

٣ ـ نص يتضمن بداية الجزء الثاني في النسختين ، وفيه يظهر التقديم والتأخير ، والتوازن والتوسع .

٤ ـ نص يتضمن نهاية الجزء الثاني في النسختين ، وفيه يظهر الفرق واضحا ، اذ اقتضب المؤلف في المطبوعة وأسهب في المخطوطة ، مع ذكر تاريخ الانتهاء من التأليف .

٥ ـ نص عام من النسختين كنموذج للفرق بينهما ، وفيه يظهر كيف قصر في المطبوعة وطول في المخطوطة ويظهر من النص الطويل رأي المؤلف في عدة أمور تاريخية ومعاصرة (ومن هذا النوع كثير في الفرق بين النسختين) .

٦ ـ نماذج من اختلاف العبارات في متن النسختين ، وقد استخرجنا النماذج من المقدمتين فقط . ويمكن القياس عليها في بقية المتن .

وقد أردنا من ذلك ان نوضح للقارئ مدى الاختلاف بين النسختين سواء من حيث النصوص الكاملة او من حيث نسج العبارات والألفاظ .

وفي نهاية هذه المقالة نود أن نطرح سؤالا وهو هل يمكن نشر النسخة المخطوطة على انها الاصلية من (تحفة الزائر) ؟ يبدو أن ذلك

ممكن وواجب لأنها هي النسخة التي وضعها المؤلف اساسا لكتابه وهي التي تعبر عن وجهة نظره في الاحداث وفي والده وفي العلاقات العامة قبل ان تبرد عاطفته وتؤثر فيها بعض مجريات الامور المستجدة ، وقبل أن يفقد بعض مواد الكتاب التي نبه عليها . ولذلك فنحن عازمون على اخراجها الى الناس محققة ان شاء الله ، ولكن هذا لا يمنعنا ، ولا يمنع غيرنا ، من البحث عن النسخة التي كتبت بخط المؤلف اصلا .

الدكتور ابو القاسم سعد الله

أن آربر (امريكا) ، جامعة **ميشيغان**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٥ ـ نصوص من النسختين للمقارنة

من ديباجة النسخة المطبوعة

ولما فرغت من ترتيبه ، وأمعنت النظر في تحريره وتهذيبه ، حصرته في قسمين الاول في سيرته السيفية ، والثاني في سيرته القلمية[٢٦] ، وسميته : تحفة الزائر في مآثر الامير عبد القادر واخبار الجزائر . فسطت عليه يد من لابارك الله بأصله ونسله ، وسرقته عمدا من حرز مثله . جزاه الله على ما ابداه من حسده ، في نفسه وماله وولده ثم شمرتُ عن ساعد الاجتهاد ، لجمع ما تفرق من المواد ، بعد ان فقد منها الاكثر ، وبقي من المسودة مما لايذكر ، فجاء مطابقاً للاصل ، وخاب من الحاسد ، والمنة لله ، الأعلى .

(المقدمة في ذكر جغرافية اقسام المغرب) الخ .

من ديباجة النسخة المخطوطة

وبعد ان انتهيت من ترتيبه وأمعنت النظر في تحريره وتهذيبه ، قدمته لسدة سلطنة ولي النعم ، ومالك ملوك العرب والعجم ، حامي حوزة الملك بالسيف الباتر ، والحزم الوافر والحلم السافر ، والجامع بحسن الابتداء بذكر اسمه الحميد ، وتشنفت السامع بدر وصفه العزيز المجيد ، امير المؤمنين وظل الله على العالمين ، الخليفة الاعظم ، الخاقان الافخم ، السلطان الغازي عبد الحميد خان ، ايده الله بسر الكتاب المبين ، وامد جنوده بالملائكة المقربين

متى أمين لا يرضى بواحدة
حتى اضيف اليها الف أمينا

راجيا ان يحظى بلثم راحته الكريمة ، ويلحظ بعين عنايته الفخيمة ، فيتجلى نجم سعده في سماء الاقبال ، ويتحلى بحلى القبول ويرفل في حلل الكمال ، وسميته : تحفة الزائر في مآثر الامير عبد القادر وأخبار الجزائر ، راجيا ان يطابق اسمه مسماه ، ويقتنيه من جعل الادب غاية مرماه ، فيتخذه في خلوته سميرا وجليسا ، وعلى الله قصد السبيل ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

(المقدمة في ذكر جغرافية اقسام المغرب) الخ .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

نهاية ج ١ مطبوع

وفي غد تلك الليلة (ليلة اجتماع الامير بابن الملك ، الدوق دومال) توجه ابن الملك نحو الجنود الفرنساوية المقبلة من مخيمها الى جامع الغزوات وعند رجوعه تلقاه الامير على جواده الادهم . وبعد ان نزل عنه اهداه اليه مع طبانجته وساعته فقبلهم ، ثم اجتمعا اجتماعا مخصوصا جدد فيه ابن الملك العهد للامير وزاده وثوقا ، واهدى للامير ايضا طبانجته وساعته . ثم سأله عمن يرافقه في غربته الى المشرق فسمى له اهله واولاده وخليفته السيد مصطفى بن التهامي والسيد قدور بن علال وغيرهما من حشمه واتباعه في مائتي نفس . قال بعض مؤرخيهم ان مما يجب الحيرة ويستحق التعجب ان عسكر الامير عبد القادر كاد ان يصل عدده الى الفين من الخيالة وعشرة آلاف من المشاة وقد قاوم به جيشا عظيما من جيوش اكبر دولة من دول اوروبا يبلغ عدده مائة الف وستة آلاف ما بين فارس وراجل مدة ست عشرة سنة الخ .

(وبعد ٢٢ سطرا قال المؤلف :)

وبتسليم سيفه انتهت سيرته السيفية . وهي الجزء الأول ، ويليه الجزء الثاني في سيرته العلمية[٢٧] ، والله ولي التوفيق .

(ص ٣٢٥ ـ ٣٢٦)

نهاية ج ١ مخطوط

وفي غد تلك الليلة توجه ابن الملك نحو الجنود الفرنساوية المقبلة من مخيمها الى جامع الغزوات ، وعند رجوعه تلقاه الأمير على جواده الأدهم . وبعد ان نزل عنه أهداه اليه مع طبانجته وساعته فقبلهم ثم اجتمعا اجتماعا مخصوصا جدد فيه ابن الملك العهد للامير وزاده وثوقا ، واهدى للامير ايضا طبانجتيه وساعته . ثم سأله عمن يرافقه في غربته الى المشرق فسمى له اهله وأولاده وخليفته السيد مصطفى ابن التهامي والسيد قدور بن علال وغيرهما من حشمه وأتباعه في مائتين نفسا .

وهنا انتهت سيرته السيفيه ونشرع في سيرته الكتّبية ، وهي أول الجزء الثاني .

(ص ٤٩٧ ـ ٤٩٨)

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

بداية الجزء الثاني ـ مطبوع

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر ركوب الامير البحر ووصوله الى طولون وما اتفق له مع دولة فرنسا

انه في ثالث يوم وصوله الى جامع الغزوات سار بأهله ومن بمعيته الى المرسى والناس على اليمين والشمال يبكون وينتحبون ، ولم يزالوا على ذلك الى ان ركب البارجة الحربية المعدة لركوبه واسمها (احموده) وتوجه نحو فرانسا ، ولسان الحال ينشد قول ابن ابي لبانة[1] شاعر ابن عباد :

تبكي السماء بمزن رائح غادي
على البهاليل من ابناء عبادي (كذا)

(الخ ١٥ بيتا منها)

ثم ان المسلمين صاروا أسفين تتصعد زفراتهم وتنسكب عبراتهم ، ولا سيما شيعته واهل محبته . كيف لا وقد طار من بينهم من كانوا يستمطرون خيره ويقيهم اعتداء العدو وشره ويحيطهم من كل مكروه ، وينيل كل واحد ما يؤمله ويرجوه ،

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا
أنيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا اهلها فابادنا
صروف الليالي والجدود العواثر

وقد تذكرت هنا ما قاله خاتمة ادباء الاندلس صالح ابن شريف :

بداية الجزء الثاني ـ مخطوط

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر ما اتفق للامير مع دولة فرنسا بعد ركوبه البحر ووصوله الى طولون .

وفي الثالث من وصولنا الى الغزوات سار الأمير بأهله ومن تعين بمعيته الى المرسى والناس على اليمين والشمال يبكون وينحبون ولم يزل الحال على ذلك الى ان ركبنا البارجة الحربية المعدة لركوبنا وسارت بنا نحو فرنسا :

سارت سفائنهم والنوح يصحبها
كأنها ابل يحدو بها الحادي

وبقي المسلمون آسفين تتصعد زفراتهم وتنسكب عبراتهم وتتوقد حسراتهم لا سيما شيعته وأهل محبته فانهم غدا عليهم فراقه بالمكاره وراح ، وضاق عليهم المتسع من أوطانهم والبراح ، وعمهم الجزع والهلوع ، واغب اجفانهم النوم والهجوع ، وكيف لا وقد طار من بينهم من كانوا يرتضعون دره ، ويستطرون خيره ، ويقيهم اعتداء العدو وشره ، ويحيطهم من كل مكروه ، وينيل كل واحد منهم ما يأمله ويرجوه ، ثم أمسوا فرادى لا أنيس لهم ولا جليس ، ولا مال لهم حتى اليعافر والعيس ، كدربهم يفور ويتجدد ، ولسان حالهم يقول وينشد :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لكل شيء اذا مـــا تم نقصـــان
فــلا يغر بطيب العيش انســـان
(الخ .١٢ بيتا) (ص ٤-٥).

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفـــا
انيس ولم يسمر بمكـــة ســـامر
بلى نحن كنـا اهلهـا فـابـادنـا
صروف الليـــالي والجـــدود العـواثر

وقد تذكرت هنا ما قاله شاعر بني عباد عند نكبته الشهيرة :

تبكي السماء بمزن رائـح غـــادي
على البهاليل من ابنا (كذا) عبـادي
(كـــــــــــــذا)
(الخ . ثمانية أبيات .)

نهاية الجزء الثاني - مطبوع

وها هنـا جواد المقال بنا قد وقف ، وأقر لســانُ اليراع بـالعجز عن استقصـاء مناقبه واعترف ، وقصر الباع مع قلة المتاع يوجبـان لهـذا الفقير العـذر ، والم الفراق الـذي لا يطـاق برهـان التبلـد والحصر ، وغاية ما أقول : العـذر عنـد خيـار النـاس مقبول ، والحمد لله في البده والختـام ، وعلى حبيبه الاعظم وآله واصحـابـه افضل الصلاة والسلام .

(ص ٢٠٧) .

نهاية الجزء الثاني - مخطوط

وهنـــا انتهى القلم في تنسيـق مـــا قصدناه ، على الوجه الـذي أردنـاه ، فجـاء بحمده تعالى كتابا كلل الصدق تيجـانـه ، وسلسـل التحقيق غـدرانـه ، ولعبت يـد التهذيب بأغصـان سطوره ، وصقلت وجوه تحبيره فانطبع في طروسه خيال سيرة الامير كأنهـا روض آس ، أو كعـذارى ميـاس ، وابـان عن أخبـاره وأحوالـه ، ومثـل كيف كان في احـوال كبره وفي ايـام اقبـالـه .

وبـذلـك يعرف المطـالع ان محـل الامير من الفضل المحل الاسنى ومقامه من الكمال المقام الاسمى ، وقـد رمت استقصـاء منـاقبـه فوقفت وقوف من افحمه الحصر ، وقصـدت استيعـاب فضـائلـه فـادرك بـاعي القصر ، فـاقتصرت على مـا يوضح الغرض ، ويؤدي في الجملـة مـا يجب علي من حقـه المفترض ، معترفا بقصر الباع ، وقلة الراويـة (كـذا)

وكلال الدراية ، هذا مع ما نحن عليه من شغل البال والتنقل في الحيرة من حال الى حال . وقد وفق الله سبحانه لاتمامه واستنشاق مسك ختامه في منتصف ربيع الأول الانور سنة ١٣٠٧ هجرية وسنة ١٨٩٠ ميلادية . والحمد لله في الابتدا والانتها ، والصلاة والسلام على ذي السنا والبها ، وعلى آله وأصحابه اولي النُّهى ، صلاة وسلاما دائمين متلازمين الى يوم الدين .
(ص ٥٠٢)

نص من ج ١ ـ المطبوع

ولما تولى بابا علي باشا بانتخاب اهل الشورى رفع الى حضرة السلطان احمد عريضة تنبئ بأن وجود والبين في الجزائر موجب للفساد مستلزم للنزاع فقبل ذلك وأمر بأن يكون انتخاب الولاة وعزلهم الى مجلس الشورى ، وأن يكون التصديق على ذلك من السلطنة . وقد تقدم ما كان للحكومة الجزائرية في سالف أمرها من سمو المنزلة وباهر السطوة ، الخ .
(ص ٧٢)

نص من ج ١ ـ المخطوط

الى أن تولى بابا علي رئيسا لمجلس الشورى سنة خمسة عشر ومائة والف . وكان شديد البأس قوي الجأش وله اعداء في نفس الحضرة فتمكن عامل الجزائر من اغرائهم عليه والسعي في تفريق الكلمة فاحس بابا علي بذلك ، واشخص عامل الجزائر الى الأستانة وقتل من وافقه ورفع شكاية الى سدة السلطان احمد خان الثالث معرضا بعدم قبول الجزائر عاملين لما يحدث عن ذلك من النزاع والخلاف فقبل السلطان شكايته وجعل امر التولية والعزل وتنفيذ الاحكام منوطا بالمجلس مع تصديق السلطان وابقاء الرايات والخطبة وضرب المسكوكات باسمه . واستمر الحال على ذلك الى تسلط الفرنسيس عليها . وقد وقع في يدي سكة من تلك المسكوكات مكتوبا على واحد منها سلطان البرين وخاقان

البحرين السلطان ابن السلطان ، السلطان عبد الحميد خان عز نصره ضرب في الجزائر سنة سبع وتسعين ومائة والف وعلى الآخر سلطان البرين وخاقان البحرين السلطان ابن السلطان ، السلطان محمود خان عز نصره ، ضرب في الجزائر سنة اثنتين وثلاثين ومائتين والف . ولذلك فان الدولة العلية الى الآن لا تقر ولا تعترف بتلك الفرنساوية على القطر الجزائري ولا لها وكيلا (كذا) به . واقول ، كما قيل ، الحق مع القوي ، ولكن الدوائر من شأنها ان تدور (ثم نقد لاذع لولاة الجزائر وسيرتهم في الرعية الى استيلاء الفرنسيين على الجزائر . وهو كلام غير موجود في النسخة المطبوعة .)

(ص ١١٥ ـ ١١٦)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تعابير مختلفة للفرق بين النسختين

المطبوعة (من المقدمة)	المخطوطة (من المقدمة)
١ ـ بينا شمس سيادتنا في افق المغرب الاوسط طالعة ...	١ ـ بينا شمس امارتنا في افق المغرب الاوسط طالعة .
٢ ـ وجاءتنا جنود فرنسا من البحر كالذر فطفقنا ندافع عن الوطن بكل حمية ، ونبذل النفوس في حماية سكانه من كل بلية .	٢ ـ وجاءتنا جنود فرنسا من البر والبحر . فطفقنا ندافع عن الوطن بكل حمية ، ونبذل النفوس والنفيس في حماية الاهل والرعية .
٣ ـ فأحاطت بنا جيوش تعدو وتناوش من دولتي فرانسا ومراكش . ولله في خلقه علم الغيب ...	٣ ـ فاحاطت بنا جيوش فرانسا وساموا بضائع راحتنا بخسا . وأبدلوا سعود تلك الايام نحسا ، ولله في خلقه علم الغيب ...
٤ ـ ولما أراد الله تعالى ان لا تثبت في	

وجوههم ، ولا نقوم بدفع صدماتهم وهجومهم ، رأينا التسليم للاقدار اولى ... فالقينا السلاح للفرنساويين بشروط مقررة .. وبالقدر فارقنا البلاد .. الخ .

٥ ـ ثم خرجنا من فرانسا ممتطين غارب البحر الى ان وصلنا اسلامبول المحمية ، دار السعادة ومقر الخلافة الاسلامية . فمكثنا بها سبعة ايام ... الخ .

(١ : ٣ ـ ٤)

٤ ـ ولما تم للعدو تغلبه على الوطن ، ودخل في حوزته من كان ارتحل من اهله ومن قطن ، ولم يعد في وسعنا أن نثبت في وجهه ... رأينا التسليم للاقدار اولى ... فالقينا السلاح اليه بشروط مقررة ... ثم انتقلنا الى فرنسا وفارقنا البلاد ... الخ .

٥ ـ فلبثنا في فرانسا خمسة أعوام ، في اكرام لائق واحترام ، نستنجز من الحكومة سالف عهدها ونترقب وفاء وعدها ، ... فاخذنا نجوب أرضا بعد ارض ... الى ان وصلنا الى الاستانة السنية ، دار السعادة ومحل الخلافة الاسلامية ، فمكثنا بها أسبوعا ... الخ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الهوامش

(١) ـ طبع مرتين : الأولى سنة ١٩٠٣ بالمطبعة التجارية بالاسكندرية (مصر) ، والثانية بمطبعة دار اليقظة ، بيروت ، سنة ١٩٦٤ ، وقد عدنا في هذه المقالة الى الطبعة الاولى .

(٢) ـ من مقدمة الطبعة الاولى من كتاب (تحفة الزائر) ١ : ٧ .

(٣) ـ صدرت الطبعة الثانية بتحقيق الدكتور ممدوح حقي ، سنة ١٩٦٤ . وكان يبدو على التحقيق ، رغم حسن النية ، الارتجال الواضح والعمل التجاري وخدمة بعض أفراد اسرة الأمير عبد القادر اكثر من الخدمة العلمية ، وقد اكتفى الدكتور حقي بقوله عن النسخة المسروقة : « ولو وقع في أيدينا الكتاب الاول لرأينا فيه خيرا كثيرا . » ص (ح) .

(٤) ـ تجمدت العناية بتحفة الزائر والتعريف بالنسخة المفقودة منه ، لاهتمامي بمشروع (تاريخ الجزائر الثقافي) ، الذي صدر منه حتى الآن جزآن (الجزائر ، ١٩٨١) ، ولكن تنظيم جامعة الجزائر لسلسلة من المحاضرات بمناسبة الذكرى المئوية لوفاة الامير عبد القادر جعلني اساهم فيها بمحاضرة بعنوان (عن النسخة الأصلية من كتاب تحفة الزائر) يوم ٤ أيار (مايو) ١٩٨٣ . ومن الخطوط العريضة لهذه المحاضرة كتبت هذه المقالة ، التي لم تنشر .

(٥) - يقول صاحب (الأعلام) ، ٧ / ٨٢ ، « ولعله ولد بدمشق » وهو خطأ واضح . ولاتوجد دراسة وافية عن حياة الامير محمد ، التي ما تزال يكتنفها الغموض رغم قربها منا ووجود بعض أحفاده واقاربه بيننا . ويمكن حصر مصادره في : الاعلام للزركلي ٧ / ٨٢ ، وبروكلمان (الذيل) ، ٢ / ٨٨٧ ، ومعجم المطبوعات لسركيس ص ، ٦٩٤ . وتأليفه هو الخاصة ، اذ فيها سياقة لأحداث حياته في الطفولة والشباب . وقد ذكر صاحب (الاعلام) أن في مذكرات احمد عبيد أخباراً عنه ، ولكننا لم نطلع عليها . وهناك اخبار مطولة عن حياة أسرة الأمير عبد القادر في امبواز ، اثناء الاسر ، وفيها بالطبع اخبار عن الامير محمد ، وذلك في الارشيف الفرنسي الوطني بمدينة ايكس (فرنسا) . وكذلك يوجد عن حياته في كتاب الرحلة الحجازية لمحمد السنوسي التونسي ولا شك ان ارشيف القنصلية الفرنسية بدمشق خلال القرن الماضي يحتوي على أخبار هامة عنه ، لان هذه القنصلية كانت تتبع اخبار المهاجرين الجزائريين وتسجل نشاطهم وأفكارهم .

(٦) - ذكر في (تحفة الزائر) ج ٢ / ١٢ أنه سافر سنة ١٨٦٦ (١٢٨٣ هـ) الى فرنسا وقصد بوردو ، واستعاد ذكريات سجنه هناك وشرب في الفنجان الذي شرب فيه والده القهوة وأقام في الفندق الذي اقام فيه والده ايضا . ووجد ذلك مسجلا هناك . وقد ذكر الامير محمد ايضا ان والده كتب له من الحجاز بكل ما جرى له وشاهده من خروجه من بيروت الى الاسكندرية فالقاهرة فالسويس فجدة فمكة . وهذا يدل على أنه لم يرافق والده في حجته الثانية .

(٧) - (تاريخ الاستاذ الامام) ، ج ٢ / ٦٣٤ .

(٨) - نفس المصدر ، ٢ / ٦١٢ .

(٩) - توفي باسطانبول سنة ١٣٣١ هـ (١٩١٣) . الاعلام ، ٧ / ٨٢ .

(١٠) - أبناء الامير عبد القادر هم : محمد ، محي الدين ، علي ، أحمد ، عبد الله ، عمر ، عبد الرزاق ، الهاشمي ، عبد المالك ، ومحي الدين هو الذي حاول المشاركة في ثورة ١٨٧١ بالجزائر . واصبح علي نائبا عن دمشق في مجلس المبعوثين باسطانبول ، وقتل عمر في دمشق عشية الحرب العالمية الاولى ، ومات الهاشمي الذي كان ضريرا (وهو والد الامير خالد) بالجزائر . وتولى عبد المالك وظيفة فرنسية في المغرب ثم ثار على فرنسا هناك وقتل سنة ١٩٢٤ . وعن المبايعة انظر (تحفة الزائر) ج ٢ / ٢٤٩ .

(١١) - جاءت للمشاركة في احتفالات الذكرى المئوية لوفاة جدها الأمير عبد القادر . وقد نفت لنا ان تكون تملك نسخة خطية من كتاب جدها ، الامير محمد ، (تحفة الزائر) ، كما اكد لنا ذلك الاستاذ محمد الطاهر بن عيشة يوم ٧ ايار (مايو) ١٩٨٣ م ، اذ قال انه

شاهد وصور للتلفزة نسخة من مخطوطة (تحفة الزائر) اثناء حديث أجراه مع السيدة امل عبد القادر الجزائري .

(١٢) - اما الطبعة الثانية بتحقيق ممدوح حقي صدرت بعنوان (تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والامير عبد القادر) ، دار اليقظة ، بيروت ، ١٩٦٤ . ولم ينبه على ذلك العنوان رغم انه ليس من وضع المؤلف .

(١٣) - اعادت طبع هذا الكتاب بـ (دمشق ، ١٩٦٣ ، ط٢) منشورات المكتب الاسلامي على نفقة الشيخ احمد بن الشيخ علي آل ثاني . جعل له الناشر مقدمة ، ورسالة في الخيل ايضا الفها عبد الله بن الحسين مؤسس الدولة الاردنية . وعدد صفحات (عقد الاجياد) في هذه الطبعة ٣٧٦ ص . وكان المؤلف قد فرغ من تأليفه سنة ١٢٩٠ هجرية .

(١٤) - عن مؤلفات الامير محمد باشا ، انظر معجم المطبوعات لسركيس ص ٦٩٤ ، والاعلام ٧ / ٨٢ .

(١٥) - تحدثنا عن ذلك في كتابنا (تاريخ الجزائر الثقافي) ج٢ .

(١٦) - كان منزل الأمير محمد بدمشق ، وقد أصبح ، بعد وفاة والده ومبايعة الاسرة له ، هو مركز النشاط ومقصد الزائرين .

(١٧) - توفي بقصره في دمر ، بضواحي دمشق ليلة السبت ١٩ رجب سنة ١٣٠٠ هـ (٢٤ أيار (ماي) ١٨٨٣ م) ، وحمل الى دمشق في منزل ابنه الاكبر ، الامير محمد ، صاحب (تحفة الزائر) ، وبعد الصلاة عليه في الجامع الأموي حمل الى الصالحية حيث دفن عند قبر الشيخ ابن العربي .

(١٨) - من مقدمة النسخة المطبوعة من كتاب (تحفة الزائر) ١ : ٥ - ٦ .

(١٩) - اعتمد على الخصوص على شرح منظومة (رقم الحلل في نظم الدول) للسان الدين ابن الخطيب ، و (ديوان العبر) لابن خلدون فيا يتعلق بتاريخ المغرب الاوسط وجغرافيته ودوله الاسلامية .

(٢٠) - في هذا دلالة على ان الامير محمد لم يكن يقرأ الفرنسية او غيرها من اللغات « الافرنجية » ولعله تعلم اللغة التركية . ومن الكتب الاجنبية التي استعملها في كتابه بكثرة كتاب شارل هنري تشرشل (حياة الامير عبد القادر) الذي ترجمناه نحن الى العربية ، وطبع طبعتين حتى الآن ، الجزائر ، ١٩٨٢ ، ط٢ . وكتاب الاسكندر بيلمار (حياة عبد القادر) . انظر المدخل الذي كتبناه لترجمتنا المذكورة لكتاب تشرشل .

(٢١) - تحفة الزائر ١ : ٦ - ٧ .

(٢٢) - جاء في النسخة المخطوطة « سيرته الكفية » وليس العلمية ولا القلمية .

(٢٣) ـ هو الدكتور ممدوح حقي .

(٢٤) ـ اطلعنا زميلنا الدكتور صالح خرفي على نسخة خطية من (نزهة الخاطر في قريض الأمير عبد القادر) قد جلبها من دمشق من عائلة الامير محمد نفسه . وعند مقارنة خط (نزهة الخاطر) وخط (تحفة الزائر) وجدناهما متشابهين . وقد يدل هذا على أن خطاط النسختين واحد وان أصول النسختين كانت عند الامير محمد .

(٢٥) ـ يشير صاحب (الاعلام) ج١١ (الخطوط والصور) ، القسم الثاني رقم ١١١٩ ، و ١١٢٠ ، أن نسخة من (تحفة الزائر) بخط المؤلف توجد في المكتبة العربية في دمشق . وقد أورد نموذجا من خطه فيها فاذا هو :

١ ـ فيه شطب واضافة ويدل على قلم عادي وليس قلم خطاط (خلافاً لنسختنا المخطوطة ونسخة نزهة الخاطر التي عند الدكتور صالح خرفي) .

٢ ـ إن فاتحة نسخة المكتبة العربية لا تتطابق (حسب النموذج الذي أورده صاحب الاعلام) مع نسختنا المخطوطة ولا مع النسخة المطبوعة .

فهل بعد هذا يمكن القول بأن نسخة المكتبة العربية هي النسخة الأصل التي سرقت من المؤلف والتي منها خطت نسختنا ؟ الجواب على هذا يتوقف في نظرنا على الاطلاع على نسخة المكتبة العربية ، ونحن لم نفعل ذلك .

(٢٦) ـ كانت العامية ومصلحة القبلية .

(٢٧) ـ في صفحة عنوان الجزء الثاني : سيرته القامية .

(٦) [هو أبو بكر محمد بن اللبانة شاعر المعتمد بن عباد]

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

المعجمات الطبية

(القسم الثاني)

الدكتور نشأت الحارنة

- ٦ -

المصطلحات الطبية في كتاب التنوير

1 ـ الرمد

التنوير : (وجع العين ، أي ورم حار في الملتحم)

وكان ابن ماسويه قد استعمل كلا التعبيرين في (دغل العين) : **الرمد والورم** . بينما لا نجد في (معرفة محنة الكحالين) الا « **الورم** » . .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد استعمل حنين تعبير« **الرمد** » . وكذلك فعل الطبري والرازي وصاحب الذخيرة .

وقد ورد ذكر هذا المرض عند الاغريق : إيتيوس ، بولص ، الاسكندر ، ابقراط ، جالينوس ، ديوستينس .

وقد فرّق الإغريق والعرب بين الرمد الذي يكون سببه (من داخل) فتصاب العين (بالاحمرار والانتفاخ والضربان ودرور العروق)

● نشر القسم الأول من المقالة في مجلة المجمع (مج ٦٠ ص ١٠٤) .

وسموه **الرمد** أو **الورم** أو **الوجع** ونسميه اليوم « التهاب الملتحمة » ، والرمد الذي يكون سببه (من خارج) وسمّوه **التكدّر** ، وهو مانسميه اليوم « تخرش الملتحمة أو احتقانها » .

وفي مرحلة متأخرة[٢] قسموا الرمد إلى أربعة أقسام من حيث أسبابه ، أو إلى ثلاثة أقسام من حيث شدّته .

وفي اللغة : الرمد : وجع العين وانتفاخها . (ابن سيده عن أبي حاتم) وقد رَمِد رَمَداً فهو أرْمَدُ وهي رَمداء . وعينٌ رَمداء ورَمِدَة . وقد أرمدها الله تعالى .

وقد ورد تعبير (أرْمد) في الحديث الشريف (مسند الإمام أحمد بن حنبل[٣][4]) .

2 ـ الطَرْفَة

التنوير : (نقطة حمراء تحدث في العين) .

وقد ذكرها بهذا المعنى حنين والطبري والرازي ولم نجد لها ذكراً في

---

(٢) في نهاية القرن العاشر الميلادي ، وقد اعتمد عليّ بن عيسى التصنيف المبني على أساس شدّة المرض . بينا اعتمد عمّار بن علي التصنيف السببي .

(٣) الجزء الرابع ـ الصفحة ١٥ .

(4) [ورد لفظ (أرمد) في ج ٤ ص ١٥ من مسند الإمام أحمد بن حنبل الطبعة الأولى لكنه ليس من صلب مسند الإمام وإنما هو من كتاب كنز العمال المطبوع في حاشية المسند . أما المصطلح نفسه (الرمد) ومشتقاته فقد تكررت في كتب الحديث أكثر من ٢٥ مرة . وحديث علي كرم الله وجهه الذي أشار إليه المؤلف هو في مسند الإمام أحمد : ١ : ١٨٥ ، ٣٣١ ، ٤ : ٥٢ ، ٥ : ٣٥٤ ، ٣٥٨ انظر المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ٢ : ٣٠٤ ـ ٣٠٥ / المجلة] .

مخطوطات كتابي ابن ماسويه التي رأيناها[٤] .

ومن الإغريق ذكر هذا المرض إيتيوس وبولص وجالينوس وارشيجينيس وكريتون وابولونيوس وهيراس .

والطرفة على حدّ تعبير حنين : (هي دم ينصب في الملتحمة من تمزيق الأوردة التي فيها ... ويقال له : هيپوسفاغا) وهذا التعبير الاغريقي الذي أورده حنين مايزال مستعملاً في الطب إلى اليوم .

ولم يجد التراجمة[٥] في العصر الحديث لهذا التعبير كلمة مناسبة فقالوا : (النزف تحت الملتحمة) مدللين بذلك على عدم معرفتهم للاصطلاح الفني العربي الذي استعمل منذ القرن التاسع .

والقمري في « غنى ومنى » حينما يريد أن يفصّل يعطي تعريفاً وافياً : (دمٌ ينصب إلى الملتحم من انخراق أوردة ، من ضربة أو سقطة أو نحوهما . ويكون في الندرة من مدّة ويقيح .

وفي اللغة لايوجد لهذا الاصطلاح أي معنى آخر[٦] (الثعالبي في فقه اللغة : الطَّرْفة عندهم : أن يحدث في العين نقطة حمراء من ضربة أو غيرها . ويقصد : عند الأطباء) .

3 ـ الظَّفَرَة

التنوير : (زيادة عصبية تنبت من المأق الذي يلي الأنف فتطول

(٤) ثمة مخطوطات من « دغل العين » و« معرفة محنة الكحالين » لم نرها بعد .

(٥) حتى في جامعة دمشق نستعمل (النزف تحت الملتحمة) .

(٦) يستعمل ابن ماسويه كلمة (طرف) ، بمعنى (حركة الجفن) ، وبمعنى (وخز (... » عن الشعر المنقلب » ... ولاتطرف إلا طرفها) يقصد العين .

وتنبسط حتى تغطي سواد العين كلّه) .

وقد استعمل ابن ماسويه وحنين والطبري والرازي وصاحب الذخيرة هذا التعبير ، وقد أورده الثعالبي[٧] في « فقه اللغة » ومانزال نستعمله في اللغة الطبية حتى اليوم .

وقد وصف بولص الظَفَرة . وفي رأي هيرشبيرج أن أحسن وصف للظفرة عند الإغريق هو وصف ايتيوس لها .

و (سواد العين) هو القرنية . ذلك أن شفافية القرنية تسمح بظهور لون القزحية الكائنة خلفها . وهذا اللون ضارب إلى السواد عند الشعوب ذات الشعر الأسود والبشرة غنية الصباغ . بينما تكون القزحية زرقاء أو خضراء عند الشعوب قليلة صبغ البشرة والشعر . وقد استعمل معظم الأطباء العرب تعبير (سواد العين) ، مع علمهم بأن القرنية شفّافة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أما الملتحمة التي تحيط بالقرنية فقد سمّاها بعض المؤلفين العرب (بياض العين) ، ذلك لأن شفافيتها تسمح برؤية لون **الصلبة** الأبيض من خلالها .

فالظَفَرة امتداد أو زيادة من بياض العين تطغى على سوادها .

وقد ورد تعبير (الظفرة) في الحديث الشريف (ابن حنبل)[5]

---

(٧) الثعالبي : الظَّفَر : ظهور الظَفَرة (وهي جُلَيْدة تُغَشّي العين من تِلقاء المآقي ، وربما قطعت . وإن تُركت غَشِيَت العين حتى تكلّ ، والأطباء يقولون لها الظَفَرة . وكأنّها عربية باحتة) (فقه اللغة ١٠٠) .

وكذلك : الفراء وأبو عبيدة والجوهري (عن لسان العرب) ، بهذا المعنى .

(5) [مسند الإمام أحمد ٣ : ١١٥ ، ٣٠١ ، ٥ : ٣ ، ٢٢١ ، ٢٨٦ ، ٤٠٥ المعجم المفهرس / المجلة] .

4 ـ السَّبَل

التنـوير : (أن تنتسـج في العين عروق كثيرة حمر ، حتى تصير شبـه غشاوة تبلغ إلى السـواد ، ويحـدث فيهـا الحكاك) والسبـل هـو أحـد اختلاطات الحَثَر (التراخوم) الذي سماه العرب (جرب العين) .

وقـد عرف الإغريـق (القرحـات القرنيـة) التي تنجم عن الرمـد الحبيبي (الحَثَر = التراخوم) ولكنهم لم يعرفوا السبـل فلم يرد لـه أي ذكر في كتبهم . وقـد عرفـوا أيضـاً اتسـاع الأوعيـة في الملتحمـة العينيـة ، واعتبروها نوعاً من « الدوالي » .

وابن ماسويه هو أول من وصف السبل ، وعنـه نقل حنين والطبري والرازي وصاحب الذخيرة .

وقد حاول البعض أن يفسر عدم معرفـة الأسـاتذة الإغريق للسبل بـأن هـذا المرض لم يكن معروفـاً في بلادهم . بينما كان واسع الانتشار في العراق والشـام ومصر . ومن الـواضـح أن هـذا التفسير لا أسـاس لـه من الصحة فهـذا المرض كان منتشراً في كلّ أرجـاء العـالم القـديم بمـا فيهـا اليونان ، وما يزال .

(والسـواد) الذي يذكره القمري هو (القرنية) .

ابن مـاسويـه : (... الحُمرة التي تُرى في سواد العين في الحجـاب الذي يشبـه القرن ...) (... يرى في الحجـاب الـذي يشبـه القرن شبـه الغمام) (... يعتري الناظرَ غشاوة ...) .

(دغل العين ص ٣٤ من مخطوط تيمور) .

وفي مرحلة متأخرة استُعمل تعبير **الجرب** عند الأطباء[٩] للدلالة على أفة جلدية محددة ناجمة عن كائن طفيلي .

ومن الأطباء الإغريق الذين ذكروا جرب الجفن : بولص وايتيوس وسفيروس .

وقد ربط الرازي بين **الجرب** كآفة مسببة **والسبل** كافة تالية . (الطب المنصوري ـ المقالة التاسعة ـ الباب التاسع عشر) .

وكان سفيروس قد لاحظ أن من جملة أسباب هذا المرض استعمالَ القطرات العينية . وهذا صحيح .

ومن المهم أن نلاحظ هنا أن الباحثين في تاريخ الطب العربي لم ينتبهوا إلى أن وصف بعض أشكال الجرب في كتب الطب العربية لاينطبق على (**التراخوم**) بل على (**الرمد الربيعي**) الذي يصيب الأطفال .

فالصورة السريرية[١٠] للرمد الربيعي نجدها في الفصول المتعلقة بالجرب في كتب الكحل .

(٩) وعن الأطباء ... أخذ اللغويون هذا التعبير باعتباره اسماً لمرض يصيب العين . ابن سيده ينقل هذا التعبير عن ثابت ، وصاحب العين ، وابن السكيت . (المخصص ١ : ١٠٩) .

(١٠) أحد هذه الأمثلة : أن العرب وصفوا أربعة أشكال للجرب ، في الشكلين الثالث والرابع المتميزين بشدة الأعراض الحادة كالدماع والحكة والخوف من الضياء ـ كما نقول اليوم ـ لاحظوا النمو المفرط للجريبات (الحليمات) وتوضعها المتراصّ وأشكالها المضلّعة ، وقد شبهوا ذلك بما يُرى في باطن التين . واستعمل بعضهم تعبير ـ الشكل التيني ـ وكذلك ماوصفه سفيروس : ناجم عن آفة جلدية حبيبية ، سببها تأذي الجفن بالمواد الغريبة الموجودة في الدواء .

وقد أورد ابن سيده تعبير « الجرب » في **المخصص** نقلاً عن **صاحب العين** .

وقال الثعالبي عن الحَثَر : (وأظنه الذي يقول له الأطباء الجَرَب) (فقه اللغة ص ١٠٠) . ولعل الثعالبي هو الذي أوحى لأصحاب (المعجم الطبي الموحد) بأن يغيروا التعبير المستعمل في جامعة دمشق ، وأن يستعملوا مصطلح (الحثر) .

6 ـ السُلاق

التنوير : (حُمرة وصلابة تحدثان في الأجفان ، وتنتثر معها الأشفار) .

ويسمى هذا المرض اليوم باللغات السائدة في عالم الطب Blepharitis ، وترجمته العربية المعاصرة : (التهاب الجفن) .

وقد فطن « حتي » « وحسن كال » في معجميها إلى استعمال كلمة (السلاق) بهذا المعنى فوضعاها مرادفة لكلمة « التهاب الجفن » .

ولما كان هذا المرض يمتاز بوجود الالتهاب في الحافة الحرة للجفن بشكل رئيسي فقد نجد أنه يُعَبَّر أحياناً باستعمال تعبير (التهاب حافة الجفن)[١١] أو (التهاب حواف الأجفان) . وقد شاع استعمال هذين التعبيرين في كتب التدريس في جامعة دمشق ... بينما ظل تعبير (السلاق) بعيداً مجهولاً أو منبوذاً .

---

(١١) خاطر ـ خياط ـ كواكبي ـ معجم المصطلحات الطبية ـ كليرڤيل .

وسبب وجود الالتهاب على أشدّه في حافة الجفن الحرة هو أن مصدر الالتهاب يكون عادة من بصيلات الأهداب أو الغدد الملحقة بها التي تتوضع في سمك حافة الجفن حيث منبت **الأشفار** .

وقد استعمل العرب كلمة (الأشفار) لتدل مرة على (الأهداب) ومرة على (حافة الجفن الحرة) حيث تنبت الأهداب(١٢)(٦) .

---

(١٢) **في كتب الطب :**

أ ـ الشُفْر بمعنى الهدب :

صاحب الذخيرة : (في انتثار الأشفار ، وهي الهدب) وكذلك : حنين ، الطبري ، الرازي ، القمري .

ابن ماسويه : (... وليست هذه أجزاء العين فقط بل الألحاظ والأشفار والحاجبان) يقصد : الأجفان والأهداب « دغل العين ـ الفصل التاسع ـ ص ٢٣ من مخطوط تيمور » .

ب ـ الشفر بمعنى حافة الجفن الحرة :

http://Archivebeta.Sakhrit.com

ابن ماسويه : يصف الحجاب الملتحم : (... وهو ملصق حول السواد كشل اللحم الملصق بالأظافير من حولها ..... مربوط من خارج بالأشفار والموق) نفس المصدر ص ٣٣ .

وفي كتب اللغة :

أ ـ الشفر بمعنى الهدب :

ابن سيده عن صاحب العين ، (المخصص ١ : ١٠٨) [نص عبارته : « صاحب العين : الرَّمَش تفتل في الشفر وحمرة في الجفون .. » / المجلة] .

ابن سيده عن ابن السكيت ، (المخصص ١ : ١٠٨) [نص عبارته : « ابن السكيت : القَمَع بثر يخرج بين الأشفار » / المجلة]

وروى الثعالبي حديثاً بمعنى الشفر = الهدب (فقه اللغة ٩٥) [نص عبارته : « الوَطَف : طول أشفارها وتمامها ، وفي الحديث : إنه كان في أشفاره وطف » / المجلة] .

ب ـ الشفر بمعنى حافة الجفن :

ابن سيده عن ثابت : (الأشفار وهي حروف الأجفان ، وأصول منابت الشعر في =

لذلك فان العَرَض الذي يتميز به هذا المرض ـ وهو سقوط الأهداب ـ عُبّر عنه أحياناً بكلمة « تناثر الأشفار » أو « انتشار الأشفار » فبينما يستعمل ابن ماسويه كلمة (السلاق) يستعمل كل من حنين والطبري كلمة (انتثار الأشفار) . اما الرازي فانه يستعمل المصطلحين كليها .

والقمري نفسه في كتابه **غنى ومنى** يستعمل تعبير (انتثار الأشفار) وبعد أن يصف المرض يقول عنه : (ويسمى السلاق) .

القمري ـ غنى ومنى : (هذا يحدث إمّا لرطوبة في أصل الأشفار وعلامته أن يكون مع الانتثار غلظ في أصولها ، وربما كان مع الانتثار حمرة ، وصلابة في الأجفان . ويسمى السلاق) .

ويلخص صاحب الذخيرة هذه المسألة بقوله : (السلاق : غلظ في

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

= الجفن ، التي تلتقي عند التغميض ، وليست الأشفار من الشعر في شيء) (المخصص ١ : ٩٥)
وبنفس المعنى ابن سيده عن أبي زيد (المخصص ١ : ١٠٤)
وكذلك في لسان العرب عن اللحياني وأبي منصور والجوهري .

(6) [قال ابن قتيبة في « باب معرفة مايضعه الناس في غير موضعه : من ذلك أشفار العين يذهب الناس إلى أنها الشعر النابت على حروف العين . وذلك غلط . إنما الأشفار حروف العين التي ينبت عليها الشعر . والشعر هو الهدب ... فإن كان أحد من الفصحاء سمى الشعر شفراً فإنما سماه بنبتته . والعرب تسمي الشيء باسم الشيء إن كان مجاوراً له أو بسبب منه » (أدب الكاتب . ط . مؤسسة الرسالة ص ٢١) وقال مفسراً العَطَف في حديث أم معبد : « وهو أن تطول الأشفار ثم تنعطف » (غريب الحديث ١ : ٢٧١ ـ ٢٧٢) وقال ابن الأثير تعليقاً على هذا الحديث : « وأرادت بالأشفار شعر الأشفار ، فحذفت المضاف » (منال الطالب في شرح طوال الغرائب ص ١٨٦) / المجلة]

الأجفـان وحمرة وانتشـار الأشفـار) . والطبري يستعمـل تعبير (غلـظ الجفون) .

وفي الحقيقة فقد تسقط الأهداب بسبب التهابي (السلاق) ، وقد تنتثر لأسبـاب أخرى (بعض الأمراض التي تقع في اختصـاص الأمراض الجلديـة) . وقد ميّز علي بن عيسى (في آخر القرن العاشر الميلادي = الرابع الهجري) بين هـاتين الصـورتين المرضيتين ، فـأفرد للسـلاق البـاب السادس عشر من المقالة الثانية ، بينما خصص لانتثار الهدب الباب الثاني عشر من نفس المقالة من كتابه تذكرة الكحالين .

وفي الطب الحديث نميّز بين مراحل عديدة في سير (التهـاب حواف الأجفان) . فالمرحلة الأولى تمتاز بالوذمة والاحمرار وغلظ حافة الجفن . وقد يبدأ فيها تساقـط الأهـداب . والمرحلـة الثـانيـة تتميز بظهور القشور بين الأهداب ملتصقة على حافة الجفن وتسقط فيها الأهداب . والمرحلة الثالثة تتميز بتقرح حـافـة الجفن ثم اندمـال هـذه القروح ، ونـدرة وجود الأهداب على حافة الجفن .

وعلى ذلك فغلظ الأجفان هو العرض الرئيسي في المرحلة الأولى من هذا المرض . فإذا كان هذا العرض طاغيـاً على الأعراض الأخرى ـ وكثيراً ما نشاهد ذلك في الممارسة الطبيـة ـ وجـدنـا تفسيراً لعلي بن عيسى الـذي أفرد (لغلظ الأجفان) بـابـاً خـاصـاً (البـاب التـاسع عشر من المقـالـة الثانية) معتبراً إياه مرضـاً مستقلاً ، ومميزاً إيـاه عن تسمّك الجفن المرافق للجرب وعن (جسـأ الجفن) الـذي هو جزء من تظـاهرة مرضيـة تشمـل الجفن والملتحمة .

ويشهد هيرشبرغ بأن وصف علي بن عيسى للسلاق أحسن من وصف بولص للمرض نفسه .

وفي كتب اللغة يتضح لنا أن اللغويين نقلوا عن الأطباء هذا الاستعمال الفني للتعبير .

أبو زيد : الانسلاق ، هي حمرة تعتريها فتقشّرُ منها . (المخصص ١ : ١٠٨) .

أبو حاتم : اللَّحَح : التزاق في العين وصُلاَق (المخصص ١ : ١١٠) .

7 ـ الشعر المنقلب

التنوير : (أن ينبت بعض أشفار العين مائلاً إلى داخلها فيؤذيها وينخسها) .

وفي نسخة أخرى : (أن تنقلب بعض أشفار العين ، أو تنبت زائدة في طرف الجفن الأعلى ، فتؤذي وتنخس) .

ونميل إلى اعتبار أن التعريف الأول هو الأصل .. ذلك أن ثمة فرقاً بين (الشعر الزائد) (والشعر المنقلب) .

فقد ذكر المرضين كليهما بولص ، وايتيوس نقلاً عن سفروس . وكذلك فعل علي بن عيسى . ومن قبله ابن ماسويه[١٢] وحنين .

والشعر المنقلب في التسمية اللاتينية هو Entropium بينما الشعر

(١٢) ابن ماسويه : نبات شعر في غير موضعه (معرفة محنة الكحالين) و (الانقلاب إلى داخل) (إذا انحنت الأجفان إلى داخل) في (دغل العين) ، (معرفة محنة الكحالين) .

(الماء : رطوبة غليظة تنعقد في ثقب العين الذي منه يتأدى إليها حسّ البصر) .

فعبارة التنوير تلخص أعراض المرض التي يرويها المريض ، دون أن تصف طبيعة الآفة .

والماء هو مانسميه اليوم (السّاد) وهو تكثف البلورة = Catatact .

وقد ظن القدماء أن الماء (غشاوة طارئة) تأخذ لها مكاناً بين العنبية والجليدية أي أنها تتوضع خلف القزحية وأمام البلورة ـ على حد تعبيرنا اليوم ـ وهذا غير صحيح . ولم يُعرَف أن السادّ مرض يصيب البلورة نفسها إلا في القرن الثامن عشر[١٥] .

وإذا درسنا بدقة الأوصاف التي ذكرها المؤلفون العرب للماء ، وأنواعه العديدة ، وأعراضه ، وإنذاره وجدْنا أنهم وصفوا أيضاً أمراضاً لاعلاقة لها بالسادّ ولا بالبلورة ، ظنّاً أنها أنواع من الماء . وليس هذا مجال التفصيل في ذلك الموضوع[١٦] .

9 ـ القَرْح

التنوير : (القرح الحادث في العين : أن يحمّر موضع منها ، أو تحمّر كلّها ويكون في مكان واحد فضل حمرة) .

---

(١٥) أول من عرف أن السادّ مرض يصيب البلورة نفسها . وبرهن على ذلك هو الطبيب الفرنسي بريسو Brisseau عام ١٧٠٥ .

(١٦) ومن هذه الحالات :

الزرق Glaucoma وبعض أمراض الجسم الزجاجي .

وفي مرحلة متأخرة استعمل اصطلاح **الأثر** للدلالة على الندبات القرنية السطحية ، **والبياض** للدلالة على الندبات الأشد .

كما نجد تسميات أخرى منها (السحاب) (الغمام) (القتام) للدلالة على ندبات القرنية أو قروحها .

وقد وصف بولص هذا المرض .

ونحن اليوم(١٨) لانستعمل إلا تعبيراً واحداً : (ندوب القرنية) .

11 ـ الغَرَب

التنوير : (ناصور يحدث مأق العين) .

وقد استعمل المؤلفون العرب لفظ (الغَرَب) للدلالة على عدة حالات : انتباج كيس الدمع (القيلة) ، والتهابه دون أن يتقيح ، وتقيحه ، وتنوسره إلى الجلد .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد وصفه بولص وايتيوس وسفروس وارشيجانس .

ولعل أحسن وصف لغَرَب وأكمله هو ما أورده السجزي في القرن الرابع عشر الميلادي في كتابه (حقائق أسرار الطب) .

(الغرب : ورم في الموق الإنسي من العين ، وقد يصير صلباً ، وقد يصير خراجاً(7) فيتفجر ، ويصير ناصوراً ، فما دام لم يتفجّر سمي خراجاً وإذا تفجّر سمي غَرَباً) .

---

(١٨) في كتب التدريس في كلية طب دمشق .

(7) [خُراج بالتخفيف كغراب ورم يخرج بالبدن من ذاته والجمع أخرجة وخرجان . تـاج العروس ؛ مـادة خرج . وانظر كشـاف اصطـلاحـات الفنـون للتهـانوي ١ : ٤٠٩ ـ ٤١٠ / المجلة] .

والسجزي هنا يختصر ماقاله حنين .

وقد استعمل الرازي في المنصوري كلمة ناصور بينما جاء في الحاوي : ناصور ، وخراج ، وغرب .

وقد استعمل حنين كلمة ناصور إلى جانب كلمة غرب .

والغرب في الأصل لها في اللغة معنىً مختلف ، ولكن أئمة اللغة تبنوا الاستعمال الجديد الذي وضعه الأطباء .

الثعالبي : (الغرب عند أئمة اللغة ورم في المآقي . وهو عند الأطباء أن ترشح مآقي العين ، فيسيل منها إذا غمزت صديد ، وهو الناصور أيضاً) (فقه اللغة ١٠٠) .

12 ـ الرشح

ARCHIVE

التنوير : (سيلان الدموع من العين بغير إرادة ويسمى الدمعة أيضاً) .

ابن ماسويه في معرفة محنة الكحالين استعمل تعبيري (الدمعة) و (السيلان) . وكذلك الرازي .

أما حنين فقد استعمل هذين التعبيرين في العشر مقالات ، أما في المسائل فقد استعمل اصطلاح (السيلان) . وكذلك فعل الطبري .

أما تعبير الرشح فجاء في الحاوي مقتبساً عن جالينوس . والتعبير لحبيش بن الأعسم وقد أجازه حنين .

وقد وصف الإغريق هذا المرض ولم يعرفوا سببه الحقيقي الذي هو انسداد القنية الدمعية بين فوهتها على حافة الجفن (النقطة الدمعية)

وكيس الدمع : بولص ، سلزوس ، ايتينوس .

والطبيب الاغريقي الوحيد الذي عَرَف انسداد قنية الدمع هو ليكوس Lykos . وربط بين هذا الانسداد والسيلان . ولكن جالينوس لم يأخذ بذلك . وقد اتبع المتأخرون من المؤلفين الإغريق جالينوس .

وكان الأطباء الإغريق يظنّون أن اللحية الدمعية Caruncula lacrimalis تشكل سدّادة تمنع سيلان الدمع الفائض ، فإذا نقصت هذه (اللحية) سال الدمع .

جالينوس ، حيلة البرء ، المقالة الرابعة عشرة (الرشح هو سيلان الدموع دائماً إذا نقصت اللحمة التي في المأق الأعظم) .

جالينوس ، منافع الأعضاء ، المقالة العاشرة (الرشح والدمعة والسيلان هو أن تسيل الفضول دائماً من المأق الأكبر ، وذلك يكون لنقصان اللحمة الموضوعة فيه) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومن تعبير جالينوس هذا المحفوظ في « الحاوي » يتضح أن القمري استعمل تعبير (الرشح) نقلاً عن الحاوي .

وتوحي لنا عبارة جالينوس بأن التعابير الثلاثة : (الرشح ، الدمعة ، السيلان) قد تكون حالات ثلاثة متدرجة لشدة غزارة الدَّمَاع ، أخفُها الرشح فإذا زاد فهو الدمعة ، وإذا زاد كثيراً سُمّي السيلان .

ونجد في « الحاوي » تعبيراً آخر نقله الرازي عن « مجهول » يستعمل عبارة « رطوبة العين » مقرونة « بالدمعة » . ولعل المقصود بهذا التعبير

هو درجة خفيفة من « الدماع » أقلّ من « الدمعة » ، وهي هنا تناسب « الرشح » إذا صَحّ تفسيرنا لعبارة جالينوس .

ويستعمل ابن ماسويه في « معرفة محنة الكحالين » تعبير « البِلَّة » بمعنى الدمعة . وكذلك الطبري في « فردوس الحكمة »[١٩] .

(والدماع) هو التعبير العصري عن حالة غير طبيعية يسيل معها الدمع من العين على الخدّ . وينسجم هذا مع استعمال الكلمة في اللغة : (الدماع : ماء العين من عِلّة أو كِبَر) . (لسان العرب) .

13 ـ المورسرج

التنوير : (خروج الحدقة وزوالها عن مكانها) .

وهذا المرض يستدعي وجود « التصاقات أمامية » بين القزحية والقرنية أو « تفتق قزحي » كما نعبر اليوم ، تنحرف فيه الحدقة عن مكانها المركزي وتتشوه استدارتها . وقد تكون هذه الآفة خلقية وقد تكون طارئة ، ناجمة عن التهاب او انبثاق قرحة قرنية أو بسبب جرح في القرنية .

حنين ، **المسائل** (مسألة : على كم جهة يكون **زوال الحدقة** ؟

جواب : على جهتين : إما بالطبع ، وإما بالعرض .

والذي يكون بالعرض يكون إذا انخرق الحجاب القرني في غير موضع الحدقة والتحم الخرق ...) .

وقد استعمل حنين في « العشر مقالات » كلا التعبيرين زوال

(١٩) فردوس الحكمة لابن ربن الطبري المطبوع بتحقيق الصديقي ص١٧٧ .

الحدقة ، والمورسرج .

أما يوحنا بن ماسويه فقد قال في « معرفة محنة الكحالين » « اعوجاج الناظر » مشيراً إلى انحراف الحدقة عن موقعها المركزي وإلى تغيّر شكلها الدائري . بينما استعمل في « دَغَل العين » تعبير المورسرج أو المورسرق .

وبسبب اشتراك القزحية والقرنية في هذه الآفة نجد أن بعض المؤلفين أورد ذكر هذا المرض حينما ذكر أمراض القرنية (ابن ماسويه ، معرفة محنة الكحالين) بينما أورده بعضهم الآخر حينما عدد أمراض القزحية (حنين ، المسائل في العين) .

أما التعبير « مورسرج » الذي كتبه بعض الناسخين خطأ (موسرج ، موسرق) باهمال الراء وأشاروا بذلك حفيظة بعض المستشرقين الذين وصفوا هذا بأنه تشويه للأصل الفارسي للكلمة فهو مأخوذ عن الفارسية مور Mor سرك serek ومعناه : رأس النملة .

وبعض المؤلفين ذكر التعبير مترجماً : « رأس النملة » دون أن يذكر اللفظ الفارسي .

والأصل في هذا التعبير يوناني . فقد استعمل الأطباء الإغريق تعبير « رأس الذبابة » للإشارة إلى الحالة نفسها . وهم يريدون بذلك تشبيه تفتق القزحية الصغير جداً برأس الذبابة .

وتفتق القزحية هو تبارز جزء منها إلى الأمام حيث يلتصق بالقرنية عند موضع انبثاق القرحة أو ينحشر بين شفتي الجرح القرني

الصغير . فإذا خرجت القزحية ووصلت إلى الوجه الأمامي للقرنية نقول عن ذلك « تفتق » وإذا ظلّت في مستوى الوجه الخلفي للقرنية نقول عنه « التصاق أمامي » .

وقد استعمل ابن ماسويه التعبير الفارسي كما ورد (مورسرج مورسرق) بينما وضع إلى جانبه ترجمة للتعبير اليوناني (رأس الذبابة) . (ابن ماسويه ، دغل العين ، الباب ١٧) .

وقد صنّف الإغريق هذا المرض حسب درجته فذكروا عدة حالات : البسيطة منها لايبدو فيها تغيير في القرنية ، والشديدة منها يتغير فيها شكل القرنية فتتبارز منطقة فيها إلى الأمام وتبدو كالعِنَبة(8) (عِنَبة = Staphyloma) ، فإذا كبرت هذه العنبة تظاهرت في الفرجة الجفنية حتى بعد إطباق الجفنين .

وقد تأثر المؤلفون العرب بالإغريق فاقتبس علي بن عيسى عن بولص دون أن يتقيد بتصنيفه . بينما أخذ ابن سينا عن بولص وأيتيوس . وقد وصف هذا المرض أيضاً جالينوس والاسكندر .

---

(8) [يقول الرازي في أمراض ثقب العنبية « أما اعوجاج ثقب العنبية فإنه لايضر بالبصر البتة ويعوج من أجل قرحة حدثت بالقرنية فإذا كانت صغيرة نتأ شيء قليل من العنبي وهو المورسرج فيعوج بذلك ثقبها ولايضر بالبصر ، وإن نتأ شيء كثير أبطل البصر لأن ثقب العنبي يبطل البتة .. » الحاوي ٢ : ٢٠ .

وابن سينا كالرازي يستعمل لفظ (العنبية) للدلالة على طبقة من طبقات العين فإذا حدث فتق أدى إلى خروجها سمي هذا الفتق « النملي والمورشارج والذبابي وذلك بحسب العظم والصغر وإن كان أزيد من ذلك حتى تظهر حبة العنبية سمي العنبي ، وما هو أعظم سمي التفاحي فإذا خرجت العنبية حتى حالت بين الجفنين والانطباق سمي المساري وإن ابيضت العنبية فلا برء له » القانون ٢ : ١٢٢ ط . بولاق / المجلة]

وأما الأصناف التي ذكرها العرب فهي : النمليّ ، الذبابيّ ، العنبيّ ، النُفاخيّ ، المساريّ ، الفلكيّ[٢٠] .

وقد رتبنا هنا هذه الأصناف حسب فداحة الآفة . ويجب أن نعرف أن المؤلفين العرب لم يتفقوا في وصف وتصنيف الدرجات المختلفة من هذه الإصابة شأنهم في ذلك شأن الإغريق .

14 ـ الانتشار

التنوير : (اتساع الناظر من الجوانب كلها حتى يلحق ببياض العين) ونستعمل اليوم تعبير « توسع الحدقة » Mydriasis .

وكان ابن ماسويه قد استعمل تعبيريّ **الاتساع والانتشار** .

أما حنين فاستعمل تعبيرين أخرين : **اتساع الحدقة ، واتساع ثقب العينية** .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد استعمل الطبري اصطلاح **الانتشار** .

بينما استعمل الرازي في المنصوري كلا التعبيرين **الانتشار والاتساع** .

والثعالبي في فقه اللغة يستعمل هذا الاصطلاح كما أورده الأطباء . ويكاد ينقل ماقاله القمري : (والانتشار عند الأطباء أن يتسع ثقب الناظر حتى يلحق البياض من كل جانب) .

ونجد وصفاً لهذه الحالة عند بولص وايتيوس واوريباسيوس .

---

(٢٠) تشبيهاً لها بالنُفاخة ، ورأس المسمار ، وفلكة المغزل .

وقد ذكر المؤلفون القدامى عدداً من الأسباب لهذه العلة وعلى ذلك فقد صنّفها بعضهم مع جملة أمراض القزحية بينما صنّفها بعضهم الآخر مع أمراض العصب البصري أو الروح الباصر .

وفي وصفهم لهذه الحالة نكتشف جملة من الأمراض التي وصل تطورها إلى مرحلة العمى النهائي دون أن يتغير منظر العين اللهمّ إلا اتساع الحدقة ، ومن بينها الزّرَق المطلق ، وليس هذا مجال التفصيل في هذه المسألة .

15 ـ الشَعيرة

التنوير : (ورم مستطيل في الجفن يشبه الشعيرة) .

وشكل هذا الورم مستطيل لأنه يأخذ شكل الغدة المصابة أو شكل قناتها . فهو التهاب في إحدى غدد الجفن الملحقة بالهدب .

وقد استعمل ابن ماسويه وحنين والرازي هذا التعبير .

ومن الإغريق وصف هذا المرض جالينوس وبولص وأيتيوس .

ونستعمل في مصطلحاتنا اليوم التعبيرَ نفسَه .

16 ـ الجَسَأ

التنوير : (يَبَس يحدث في الأجفان فيعسر فتحها وقت النوم) .

وهذا التعريف ينسجم مع ماأورده القمري في **غنى ومنى** : (إذا عَسُر على الإنسان فتح عينيه بعقب النوم ، وصارت كأنها ملئت رملاً أو

تراباً فذلك من اليبس الحادث فيها)[٢١] .

بينما يقول حنين : (واعلم أن الانتفاخ والجسأ والحكة ليست هي من أمراض الأجفان خاصّة ولكن من أمراض الأجفان والحجاب الملتحم) (حنين ، المسائل ، ص ٦١ ، المسألة ١٦٠) .

(مسألة : ماالجسأ وما علامته ؟

جواب : أمّا ماهيّته فانه صلابة تعرض في **العين كلّها** ، وربما شاركت الأجفان ، وأما علامته فأنه تعسُّر له حركة العين ، ويعرض لها تمدّد ووجع وحمرة ويعسر فتحها وقت الانتباه من النوم ، ويحدث جفوف شديد ، ولاتنقلب الأجفان لصلابتها ، وربما اجتمع في المأق رمص يسير صلب جافّ) .

وفي المقالات العشر يورد حنين نصاً شبيهاً ويضيف : (... ويقال لهذه العلّة باليونانية سقليروفثالميا) .

ويبدو جليّاً هنا أن القمري ينقصه الوضوح الذي أتى به حنين .

والرازي في « المشجرة » يصنف الجسأ ـ أسوة بالحكة والانتفاخ ـ مع أمراض الملتحمة .

وقد استعمل تعبير « الجسأ » كل من الطبري وصاحب الذخيرة : (الجسأة) .

وقد حفظ ايتيوس نصّاً مأخوذاً من ديموستينس يصف هذا المرض

(٢١) الاستعمال الطبي الحديث لهذا التعبير يختلف تماماً عن استعماله التاريخي . ويعني اليوم « صولبة القرنية » أي تحوّل نسيجها بحيث يشبه نسيج الصلبة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تأثر به ابن سينا .

وكذلك نجد وصفاً للجسأ عند بولس .

وفي اللغة : الجسأ : هو اليبس أو الصلابة أو الغِلَظ أو الخشونة .

« عن الوسيط » ينقله البكري أما الثعالبي فيقول : (الجُسأة : أن يعسُر على الإنسان فتح عينيه إذا انتبه من النوم) (فقه اللغة ١٠٠)

17 ـ العشا

التنوير : (العشا : أن لايبصر بالليل) .

وقد استعمل ابن ماسويه إلى جانب هذا التعبير التعبير الفارسي معرّباً « الشبكوة »[9] . كما استعمل تعبير « العشاوة » .

وقد ذكر حنين صفة العليل مستعملاً التعبير الفارسي معرّباً « شبكور » بمعنى « أعشى » .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

حنين : (ويقال لصاحب هذه العلة شبكور وبالعربية أعشى) .

وقد استعمل الطبري وصاحب الذخيرة تعبير العشا . بينما أورد الرازي التعبيرين العربي والفارسي المعرّب .

وقد وصلتنا نصوص إغريقية في وصف هذا المرض لبولس وايتيوس واوريباسيوس وارسطاطاليس . كما ذكر عدد آخر من المؤلفين

---

(9) [« الشَبْكرة : تعطل البصر ليلاً مركب من شب أي ليل ومن كور أي أعمى ومنه شبكور بالكردية » الألفاظ الفارسية المعربة لادي شير ص ٩٨ . ولم يرد هذا اللفظ في المعرب للجواليقي / المجلة] .

معالجات عديدة لهذا المرض : ديوسقوريدس ، جالينوس ، الاسكندر ، تيوفيلوس)[٢٢] .

وبالفارسية شَبْ S̆ab تعني الليل و كور kūr تعني أعمى ، والثعالبي يتبنى تعريف القمري للعشا بنصّه .

وابن سيده ينقل عن ثابت : العشا والعَشَاء .

18 ـ الجَهَر

التنوير : (الجهر : أن لايبصر بالنهار) .

وقد استعمل ابن ماسويه هذا التعبير في كتابيه .

أما حنين فقد استعمل في « المسائل » التعبير الفارسي « روز كور » .

(حنين ، المسائل ، المسألة ٢٠٣)

(... ويقال لمن يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار روز كور)[10] .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولم يستعمل حنين تعبير « الجَهَر » وكذلك الرازي في « المشجرة » فقد اكتفى باستعمال « يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار » . بينما ورد في الحاوي هذا الاصطلاح « روز كور » . (الحاوي ٢ : ١٩٦) .

وقد وصف أيتيوس هذا المرض .

---

(٢٢) هيرشبرغ في تعليقه على عليّ بن عيسى التزجمة ص ٢٥٢ .

(10) [لم يرد هذا اللفظ في المعرب للجواليقي ولا في الألفاظ الفارسية المعربة لادي شير / المجلة] .

وكلمة « روز » تعني بالفارسية « النهار » بينما كلمة « كور » تعني « أعمى » .

والثعالبي يستعمل كلمات القمري نفسها .

19 ـ الخفش

التنوير : (أن يبصر بصراً خفيفاً كما يبصر الخفاش) .

وفي **غنى ومنى** لم يرد هذا التعبير . وقد عالج القمري فصلاً بعنوان : (ضعف البصر) وصف فيه أربع حالات مختلفة الأسباب والعلامات من هذا المرض : تتظاهر جميعها بضعف البصر .

أحد هذه الأشكال منسوب إلى جالينوس : (قال جالينوس : رأيت كثيراً ممن استقصى النظر في الشمس في وقت الكسوف وغيره فصار لايبصر شيئاً ، وأشرف على العمى) .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولم يستعمل أحد من المؤلفين في الطب قبل القمري هذا الاصطلاح[11] .

وكان الرازي قد أورد في الحاوي اصطلاحاً مشتقاً من (خَفَشَ) وبمعنى مختلف تماماً : (... ومن انخرقت عيناه ذهب بصره ، وذلك أن الرطوبة البيضية تسيل ، وتنخسف وتخفش عيناه) (الحاوي ٢ : ٤١٠) .

وفي الكتاب الفاخر المنسوب إلى الرازي ورد تعبير « الأخفش » .

(11) [قال الرازي « من كتاب العلامات لجالينوس قال : من الناس من لايبصر بالليل جيداً ولا يبصر بالنهار جيداً ويسمون باسم الخفاش » الحاوي ٢ : ١٧٠ / المجلة] .

وقد عالج الكثيرون موضوع « ضعف البصر » فمثلاً علي بن عيسى يفرد لضعف البصر الباب الثاني والعشرين من المقالة الثالثة .

وقد ورد اصطلاح « ضعف البصر » عند الطبري وصاحب الذخيرة .

وقد ورد وصف « ضعف البصر » عند جالينوس وايتيوس .

وفي اللغة يتفق ابن سيده والثعالبي على تعريف الخفش بأنه : (صغر العينين وضعف البصر) وينفرد الثعالبي بقوله : (ويقال إنه فساد في العينين يضيق له الجفن من غير وَجَع ولاقرح) (فقه اللغة ٩٦) .

ويضيف ابن سيده : (ومن ذلك اشتق اسم الخفّاش لأنه يَشُقّ عليه ضوء النهار) (المخصص ١ : ١٠٥) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

20 ـ الحول

التنوير : (ميل العين إلى أحد الجانبين) .

وقد استعمل يوحنا بن ماسويه هذا الاصطلاح . بينما استعمل حنين إلى جانبه اصطلاحاً آخر (مَيَلان) .

ولم يستعمل الطبري أو صاحب الذخيرة اصطلاح الحول بينما ورد هذا الاصطلاح في الحاوي .

وقد وصف هذا المرض من المؤلفين الإغريق جالينوس وبولس .

والحَوَل في اللغة هو ميل العين إلى الأعلى أو إلى اللحاظ ، على رأي ثابت الذي ينقله ابن سيده بينما ميل العين إلى ناحية الأنف هو القَبَل

على رأي ثابت . أما أبو عبيدة فيورد الحول أيضاً بمعنى الميل إلى المَحْجَر كالقَبَل (المخصص ١ : ١٠١) (والمحجر هو العظم الذي يحيط بالعين من أسفل) .

ونرى من هنا أن تسمية الاتجاه الذي تميل العين إليه أمر لم يتفق عليه أئمة اللغة .

وإذا أردنا أن نورد آراءهم المختلفة فهي كثيرة . ولامجال لذكرها هنا .

21 ـ الجحوظ

التنوير : (زوال جميع العين من مكانها ويسمى نتوء العين أيضاً) .

وهذا التعبير استعمله ابن ماسويه الذي استعمل أيضاً اصطلاح (النتوء) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكذلك استعمل صاحب الذخيرة هذين الاصطلاحين اللذين لم يرد ذكرهما عند الطبري .

وقد أورد حنين في المقالات تعبير نتوء العين .

أما الرازي فقد استعمل في المنصوري والحاوي اصطلاح (الجحوظ) : وهو نتوء جملة العين .

ومن الأساتذة الإغريق ورد وصف الجحوظ عند بولس وايتيوس واوريباسيوس .

ويشهد هيرشبرج أن وصف ابن سينا لهذا المرض يفوق في وضوحه

ماأتى به الإغريق جميعاً[12] .

والمعجم الوسيط يورد كلمة الجحوظ مرادفة للنتوء والبروز .

ويقول ابن سيده : الجِحاظ : خروج المقلة وظهورها . جَحَظ ـ يَجْحَظُ ـ جُحوظاً (المخصص ١ : ١٠١) .

وإذا أردنا أن نجمل باختصار شديد بعض الملاحظات حول كتاب التنوير بمقدار ماتسمح هذه الدراسة المتواضعة المقتصرة على اصطلاحات أمراض العين ، فإننا نذكر مايلي :

١ ـ يتميز هذا الكتاب بالاختصار الشديد الذي يفوق كل المؤلفات الأخرى .

٢ ـ لم ينجم عن هذا الاختصار قصور في المعنى المراد إلا في حالات نادرة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(12) [قال ابن سينا في وصفه للجحوظ : « قد يقع الجحوظ إما لشدة انتفاخ المقلة لثقل بها وامتلائها ، وإما لشدة انضغاطها إلى خارج ، وإما لشدة استرخاء علاقتها والعضلات الحافظة لعلاقتها المذكورة . والواقع لشدة انتفاخ المقلة لثقلها وامتلائها فإما أن تكون المادة في نفس العين ريحية أو خلطية رطبة وربما كان الامتلاء خاصاً بها وربما كان بمشاركة الدماغ أو البدن مثلما يعرض عند احتباس الطمث للنساء . والذي يكون لشدة انضغاطها إلى خارج فكما يكون عند الخنق وكما يكون عند الصداع الشديد وكما يكون بعد القيء والصياح وللنساء بعد الطلق الشديد ... وأما الكائن لاسترخاء العضلة فلأن العضلة المحيطة بالعصبة المجوفة إذا استرخت لم تقل المقلة ومالت إلى خارج . والجحوظ قد يكون من استرخاء العضلة فقط فلا يبطل البصر وقد يكون مع انهتاكها فيبطل البصر . وقد يجحظ العينان في مثل الخوانيق وأورام حجاب الدماغ وفي ذات الرئة . ويكون السبب في ذلك انضغاطاً . وقد يكون السبب في ذلك امتلاء أيضاً . وأكثر مايكون مع دسومة وتورم في القرنية » القانون ٢ : ١٢٩ ـ ١٣٠ ط . بولاق / المجلة] .

٣ ـ لقد نقل الثعالبي تعبير القمري بنصه في حالتين .

٤ ـ لم ينفرد القمري باصطلاح خاص غير وارد عند المؤلفين الذين عاشوا قبله إلا باصطلاح واحد هو (الخَفَش) حيث استعمله بمعنى مختلف عن المعنى الذي ورد في الحاوي .

٥ ـ إن عدد الأمراض التي ذكرها القمري أقل بكثير من تلك التي وردت في المؤلفات الخاصة بالكحل . ولكنها تتناسب مع العدد الذي نجده في كتب الطب العامة .

وعلى ذلك فهي أقل منها في كتابيّ ابن ماسويه أو كتابي حنين بينما يتناسب عددها مع ما ورد في فردوس الحكمة أو الذخيرة .

للبحث صلة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رسالة يعقوب الكندي

في اللُّثغة

تحقيق الأستاذ محمد حسان الطيان

مقــدمة

اللثغة مرض من أمراض الكلام التي عنيت بها الدراسات اللغوية الحديثة (اللسانيات) وأصبح لها شأن كبير في مجال الصوتيات التجريبية ، حتى لقد أحدثت أقسام خاصة في الجامعات العالمية لدراسة ظواهرها والتخصص بها[1] . ولقد كانت لعلماء العربية مشاركة في هذا الباب إلا أنها على مايبدو اندثرت وضاعت مع ماضاع من كنوز تراثنا ، ولم يبق منها إلا آثار تدل عليها ، كالذي في البيان والتبيين للجاحظ والكامل للمبرد[2] . وقد أتيح لي مؤخراً أن أقف على رسالة مخطوطة متخصصة بهذا الفن ـ أعني اللثغة ـ وضعها فيلسوف العرب يعقوب بن إسحاق الكندي ، ولا أعلم أحداً خص هذا الفن برسالة سوى الكندي .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(١) وكانت جامعة الجزائر أول جامعة عربية قفت أثر الجامعات العالمية في هذا ففي معهد العلوم اللسانية والصوتية التابع لها تخصص يمنح بموجبه خريج الطب درجة الماجستير في علم أمراض الكلام بأحد فرعيه : السمعي الصوتي أو اللساني الكلينيكي .

(٢) انظر كتاب العربية ليوهان فك ترجمة د . رمضان عبد التواب . فقد تتبع فيه المؤلف مواضع ذكر اللثغة في كتب المتقدمين . ص ١٢٢ ومابعدها . وانظر البيان والتبيين ١ / ص ١٤ وما بعدها ، وص ٣٤ ـ ٤٠ . وانظر الكامل للمبرد : ٢ / ١٩٢ ـ ١٩٥ .

وقد تكشف لنا قادمات الأيام عن مؤلفات أخرى تنحو هذا النحو ، إلا أن رسالة الكندي هذه تبقى على غاية الأهمية لقدمها من جهة إذ يعود تأليفها إلى القرن الثالث الهجري ، وتخصصها بهذا الجانب من العلوم دون سواه من جهة أخرى[٣] .

ودع ذا فإن مؤلفها نهج فيها نهجاً فريداً في وصف حروف العربية وتتبع هيئات النطق بها وما يعترض ذلك من حركات وسكنات ، هذا النهج يعيد إلى الأذهان عمل الشيخ الرئيس ابن سينا في رسالته أسباب حدوث الحروف[٤] ، ولعل ابن سينا صدر في رسالته تلك عن عمل الكندي في رسالته هذه ، إلا أن وصف ابن سينا لمخارج الحروف كان أقرب إلى وصف الطبيب المشرح ، في حين برز في وصف الكندي عمل الفيلسوف الفيزيائي ، وفي كل خير .

ويتضح لنا مدى الصلة بين كلا الرجلين إذا علمنا أن المجموع الذي وجدت فيه رسالة الكندي عليه تملك منسوب إلى ابن سينا هذا نصه : « هذا الكتاب كان لأبي علي الحسين بن عبد الله بن سينا ، وصنف من رسائل كثيرة والله أعلم » . بل إن الأمر ليتعدى التملك إلى ما هو أهم منه

(٣) ولعل من المفيد أن أذكر أن لها نسخة وحيدة في العالم تسنى لي الاطلاع عليها في المكتبة السليمانية باستانبول ، فصورتها مع مجموعة من رسائل الكندي . وقد وهم بروكلمان أو المترجم في تسميتها فدعاها : « رسالة في اللغة » وهي « رسالة في اللثغة » انظر تاريخ الأدب العربي لبروكلمان (الترجمة العربية) : ٤ / ١٣٦ .

(٤) وقد نهضت والزميل يحيى مير علم بتحقيقها ونشرت ضمن مطبوعات المجمع عام ١٩٨٣ م .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

أعني الناسخ الذي نسخ المخطوط فقد كتب تحت العبارة السابقة بخط مغاير مانصه : « وذكر أن هذا الخط خط الشيخ الرئيس حجة الحق شرف الملك أبي علي الحسين بن عبد الله بن سينا رحمه الله .. » ثم كررت هذه العبارة أيضاً بشكل عرضي وبخط جميل إلا أنه ممسوح غير بيّن .

أردت أن أخلص من كل ذلك إلى أن الرسالة التي بين أيدينا أثر من آثار التراث النفيسة ينبغي أن تأخذ محلها بين كنوز التراث المحققة ، وقد بذلتُ وسعي في تقويم ماتآد من عباراتها[٥] وشرح ماشمس من معانيها ، وآثرت أن أنشرها على مابقي فيها من علات - في النقص والتحريف - عسى أن يهتدي الباحثون إلى نسخة أخرى تتم نقص هذه وتقيم منآدها . والله الموفق .

وصف النسخة

تقع رسالة الكندي هذه في مجموع كبير يضم رسائل مختلفة لثابت بن قرة ويعقوب الكندي ، وهو محفوظ في المكتبة السليمانية في استانبول تحت رقم (٤٨٣٢) وتبلغ عدة أوراقه : (٢٣٢) ورقة من القطع المتوسط : (٢٢×١٢) . تشغل هذه الرسالة الأوراق (٢١٦ - ٢١٨) إلا أن نصف الصفحة الأولى منها ممسوح لم يظهر منه سوى عنوان الرسالة تحت البسملة : « رسالة يعقوب الكندي في اللثغة » .

---

(٥) لابد لي هنا من تسجيل شكري العميق لأستاذنا العلامة أحمد راتب النفاخ لما تفضل به من مقابلة النص وحل بعض المشكلات المستعصية فيه . فجزاه الله عن العربية وأهلها خير ماجزى عالماً عن قومه ولغته .

أما الخط الذي كتبت به الرسالة فهو قديم يعود إلى المئة الخامسة على وجه التقريب ، فحروفه يابسة والتنقيط قليل وطريقة كتابة الأعداد توحي بقدمه[٦] . وقد أثبتُ فيمايلي نموذجاً يظهر فيه بداية الرسالة وخطها ورسم بعض الأرقام فيها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٦) هذا تقدير الأستاذ الفاضل عدنان جوهرجي وهو صاحب اختصاص لاينكر في هذا الباب .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ظهر الورقة [٢١٦ ب]

وجه الورقة [٢١٧ أ]

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة يعقوب الكندي في اللُّثغة(١)

. . . .

معه الشاملة له ، فلما تكاملت هذه الثلاثة الأشراج(٢) وائتلفت كان النطق ، فلما ظهر النطق بحركات مختلفة مرة برفع ومرة تضع(٣) بجزم ومرة بتسريح العضو الذي هو آلة للنطق مثل مقاديم(٤) الأسنان وصدر الحنك والأرحية(٥) واللهوات وخارج الأسنان والشفتين ، فمتى تغيرت آلة النطق وزالت عن الأماكن الواجبة للنطق فسد لذلك المنطق ، وأتى بخلاف ما قصد له الناطق .

فلما كانت هذه اللغة لازمة للنطق في القليل من الناس احتاجت اللغة إلى رباط يحويها ويمسكها لنظر مافي حقيقتها يعرف مقصودها من

(١) كتب هذا العنوان في وسط الصفحة بعد تمام رسالة الكندي في استخراج المعمى ، وماتحته بياض في الأصل ، غابت فيه مقدمة الرسالة إلى قوله في الصفحة التالية : « معه الشاملة له .. » وهو مابدأنا بنسخه هنا .

(٢) لعلها جمع شرجة أو شريج وهي اللدة المماثلة . وإذا شق العود بتصفين فأحدهما شريج الآخر . انظر أساس البلاغة للزمخشري مادة (شرج) .

(٣) كذا في الأصل ولعل فيها تحريفاً .

(٤) في الأصل المقاديم الأسنان . ولايصح . والمقاديم جمع مُقْدِم ومُقدِّم وهي مااستقبلت من الأسنان .

(٥) الأرحية جمع رحى وهي الأضراس وتجمع على أرحاء أيضاً وهو الأصح . انظر اللسان (رحى) والمخصص : ١ / ١٤٦ ـ ١٤٧ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الصواب والخطأ ، فربطها الفاعل الأولي[٦] باثنين وعشرين حرفاً[٧] تحويها وتنبي عن حقائقها لإظهار مافي الحكة ، وذلك أن الحاجة ماسة إليها ، ولعلة أخرى أيضاً إذ كانت المكاتبة تحتاج إليها حاجة شديدة ليُدوّن بها علم الظاهر والباطن ، فأما العلم الظاهر البيّن فعلم سقراط وأفلاطون ، والعلم الباطن فعلم موسى وسليمان بن داود . ولعلة أخرى أيضاً ، وذلك إذا كان الإنسان بالقرب من صاحبه ، وناطقه صاحبه بشيء فهم عنه وأجابه عن كلامه ، وإذا كان في بعد لايسمع منه فالحاجة في ذلك ماسّة إلى المراسلة .

فإذا كثر الخطب إلى المكاتبة ، فلهذه العلة ربط الفاعل الأول اللغات كلها ، كل لغة بقدر ماتحتاج تستعمل من الحروف ، وذلك أن منها مايحتاج إلى ثمانية وعشرين حرفاً وهي لغة العرب[٨] ، ومنها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٦) كذا وردت في الأصل وقد تكررت بعد أسطر بصيغة الفاعل الأول .

(٧) نص بعض المتقدمين على أن أصل وضع العربية على اثنين وعشرين حرفاً ومابقي فهو روادف وإلى ذلك أشار ابن النديم في كلامه على القلم العربي :
« اختلف الناس في أول من وضع الخط العربي فقال هشام الكلبي : أول من وضع ذلك قوم من العرب العاربة نزلوا في عدنان بن أد . وأساؤهم : أبو جاد ، هواز ، حطي ، كلمون صعفض ، قريسأت . هذا من خط ابن الكوفي ، بهذا الشكل والإعراب وضعوا الكتاب على أسمائهم ، ثم وجدوا بعد ذلك حروفاً ليست من أسمائهم وهي : الثاء والخاء والذال والظاء والشين والغين . فسموها الروادف .. » الفهرست ص ٧ . طبعة طهران .
وفي المعجم الوسيط : أما ثخذ وضظغ فحروفها من أبجدية اللغة العربية وتسمى الروادف المعجم الوسيط : (أبجد) . وانظر مقال الدكتور عدنان الخطيب « المعجم العربي » في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق مج ٤٠ ج ٢ ص : ١٩٢ ـ ١٩٩ .

(٨) جمهور اللغويين على أنها تسعة وعشرون حرفاً بما في ذلك الهمزة . انظر الكتاب : ٤ / ٤٣١ (ط . بولاق : ٢ / ٤٠٤) ومعجم تهذيب اللغة : ١ / ٤٨ وسر صناعة الإعراب : ١ / ٥٢ .

مايحتاج إلى ٢٤ حرفاً وهي لغة اليهود[٩] ، والنصارى مثل ذلك ، وزعموا أن لغة الفرس تحتاج إلى ٣٦ حرفاً[١٠] ، ولغة الهند ٢٥ حرفاً ، ولغة الزنج اثنا عشر حرفاً ، ولغة الفراعنة ٢٢ . فقد بيَّنا زيادات اللغات ونقصانها .

نقول في علل الحروف ، وفي أي الحروف منها تعرض اللثغة

نقول : إن تعسّر اللسان عن الحال الجاري المجرى الطبيعي يكون من عرَضين لازمين ؛ إما من تشنج ، وإما لاسترخاء .

فأما التشنج فهو أن يأتي الإنسان بألفاظ غير تامة .

وأما الاسترخاء فهو أن يأتي الإنسان بألفاظ زائدة خارجة عن الجاري المجرى الطبيعي على غير نظام .

فأما التشنج فمثل القائل في موضع الراء اللام[١١] ، ومثال ذلك قول القائل في موضع السين الشين . ومن الكلام مالا يحصى كثرة . ونحن واصفون بعون الله جل ذكره ، وبادون بالأصل في الوصف[١٢] لدلائله بأكثر مانقدر عليه من بيان ماتحتاج إليه العربية ، لأن ليس لغة أفصح ولا أعرب ولا أخف من اللغة العربية .

---

(٩) حروف اللغة العبرية اثنان وعشرون حرفاً كما تشير إليه المصادر الحديثة . انظر دروس اللغة العبرية للدكتور ربحي كمال : ص ٦٤ - ٥٦ .

(١٠) حروف الفارسية اثنان وثلاثون حرفاً كما تبين المصادر الحديثة وهي حروف العربية نفسها يضاف عليها أربعة حروف هي (پ - چ - ژ - گ) انظر اللغة الفارسية للدكتور جواد مشكور ص ٧ .

(١١) رسمت في الأصل : الا ، والصواب ماأثبتّه .

(١٢) تحرفت في الأصل إلى : الواصف . [وبادون : مخففة من بادئون] .

نبدأ بعون الله ومنّه في نعت الألف لأنها أول مجيء الفاعل الأولي واللغة الأولى .

تقول : إن **الألف**(١٣) تحتاج إلى نغمة(١٤) وفتحة ورد طرف اللسان إلى صدر الحنك ، وإخراج نَفَسٍ يسير بين الشفة السفلى والأسنان العليا .

الباء : تقول في الباء : إنها تحتاج إلى نغمة مع ضم الشفتين وفتحها بهمزة(١٥) .

الجيم : تقول في الجيم : إنها تحتاج إلى نغمة مع ضم جانبي اللسان إلى جانبي الأرحية والحنك وضم الشفتين وفتحها بكسرة .

الدال : تقول في نعت(١٦) الدال : إنها تحتاج إلى نغمة مع همزة بطرف اللسان على طرف الحنك ومقاديم اللسان وفتحة ثم عطفة اللسان إلى داخل طرف الحنك .

الهاء : تقول في نعت الهاء : إنها تحتاج إلى نَفَسٍ يخرج من عمق الرئة فتحة وهمزة اللهوات بمبدأ نغمة ووقفة .

الواو : تقول في نعت الواو : تحتاج الواو إلى نغمة مع جمع الشفتين

(١٣) يعني بالألف هنا الهمزة لأن الألف المصوتة تخرج من إطلاق الهواء سلساً غير مزاحم . كما يقول ابن سينا انظر أسباب حدوث الحروف لابن سينا (تح حسان طيان ويحيى مير علم / دمشق ١٩٨٣) : ٨٤ ، ١٢٦ .

(١٤) النغمة جرس الكلمة ولعل المقصود بها هنا مجرد التصويت أو الصوت الساذج لأنها تتكرر في وصف كل الحروف . وقد جاء في كتب اللغة : سكت فما نغم بحرف .

(١٥) الهمز هنا بمعنى الضغط ومنه الهمز في الكلام لأنه يضغط . وقد همزت الحرف فانهمز . انظر اللسان : ٥ / ٤٢٦ .

(١٦) استدركت عبارة (في نعت) في هامش النسخة .

وتضييقها[١٧] حتى يخرج نفس[١٨] خفي وفتحة وجمعة أخرى كالأولى .

الزاي : تقول في نعت الزاي : تحتاج إلى نغمة مع إلزام طرف اللسان و[١٩]مقدم الأسنان ، وإخراج النفس خروجاً يسيراً من بين الأسنان بزمزمة[٢٠] .

الحاء : تقول في نعت الحاء : تحتاج إلى نفس يخرج مع الحنك بتنحنح مسرع مضغوط بأصل اللسان واللهوات مع رأس المري وفتحة .

الطاء : تقول في نعت الطاء : تحتاج إلى همزة شديدة بطرف اللسان على مقدم الأسنان بلا نفس وفتحة .

الياء : تقول في نعت الياء : تحتاج إلى نغمة مع إلزام جانبي اللسان جانبي الأرحية بكسرة[٢١] وإخراج نفس يسير وفتحة .

الكاف : والكاف تحتاج إلى إلزام جانبي اللسان على أول الأرحية وفتحة ، وإلزام الأسنان العليا الشفة السفلى مع إخراج نفس يسير من بين الأسنان[٢٢] العليا .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

اللام : تقول في نعت اللام : تحتاج إلى نغمة مع إلزام طرف اللسان صدر الحنك وفتحة ، وإلزام الشفتين بعد ذلك .

الميم : تقول في نعت الميم : تحتاج إلى نغمة وإلزام الشفتين ورفعها وردها ثانية إلى لزوم بكسرة .

---

(١٧) الكلمة غير بينة في الأصل والأشبه بالصواب ماأثبتّه .

(١٨) وردت في الأصل : (النفس) .

(١٩) الواو مقحمة لامعنى لها . والعبارة ينبغي أن تكون : « مع إلزام طرف اللسان مقدم الأسنان .. » .

(٢٠) الزمزمة : صوت خفي لايكاد يفهم ولعلها هنا تتابع هذا الصوت .

(٢١) في الأصل : (لكسرة) .

(٢٢) في الأصل : (أسنان) والألف واللام زيادة يقتضيها النص .

النون : تقول في نعت النون : تحتاج إلى نغمة مع إلزام رأس الحنك ومقاديم الأسنان[٢٣] وتطويل الشفتين وتضييقها وفتحها تامة ورد رأس اللسان إلى صدر الحنك .

السين : تقول في نعت السين : تحتاج إلى إلزام طرف اللسان مقاديم الأسنان العليا ، وإخراج نَفَسٍ من بين الأسنان خفي يسير ، فإن زاد ذلك النفس قليلاً[٢٤] من المقدار الواجب له لم تجئ منه سين ، ويكون ذلك مع كسرة ورد اللسان إلى الحنك بهمزة .

العين : تقول في نعت العين : تحتاج إلى نغمة مع نفس يمتد[٢٥] إلى اللهاة ويقف معها فهمزة اللسان إلى اللهوات وفتحة بالغلصمة ، وكسرة ، ورد اللسان إلى صدر الحنك .

الفاء : تقول في نعت الفاء : تحتاج إلى نفس يخرج من بين الأسنان العليا مع تركيب الشفة السفلى على الأسنان العليا وفتحة ونغمة بعد .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

الصاد : تقول في نعت الصاد : تحتاج إلى قدر[٢٦] يسير من نَفَسٍ يخرج من بين اللسان والحنك فيما بين الأسنان العليا بهمزة فيما بين اللسان وصعد مقاديم الأسنان والحنك وفتحة .

القاف : تقول في نعت القاف : تحتاج إلى إلزام الغلصمة الخياشيم لزوماً شديداً ، وتفرق فيما بين ذلك بدفع النفس بقوة وفتحة ، وإسبال

---

(٢٣) جاءت هذه الكلمة في نهاية السطر وبعدها رحمت (الـ) وكأن هناك كلاماً محذوفاً والعبارة على كل حال ناقصة والوجه أن تكون : (مع إلزام رأس اللسان رأس الحنك ومقاديم الأسنان) يدل على ذلك قوله فيما بعد : (ورد رأس اللسان إلى صدر الحنك) .

(٢٤) في الأصل : (قليل) ولاتصح .

(٢٥) في الأصل : (يبدوا) وهو تحريف .

(٢٦) تحرفت في الأصل إلى (قوى) ولا معنى لها .

الشفة العليا على الأسنان السفلى وإخراج النفس مما بين ذلك .

الراء : تقول في نعت الراء : إنها تحتاج إلى تحريك رأس اللسان على تفرُّج الحنك .

الشين : الشين تحتاج إلى إلزام [اللسان][٢٧] جانبي الحنك والأرحية وإخراج نفس شديد فيما بين ذلك وكسرة ، وهمزة طرف اللسان على مقاديم الأسنان وصدر الحنك .

التاء : تحتاج إلى إلزام طرف اللسان مقاديم الحنك وبسط اللسان على الحنك كله (تلك اللسان بدفع النفَس لحيه)[٢٨]

فرغنا من حروف اللغة[٢٩] بعون الله .

نبدأ فيما بقي من حروف ا ب ت ، ث :

[الثاء][٣٠] : تحتاج ردّ رأس اللسان إلى الأسنان العليا وإخراج النفس فيما بين ذلك ونغمة وفتحة .

الخاء : تحتاج إلى إخراج نفس وإلزام وسط اللسان تفريج الحنك واللهوات ومما يلي الخياشيم ، وتقطيع النفس فيما بين ذلك بالحركة والتدافع له .

الذال : تحتاج إلى غمزة بطرف اللسان على الأسنان العليا ، وردّ رأس اللسان إلى صدر الحنك .

---

(٢٧) زيادة يقتضيها السياق .

(٢٨) في العبارة خلل واضح ، وقد أبقيتها كما هي في الأصل .

(٢٩) وهي حروف : (أبجد ، هوز ، حطي ، كلمن ، سعفص ، قرشت) وعددها اثنان وعشرون حرفاً ، أما بقية حروف العربية الستة وهي الروادف فسيأتي الحديث عنها .

(٣٠) ما بين الحاصرتين زيادة يقتضيها السياق .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الضاد : تقول في نعت الضاد : تحتاج إلى إلزام طرف اللسان مقاديم الأسنان ، وإخراج النفس من وسط اللسان على الأرحية وجانبي الشدق وفتحة ، وردّ رأس اللسان إلى الحنك بهمزة .

الظاء : تقول في نعت الظاء : تحتاج إلى إخراج نفس مع إلزام طرف اللسان والأسنان العليا وفتحة ونغمة بعد ذلك .

الغين : تقول في نعت الغين : تحتاج إلى إخراج نفس مع النغانغ[٣١] ووسط اللسان ، وكسرة وردّ اللسان إلى الحنك .

تمّ قصصنا في نعت الحروف ومايجب لها من الحدود بعون الله .

ونحن بادون في عرضنا من تبيان علل اللثغة .

اعلم ياأخي ـ فدتك نفسي ـ أن اللثغة تظهر في لغة العرب في عشرة أحرف للمسنين ، والأصاغر في أكثر من ذلك في المنطق . ولقد عسر على الشيوخ أن يعلموا مااللثغة وما العلة في الطفل أنه إذا قلت بين يديه مرة ومرتين خبراً حكى قولك في ذلك وهو لايعلم أين ينبغي له أن يضع لسانه من الأماكن الواجبة النطق التي قدمنا ذكرها في صدر كتابنا هذا في نعت الحروف ومايجب لها . وقد لخصنا في ذلك قدر الطاقة ، والعلة التي حدتنا إلى ذلك ليعرف حقيقة ماقصدنا من ذلك ويعود علمه على السامع له .

فأما العشرة حروف فهو هذا الذي أنا ذاكرها منها :

(٣١) النغانغ : لحمات تكون في الحلق عند اللهاة ، واحدها نغنغ وهي اللغانين .

العين ، والسين ، والشين ، والكاف ، والصاد ، والجيم ، والحاء ، والراء ، والقاف ، والزاي[٣٢] .

واعلم ياأخي أن اللثغة إنما تعرض من سببين إما لنقصان آلة النطق وإما لزيادتها فلا تقدر [على][٣٣] تسريح الأماكن الواجبة للنطق مثل مقاديم الأسنان وجميع الأماكن الواجبة للنطق .

فأما الحروف التي تعرض فيها اللثغة من قِبَل زيادة العضو فهي[٣٤] : السين ، والصاد ، والجيم ، والزاي ، والشين ، تعرض في الزيادة والنقصان . وقد تعرض اللثغة أيضاً من جهة أخرى من ضعف العضو المنطقي ، وليس هذا مما يجري في الأكثر وإنما يحدُّ الشيء بالحد الأكثر ، وذلك أن الفلاسفة حدّوا الإنسان أنه حي ناطق ميت ومنهم من زاد في الحد العقل ، فلما زادوا العقل في الحدّ أخرجوا من حدّ الإنسانية من كان جاهلا . وقد ترى إنساناً أخرس[٣٥] فليس بلغي الحد بالإنسانية لأنه ليس بناطق وهذا محال ، ولكن لايقع الحد إلا على الأكثر كما قلنا مراراً .

نريد الآن أن نسمّي[٣٦] هذه الأعراض اللازمة كل واحد مما يجب أن

---

(٣٢) اقتصر الجاحظ في كلامه عن اللثغة على أربعة أحرف هي : القاف والسين واللام والراء انظر البيان والتبيين : ١ / ٣٤ ط . هارون .

وجعلها ابن الأنباري في ستة أحرف . قال فيما نقله عنه الرافعي في تاريخ آداب العرب ١ / ١٦٠ : « اللثغة تكون في السين ، والقاف ، والكاف ، واللام ، والراء ، وقد تكون في الشين . » .

(٣٣) زيادة يقتضيها السياق .

(٣٤) في الأصل : (فهو) .

(٣٥) وردت في الأصل (أخرسا) ولا وجه لها .

(٣٦) في الأصل : (نسمى إلى) ولا وجه لها .

يسمى : التأتاء[٣٧] **المتمتم** ، واللاثغ بالجيم يقال له : **المدموم**[٣٨] ، واللاثغ بالراء يقال له : **ذا العقل**[٣٩] ، واللاثغ بالغين يقال له : **المناغي العَيّ** ، واللاثغ بالقاف يقال له : **ذا الحبس**[٤٠] ، واللاثغ بالفاء يقال له : **الفأفاء**[٤١] .

وهاهنا علتان أخريان ، وهي **الأخن**[٤٢] **والألكن**[٤٣] ، وإنما تعرض هاتان العلتان من غلط آلة النطق وهو اللسان وسعة الخياشيم ، والعلة في ذلك أن العضل المحركة لهذا العضو لاتطيق حمله وتحركه وتنقله عن الأماكن الواجبة للنطق فيعرض من ذلك اللكن[٤٣] . وأما الأخنّ فإن النفَس يسبق إلى الخياشيم .

---

(٣٧) هذه الكلمة غير بيّنة في الأصل ، وقد رجحت أنها التأتاء ، لأن المتم أو التمتام هو اللاثغ بالتاء .قال الجاحظ : « وقال الأصمعي : إذا تتعتع اللسان في التاء فهو تمتام .. » البيان والتبيين : ١ / ٣٧ وجاء في اللسان : « والتمتمة : رد الكلام إلى التاء والميم .. ورجل تمتام » اللسان : ١٢ / ٧١ (تمم) وكذا في المخصص لابن سيده : ٢ / ١١٨ .

(٣٨) لم أعثر عليها في المعجمات بهذا المعنى .

(٣٩) قال الجاحظ : « ويقال في لسانه عقله ، إذا تعقل عليه الكلام » البيان والتبيين : ١ / ٣٩ .وجاء في متن اللغة ٤ : ١٦٧ « اعتقل لسانه : امتسك ولم يقدر على الكلام » .

(٤٠) جاء في المخصص ٢ : ١٢٢ « ابن السكيت : في لسانه حبسة أي تحبُّس » .

(٤١) قال الجاحظ : « وإذا تتعتع في الفاء فهو فأفاء » البيان والتبيين : ١ / ٣٧ وكذا في المخصص : ٢ / ١١٨ . واللسان (فأفأ) .

(٤٢) رجل أخنُّ أي أغنُّ مسدود الخياشيم .. والخنخنة : أن لايبين الكلام فيخنخن في خياشيه .

(٤٣) في الأصل : (والأكن) وهو تحريف صوابه ماأثبتّه ، يدل على ذلك قوله فيما بعد (اللكن) وقد جاء في المخصص ٢ : ١١٨ ـ ١١٩ « والألكن الذي لايقيم العربية من عجمة في لسانه والأنثى لكناء وقد لكِنَ لكَناً ولُكْنة ولُكونة » .

تمّ تبيان الأسماء بعون الله .

نريد أن نبين من أي العلل يعرض ذلك

اعلم ياأخي أن هذه تعرض من ثلاثة وجوه :

أحدها : تكون لقوى النفس الناطقة فيزول عن الحال الجاري المجرى الطبيعي .

الثاني : لضعف النفس الناطقة ، فلا تقدر أن تحرك العضل تحريكاً شديداً فيفسد لذلك النطق .

والوجه الثالث : يكون إما لزيادة آلة النطق وإما لنقصانه . فأما علة زيادة العضو المنطقي فتكون من البرد والرطوبة ، أو من الحرارة والرطوبة مع سعة مجاري العضو فتدمّ آلة الطبيعة أكثر مما يجب له من المقدار فيغلظ العضو ويكبر ، ويفسد النطق لذلك ، وذلك أنه يسترخي .

وأما نقصان العضو المنطقي فيكون من برد ويبس ، أو من حرّ ويبس مفرط ، وتعرض هذه العلة أيضاً من جهة أخرى وهو أن العضو المنطقي يغلظ أكثر من المقدار ، ويصغر ويزيد أكثر من المقدار ، فلا يقدر العضو المنطقي أن يستريح على الأماكن الواجبة للنطق فيفسد لذلك المنطق .

وهذه العلة [و][44] التي قبلها واحدة في الزيادة والنقصان ، وذلك

---

(٤٤) زيادة يقتضيها السياق .

أن العلة الأولى تزيد وتنقص في الطول ، والعلة الثانية تزيد وتنقص في العرض .

وينبغي لقارئ هذه الرسالة أن يتدبرها بعقله ، فإنه يصح له منها علم كثير .

تمت رسالة الكندي في اللثغة

والحمد لله رب العالمين والصلاة على محمد وآله .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

القمري وكتابه « غنى ومنى »

وفاء تقي الدين

مازلت مذ سنوات عاكفة على موسوعة ابن سينا الطبية « القانون » أحاول استخراج مافيها من مصطلحات علمية . وقد جعلني عملي هذا آلفُ الطب العربي ومصطلحاته ، وأطلعني على جانب مشرق من جوانب تراثنا العربي لم ينل من الدرس والعناية مانالته العلوم الأخرى كاللغة والتاريخ وغيرهما ، فرغبت في الاطلاع على مزيد من المؤلفات العربية في هذا العلم . وكان أن لفت الأستاذ الدكتور شاكر الفحام نظري إلى كتاب طب عربي لم ينشر بعد - وهو أهل لهذا - ولم يحظ باهتمام دارسي تاريخ الطب العربي ، وهو كتاب « غنى ومنى » للقمري . فأحببت أن أزيل عنه بعض مانزل به وبمؤلفه من حيف ، وأن أعرف بهما ولو في صفحات قلائل .

- ١ -

المؤلف

اسمه :

هو أبو منصور الحسن بن نوح القمري . وجاء اسمه في مخطوط الظاهرية لكتاب « غنى ومنى » ذي الرقم ٧٨٨٣ الحسين بن نوح القمري . وفي كشف الظنون لحاجي خليفة ورد اسمه مرة الحسين ومرة الحسن[1] . وذكر الدكتور سامي حمارنة في فهرست مخطوطات الظاهرية الاسمين

معاً فقال : « الحسين (ولعله الحسن) .. »[٢] والأرجح ماذكرته أولاً .

أما نسبته « القمري » فقد ضبطتها المراجع ضبط قلم بضم القاف وسكون الميم . وانفرد الصفدي في كتابه الوافي بالوفيات بضبطها بفتحها[٣] . والقُمري بالضم نسبة إلى قُمْر وهي بلدة بمصر ، أو موضع وراء بلاد الزنج ، أو هي نسبة إلى مسجد قُمْرية غربي مدينة السلام . أما القَمَري بالتحريك فهي نسبة إلى القَمَر . ولم تذكر المعاجم ولا كتب الأنساب صاحبنا الطبيب في أي من النسبتين[٤] .

حياته ووفاته :

عاش هذا الطبيب في بخارى ، ولعله قد ولد فيها في أوائل القرن الرابع الهجري . ترجم له ابن أبي أصيبعة في الباب الحادي عشر من كتابه « عيون الأنباء في طبقات الأطباء » وهذا الباب هو في طبقات الأطباء الذين ظهروا في بلاد العجم ، قال فيه :

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

« أبو منصور الحسن بن نوح القمريّ : كان سيد وقته وأوحد زمانه ، مشهوراً بالجودة في صناعة الطب ، محمود الطريقة في أعمالها ، فاضلاً في أصولها وفروعها . وكان ـ رحمه الله ـ حسن المعالجة ، جيد المداواة ، متميزاً عند الملوك في زمانه[٥] ، كثيري الاحترام له . وحدثني الشيخ الإمام شمس الدين عبد الحميد بن عيسى الخسروشاهي[٦] أن الشيخ الرئيس ابن سينا كان قد لحق هذا وهو شيخ كبير ، وكان يحضر مجلسه ، ويلازم دروسه ، وانتفع به في صناعة الطب .. »[٧] .

لم يذكر ابن أبي أصيبعة سنة ولادته ولاسنة وفاته ، ولكننا نستنتج من الطبقة التي وضعه فيها بعد أبي بكر الرازي[٨] وقبل ابن سينا أنه

عاش في القرن الرابع الهجري . كما نستطيع أن نحدد تاريخ وفاته بأواخر هذا القرن . لأن ابن سينا المولود سنة ٣٧٥ هـ يقول عن نفسه إنه انتهى من تحصيل العلوم كلها وهو ابن ثماني عشرة سنة[٩] . وقد اختلفت المراجع في تحديد السنة التي توفي فيها القمري ؛ فابن أبي أصيبعة لم يذكر عنها شيئاً كما أسلفنا ، وإسماعيل البغدادي صاحب هدية العارفين ذكر أنها سنة ٣٨٠ هـ[١٠] ، وهي أيضاً عند بروكلمان ٣٨٠ هـ = ٩٩٠ م[١١] ، وعند فؤاد سزكين ٣٩٠ هـ = ٩٩٩ م[١٢] ، وعند سامي حمارنة ٩٩٢ م[١٣] . والغريب أن البغدادي نفسه جعلها ـ في كتابه إيضاح المكنون ـ سنة ٨٥٧ هـ[١٤] وردت هكذا بالأرقام والكلمات ، ولا أشك في أن هذا إنما هو خطأ من المؤلف . والذي أميل إليه هو التاريخ الذي ذكره سزكين أي سنة ٣٩٠ هـ وذلك للسبب الذي ذكرته قبل وهو تتلمذ ابن سينا على القمري .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لقد سخر القمري عمره المديد لخدمة مهنة الطب وللتخفيف من آلام المرضى . فكان طبيباً معالجاً متخصصاً ، لا حكيماً فيلسوفاً موسوعياً . قد حصر همه في علم الطب لايتعداه إلى غيره من سائر العلوم ، كما يظهر لنا من آثاره الباقية ، وبهذا خالف ماكان شائعاً عند أعلام تراثنا العربي في تلك العصور . ومن هنا يمكننا أن نتلمس أحد أسباب قلة احتفال المؤرخين بالترجمة له في كتبهم ، سواء في ذلك الكتب الموسوعية[١٥] وكتب التراجم[١٦] حتى ماختص منها بتراجم الأطباء[١٧] . ولولا ترجمة ابن أبي أصيبعة له لجهلنا عنه كل شيء ، على الرغم من انتشار كتبه انتشاراً واسعاً ، وبخاصة كتاب « غنى ومنى » كما سنرى فيما بعد .

ولئن بخلت علينا المراجع بالمعلومات عن هذا الرجل ، إننا نستطيع أن نستخلص من القليل الذي نقلته عنه ، ومن آثاره الباقية ، ومن طريقته في تأليفها ، أنه كان طبيباً حاذقاً مجداً مخلصاً في عمله ، أحب مهنته ، وسعى جهده إلى اتقانها وتيسيرها للطالبين ، فاستقرى من أجل هذا كل ماوصل إليه من الكتب والمؤلفات الطبية ، ماألف منها بالعربية وما ترجم إليها ، ولم يكتف بالاطلاع عليها ، بل فهمها ووعاها ونخلها وانتقى منها وأضاف إليها ، حتى استقام له منها كتابه الذي نتحدث عنه والذي شُهد له بالجودة والدقة .

مؤلفاته :

أغنى القمري تراثنا الطبي بجملة من المؤلفات . ذكرت له المصادر منها : (1) كتاب « الغنى والمنى » وهو الذي سنتحدث عنه بالتفصيل فيما بعد . (2) كتاب « التنوير في الاصطلاحات الطبية » وهو كتيب لطيف لايزيد عدد أوراقه على ٢٥ ورقة[١٨] ، له عدة نسخ بأسماء مختلفة إحداها في مكتبة أحمد الثالث ، وأخرى في مكتبة فاتح ، وثالثة في أياصوفية بعنوان « كتاب التنوير المعروف بسراج القمري » ورابعة في مكتبة تيمور، وخامسة في الموصل بعنوان « مصطلحات الطب »[١٩] وسادسة في حيدراباد ، وسابعة وثامنة في لندن ، وتاسعة في طهران بعنوان « رسالة في حدود الأمراض »[٢٠] ، وفي معهد التراث العلمي العربي بحلب صورة عن مخطوط في الجمعية الطبية الملكية بلندن عنوانه « أسامي العلل »[٢١] مؤلف من ١١ ورقة أظنه نسخة أخرى من هذا الكتاب أو قسماً منه . (3) كتاب « الشمسية المنصورية » منه نسختان في القاهرة ، وثالثة في الاسكوريال بعنوان « مقالات في الطب » ورابعة في مكتبة آصف بعنوان

« رسالة طب » وخامسة في الموصل بعنوان « طب القمري » وسادسة في أياصوفية بعنوان « المقالات »[٢٢] ولعل ماذكره البغدادي بعنوان « معالجات القمري » على أنه أحد مؤلفات القمري إنما هو نسخة من هذا الكتاب أيضاً[٢٣] .

وذكر البغدادي من مؤلفات القمري أيضاً (4) « رسالة في أمراض الصدر » و (5) « رسالة في الحميات » و (6) « مجموعة الأدوية المفردة » و (7) « مقالة في الاستسقاء » و (8) « مقالة في البحران »[٢٤] .

أما كتاب (9) « علل العلل » فقد ذكرته المراجع المختلفة نقلاً عن ابن أبي أصيبعة[٢٥] ، والظاهر أنه فقد ، إذ لم يشر أحد إلى أنه رأى نسخة منه . وأظن السبب في فقدان هذا الكتاب أن شهرة صاحبنا قامت على براعته في المعالجة والمداواة ، وعلى كتبه المختصرة الواضحة التي تهتم بالطب من حيث هو ممارسة وعلاج وعمل ، لامن حيث هو نظريات وأفكار وعلل .

- ٢ -

كتاب « غِنى ومَنى »

قال ابن أبي أصيبعة : « ولأبي منصور الحسن بن نوح القمري من الكتب كتاب غنى ومنى وهو كناش[٢٦] حسن قد استقصى فيه ذكر الأمراض ومداواتها على أفضل مايكون ، ولخص فيه جملاً من أقوال المتعينين[٢٧] في صناعة الطب ، وخصوصاً ماذكره الرازي متفرقاً في كتبه[٢٨] ... » .

عنوانه :

لقد عرف هذا الكتاب واشتهر باسم « غنى ومنى » لكن هذا الاسم تعرض للتغيير والتصحيف أحياناً ، ولعل هذا يعود لغرابته وطرافته في عالم الطب ، ففي كشف الظنون سماه حاجي خليفة كتاب « الغنا في الطب »[٢٩] وفي موضع آخر من الكتاب نفسه قال : « المغني في الطب للشيخ الإمام أبي الحسن ... ولأبي منصور الحسن بن نوح القمري جعله ثلاث مقالات ... سماه غنىومنى »[٣٠] !

وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللاتينية تحت عنوان « الحياة والموت »[٣١] .

لم تقع بين يدي مخطوطة للكتاب قد ضبط فيها العنوان بالشكل ، ولم أر هذا العنوان مشكولاً في مرجع عربي ، بينا أورده كل من بروكلمان وسزكين بالحروف اللاتينية هكذا : AL - Ginâ wa L - munâ أي بكسر الغين من غنى وضم الميم من منى . والذي اتضح لي استئناساً بعنوان الترجمة اللاتينية أن الصواب هو « الغِنى والمَنى » بكسر الغين وفتح الميم .

فالغنى تفيد معنى العيش والإقامة والبقاء ، وهي من « غَنِيَ به أي عاش ، وغني القوم بالدار : أقاموا .. وغني القوم في ديارهم إذا طال مقامهم فيها . قال الله عز وجل « كأن لم يغنوا فيها[٣٢] » أي لم يقيموا فيها .. يقال للشيء إذا فني « كأن لم يغنَ بالأمس[٣٣] » أي كأن لم يكن ... »[٣٤] و « غني بالمكان كرضي : أقام به غِنىً .. وغني أي عاش وبقي ... »[٣٥] .

و « المنى بالياء[٣٦] : القَدَر . قال الشاعر :

دريت ولاأدري منى الحدثان

مناه الله يمنيه : قدّره . ويقال : منى الله لك مايسرُّك أي قدر الله لك

مـايسرك . والمَنى والمنيّـة : المـوت لأنـه قـدر علينـا ، وقـد منى الله لـه المـوت يمني . ومُنِيَ لـه أي قـدر عليـه ... »[٣٧] أما المُنى بضم الميم (ف) جمع المُنْيـة وهـو مـايتمنى الرجـل »[٣٨] ولا أظن أحـداً يتمنى على الطبيب الموت ! وإذا افترضنا أن المقصود بالمنى بـالضم جمع منيـة أي منى الإنسان بالشفاء والصحة ، فكيف نفسر الترجمة اللاتينيـة ؟ وقـد قـام بهـا من هو أقرب منا إلى الكتاب وصاحبه ، سواء أكان من الأوربيين الـذين كانـوا يطلبـون العلم عنـد العرب وينقلـون المعـارف من كتبهم ، أم من العرب الذين أتقنوا اللاتينية فنقلوا إلى أهلهـا غرر النتـاج العربي في شتى المعارف والعلوم .

إذا اقتنعت مثلي بأن اسم الكتاب « الغنى والمنى » واتضح لك معنـاه وجدت فيه من الإيجاز والدقة والجمال مايرهص بما ستجده في الكتاب من حسن ذوق القمري ، وميلـه إلى البلاغـة الحرة غير المقيـدة بقيـود الصنعـة اللفظية ، ومن تواضعه وحسن يقينه ؛ فالحياة مـاهي إلا دار إقـامـة قـد تحلو وتطـول ، والمـوت إنمـا هـو قـدر من الله تعالى لامفر منـه ، وعمـل الطبيب محصور بين هذا وتلك .

مخطوطاته :

لقد أعجب الناس بهذا الكتاب فاستنسخوا منه نسخـاً كثيرة توزعت في أماكن مختلفة واسعة من آسية وافريقية واوروبـة . ذكر بروكلمـان في كتابه ست عشرة نسخة منها معظمها في جامعـات اوروبـة ، وزاد عليهـا سزكين في كتـابـه عشرين نسخـة أخرى كثير منهـا أيضـاً في جـامعـات اوروبة ومتاحفها وفي جـامعـات إيران ؛ فيكون مجموع مـاذكر في هـذين

المرجعين ـ وهما أكثر المراجع استقصاء ـ ستاً وثلاثين نسخة مخطوطة . لكنني أظن الرقم الحقيقي أكبر من هذا بكثير ، بدليل أنه لم يذكر في كلا المرجعين سوى نسخة واحدة من مخطوطات دار الكتب الظاهرية بدمشق ، وبين يدي الآن صور لثلاث نسخ مخطوطة محفوظة في هذه الدار ، هي المخطوطات ذوات الأرقام : ٧٨٨٣ ، ٧٨٦٤ ، ٧٨٨٩ وهذه الأخيرة هي التي ذكرها سزكين فقط[٣٩] . وفيما يلي دراسة موجزة لكل من هذه النسخ :

المخطوط ذو الرقم ٧٨٨٣ نسخة واضحة الخط أنيقته ، تكرر فيها السقط والخطأ ، لكن ناسخها تلافى الأمر في الحواشي على الغالب ، ويبدو لي أنه ناسخ محترف ، قد اعتنى بنسخها وضبطها . الخط خط نسخ جميل ، والعناوين وأسماء الأطباء مكتوبة بالمداد الأحمر . عدد أوراقها ٣٩٦ ورقة في كل صفحة منها ١٧ سطراً . لم يذكر فيها اسم ناسخها ولا تاريخ النسخ ، وقد اشتمل هذا المخطوط على الكتاب فقط دون زيادة أو نقصان .

المخطوط ذو الرقم ٧٨٦٤ قال عنه الدكتور سامي حمارنة[٤٠] إنه مبتور الأول والآخر ، والذي ظهر لي أن النقص ـ إذا جعلنا همنا كتاب غنى ومنى لا كل ماجاء في المخطوط ـ ينحصر في ورقتين من أول الكتاب فيها المقدمة وجزء من الفهرست . لم تكتَب هذه النسخةَ من الكتاب يدٌ واحدة فالخط خط نسخ من أولها حتى نهاية الورقة ١٥٨ والعناوين في هذا القسم مكتوبة بخط كبير مميز ، وابتداء من الورقة ١٥٩ يصبح الخط فارسياً أوضح وأجمل من سابقه . والعناوين في هذا القسم مكتوبة بالمداد

الأحمر . هذه النسخة حسنة قليلة الأخطاء على الرغم من صعوبة قراءتها أحياناً .

عدد أوراقها ٢٣٩ ورقة يتم الكتاب في الورقة ٢٢٩ منها ويتراوح عدد الأسطر مابين ١٩ و ٢٢ سطراً في الصفحة وتاريخ نسخها سنة ١٠٤٢ هـ .

أما المخطوط ذو الرقم ٧٨٨٩ فقال عنه الدكتور حمارنة « القسم الأول منه مكتوب بخط نسخ مشكل واضح على ورق شرقي ويختلف نوع الخط بعد الورقة ١٥٨ فيصبح نسخاً فارسياً أنيقاً وأجمل من السابق وأكثر دقة[٤١] » وهذا الكلام إنما يصح على المخطوط السابق - كما أشرت إليه في موضعه - لاعلى هذا المخطوط . العناوين في هذه النسخة مكتوبة بالمداد الأحمر ، وعدد الأوراق ١٩٢ ورقة ، يشغل كتاب « غنى ومنى » ١٨٨ ورقة منها ، أما الأوراق الأربعة الأخيرة فهي من كتاب « الابدال في الأدوية » للرازي[٤٢] .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

هذه النسخة - في رأيي - هي أهم النسخ الثلاث وأجودها إذ تحتوي على البابين الأول والثاني من كتاب آخر للقمري هو كتاب « التنوير في الاصطلاحات الطبية »[٤٣] نقل مضمون هذين البابين على شكل حواش وشروح لأسماء الأمراض تواكبُ ذكرَها في الكتاب الأصل ؛ فمثلاً عندما يمر ذكر (السرسام) نجد في الحاشية (السرسام : ورم في أحد حجابي الدماغ أو فيهما أو في الدماغ نفسه أو فيها جميعاً) ، وتنتهي هذه التعريفات في الورقة ١٤٨ قبيل انتهاء المقالة الثانية من كتاب غنى ومنى . نسخَ هذه المخطوطة شمس الدين بن إبراهيم الجيلاني في بلدة المسلمين أسْتَراباذ[٤٤] في ١٣ شوال سنة ٨٨٦ هـ . وهذا التاريخ المتقدم يعطيها مزية أخرى على أخواتها .

مقدمته :

يبدأ القمري كتابه بمقدمة وجيزة شغلت ورقة واحدة تقريباً جاء فيها قوله[٤٥] :

« إني لم أزل في صباي ومنذ عقلت أحب العلوم الطبيعية ، وتنازعني نفسي إليها ، وخصوصاً علم الطب ، لما كنت أرى فيه من إراحة الأنفس ، وتخليصها من الآلام ، وإعادتها إلى الصحة بعد السقام ، وإحراز الحظ من الدنيا والآخرة . وأحرص على تتبع الكتب المؤلفة فيه ودراسة الكناشات المصنفة على تقييد الشارد منه ، وتحملني همتي على خدمة من تمسك منه بأدنى علقة فضلاً عن المتبحرين والمبرزين فيه ، حتى أحطت بمكنون خزائنه ، واطلعت على أسراره ودفائنه ، وأدركت منه مارجوت معه الكفاية ، وقدرت به على بلوغ الكمال والغاية ، فأكببت على معالجة المرضى ومداواة أهل العلل ... » .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

بهذه اللغة المشرقة الجميلة ، وبهذا الوضوح مع الإيجاز يحدثنا القمري عن حبه لعلم الطب لأنه يوافق في نفسه نزعة إلى إسعاد الناس بإراحتهم من آلامهم ، وعن دأبه في تحصيله بروح العالم المتواضع ، والمتعلم الدائب ، والممارس المجرب . ولم يدّع بعد ذلك أنه أتى بما لم يأت به غيره ، بل وضح بهدوء وتواضع هدفه من تأليف هذا الكتاب ، وبين كذلك منهجه فيه فقال :

« وكنت كثيراً ماأحتاج فيه (أي في علم الطب) إلى دراسة الكتب ، وتتبع مافيها من النكت والنتف ، فكان يعتاص علي ذلك ، لاحتياجي إلى النظر في كتب شتى ، وتصفح كُنّاشات متفرقة ، فأحببت

أن أستخرج من جميعها ـ لنفسي وليكون ذخراً للمسلمين بعدي ـ علاجات على سبيل اختصار ، يشتمل على معاني أكثر أقاويل الأطباء المتقدمين والمتأخرين في العلاج خاصة . فإني لاأسمي كل واحد منهم عند ذكر فصل من فصوله ، بل أسمي الواحد فالواحد منهم إذا عرضت نكتة أو حكاية فأضيفها إليه عند ذلك . وأضم إليه أيضاً ماقد جربته وصح عندي ، ليسهل لي نقل هذا الكتاب الصغير الحجم العظيم النفع حيث انتقلت » .

إنه الطبيب المتأني المدقق ، يعود إلى مراجعه بين وقت وآخر ، ليبحث عن كل نكتة أو تحفة يمكن أن يفيد منها مايعود على مرضاه بالخير والشفاء .. وهو في الوقت نفسه يحس بوجود ثقافة طبية عامة قد أصبحت ملكاً لكل طبيب ، وأساساً في كل علاج ، وقد وقرت صحتها وجدواها في نفوس الجميع ، فلا حاجة به إذاً إلى أن يذكر أسماء الأطباء عند كل فصل من فصولهم ، ويجزئه عن ذلك أن يعزو إلى كل منهم ماتفرد به ، أو بعبارة أخرى ماأضافه إلى معلومات الطب المتحصلة قبله . والقمري نفسه يؤدي دوره حلقةً في هذه السلسلة المتصلة ، فيضيف ماصح عنده من نتائج تجاربه ومعالجاته ، وسنرى أنه التزم فعلاً بهذه الخطة في كل أبواب الكتاب .

والقمري حريص على أن يكون كناشه مرجعاً سهلاً قريب المتناول فهاهو ذا يقول :

« ... وأن أجعله ثلاث مقالات وأقيد أبوابها بحروف الجُمّل[٤٦] ليتناول المرتاد بغيته عن كثب ، ولايحتاج فيه إلى تكلف طلب ، فيلحقه فترة الملال ، وترهقه وصمة الكلال » .

هكذا يظهر لنا أبو منصور معلماً منظماً حانياً رفيقاً بطلاب هذا العلم يشق لهم إليه طريقاً لاحباً ، ويركز على جانبيه من الصوى مايكفل لهم ألا يُقطعوا دون غايتهم .. فلا عجب أن يكون ابن سينا وهو العلم المشهور في الطب ملازماً لدروسه وأن ينتفع به في صناعة الطب[٤٧] .

وأخيراً يختم القمري مقدمته بقوله :

« وأنا أسأل من ظفر بكتابي هذا ألا يبخل علي بالدعاء الجميل لي في أوقات فراغه ، ويعلم أني لم أبخل عليه في هذا الباب ، ولا ادخرت عنه نصحاً . وبالله أستعين على مانويته وقدرته . إن العون والتوفيق من عنده ، والحول والقوة في يده » .

مقالات الكتاب وأبوابه :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بعد المقدمة يذكر أبو منصور القمري أغراض مقالات الكتاب أي الفهرست فنرى أنه قسم كتابه إلى ثلاث مقالات :

المقالة الأولى في الأمراض الحادثة من الفرق إلى القدم . وتقع في مئة وعشرين باباً يبدؤها بأمراض الرأس كالصداع والشقيقة وغيرهما ، فأمراض العين ، فأمراض الأذن ، فالأنف فالفم وهكذا ... وبعض هذه الأبواب يشغل أقل من صفحة مثل باب « النتن في الأنف » وبعضها الآخر مفصل يشغل أكثر من اثنتي عشرة صفحة مثل « النقرس » ، وهذه المقالة بأبوابها الكثيرة تشغل أكثر من ثلثي الكتاب[٤٨] .

المقالة الثانية في العلل الظاهرة وتقع في ثلاثة وأربعين باباً[٤٩] ، وهي تكاد تقابل مانسميه الآن بالأمراض الجلدية ، فمن أبوابها : الخزاز

والسعفة ، وداء الثعلب والحية ، والكلف ، والبرص ، والجذام ، والجرب ، والشرى ، والدماميل ، والقروح ...

والمقالة الثالثة في الحميات وتقع في سبعة وعشرين باباً[٥٠] يذكر فيها الحميات بأنواعها فالعلامات ثم البول والنجو والنبض . وأخيراً يخصص باباً لنكت من كلام محمد بن زكريا الرازي .

إن تقسيم الكتاب على هذا النحو ليدعو إلى الإعجاب ، لما نجد فيه من حسن التنظيم ، ومن الوعي لأنواع الأمراض وفئاتها : فنحن نلاحظ أنه فصل الأمراض الجلدية عن غيرها ولم يذكرها مع الأمراض السابقة موزعة على أعضاء الجسم خلافاً لمن سبقه من المؤلفين . فالرازي مثلاً - وهو الذي أكثر المؤلف من النقل عنه والاعتزاز بآرائه - قد ذكر في كناشه « الفاخر » داء الثعلب وداء الحية ، وكلاهما تمرط الشعر ، في أمراض الرأس . ولهذا استغربت حكم الدكتور سامي حداد حين يتحدث عن كناش القمري بقوله « وهو كما سبقه من الكتب مجموع من أقوال المتقدمين كأبقراط وجالينوس وماسرجويه ... والرازي .. وغيرهم . ولم نجد فيه مايميزه عما سبقه »[٥١] بلى ! إن هذا العرض الحسن ، والتبويب السديد ، والدقة في الشرح ، والأمانة في النقل ، إن كل هذا يميزه من غيره من الكناشات . ويمكننا أن نلمح وعيه لفئات الأمراض والأعراض في المقالة الثالثة أيضاً ، حيث نلاحظ أن كل أبوابها - إذا استثنينا باب الجدري والحصبة - إنما هي في الأعراض والدلائل التي يستعين بها الطبيب في تشخيص الأمراض ومعرفة تطورها كالحميات والنبض والبول و ... وقد ذكر الحميات مقرونة بالأعراض كما نلاحظ ، مع أنها كانت تعتبر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

آنذاك أمراضاً قائمة بذاتها ، فلعل الأطباء العرب كانوا منذ ذلك الوقت مترددين في أمرها .

مادة الكتاب :

إذا تجاوزنا ترتيب الكتاب إلى مادته لاحظنا فيها الوضوح مع الاختصار والشمول مع التركيز ، ففي باب الرعشة يقول :

« الرعشة : يكون من ضعف القوة الحاملة للعضو . ويحدث ضعف هذه القوة إما من آلام النفس مثل الفزع أو الغضب ، وإما من آلام البدن مثل سوء المزاج البارد الحادث في المشايخ » .

ويفرق بين الأعراض المتقاربة والأمراض المتشابهة فيقول مثلاً :

« التشنج هو انجذاب العضو وتقلصه إلى أصله . أما الخدر فإنه من جنس الفالج وعلاجها واحد » .

ARCHIVE
http://archivebeta.Sakhrit.com

وأشير هنا إلى أنه لم يذكر في أبواب الكتاب من التعريفات إلا ما تمس الحاجة إليه . لأنه خصص كتابه التنوير للتعريفات والحدود ، وهو إذا أورد تعريفاً كان شديد الاختصار ينتقل سريعاً منه إلى سائر حديثه عن المرض كشرح أسبابه أو أعراضه ... مثال ذلك :

« القولنج : معنى القولنج احتباس الطبيعة وله أسباب كثيرة ... »

« القلاع : قروح حارة يحدث في سطح جلدة الفم ، وأكثر مايحدث ذلك في الصبيان إذا كان لبن الظئر رديئاً لزجاً ولم يتعهد غسل فمه وإذا لم ينهضم اللبن جيداً وهي سريعة البرء » .

ومن عادة القمري أن يذكر في كل داء أنواعه فأسبابه فعلاماته فعلاجاته بشكل منظم واضح ؛ يبدأ بذكر العام المعروف عند جل

الأطباء ، ثم يذكر الخاص ناقلاً عمن سبقه من الأطباء ماامتازوا به من نكت ونتف ونصائح وملاحظات . وقد تبينت أنه يبدأ بذكر أطباء اليونان وغيرهم من القدامى ثم يذكر أطباء العرب ؛ مَنْ سبقه فالمعاصرين له مراعياً الترتيب الزمني على الغالب . وقد نقل عن كثير من الأطباء عددت منهم أكثر من ثلاثين طبيباً بعضهم من ذوي الشهرة الواسعة كأبقراط وجالينوس واهرن وبولس وارسطاطاليس وروفس وشرك الهندي وثابت وحنين وبختيشوع واليهودي وابن ماسويه والرازي والكندي ... وبعضهم لم يكن من المعروفين المشهورين في ميدان الطب مثل محمد بن علي الريوندي[٥٢] ... وقد أكثر المؤلف من النقل عن الرازي وبدا معجباً به أيما إعجاب حتى إنه وقف آخر أبواب كتابه على نقل مقتطفات من كلام الرازي ، كما أشرت إلى ذلك سابقاً . وأبو منصور القمري بطريقته هذه في النقل يكشف عن أمانة علمية مع وعي ثقافي ؛ فهو يورد المعلومات العامة التي هي ثقافة العصر الطبية غفلاً ، ثم يعزو إلى كل طبيب ماكتشفه أو أثبته أو جربه أو كان السباق إليه ، وبذلك تزداد أهمية الكناش لدراسة تاريخ الطب العربي خاصة وتاريخ الطب عامة إذ يعرفنا بكل من كان له دور في تطوير الطب وتحسين طرق العلاج . كما يقدم لنا بين باب وآخر فوائد قيمة استنبطها من معاناته الطويلة لهذه المهنة وتجاربه الكثيرة على المرضى ومن أمثلة ذلك :

« قال أبو منصور : رأيت فتى كان إذا جاع ، وخلا بطنه ، ركبته حمى لينة ، فإذا اغتذى زالت الحمى . فعلمت أن في معدته صفراء وأن جوفه إذا خلا تحركت تلك الصفراء فنفذ منها البخار إلى العروق .

ARCHIVE

فسقيته ماء الفواكه ، فأقامه عدة مجالس[٥٣] ، فزال عنه ذلك العارض ... » .

وفي باب آخر :

« قال أبو منصور : سقيت أنا امرأة حبلى بعدما دخلت في التاسع كل يوم على الريق وزن ثلاثة دراهم دهن اللوز وحميتها الأغذية الغليظة والحريفة والحامضة والقابضة ، وجعلت طعامها لينا دسماً ، فولدت من حينها ، من غير أن تجد من الطلق إلا مالايبالى به ، وذكرت القوابل أنه لاعهد لهن بمثله ، وأن الجنين كان من النظافة في الغاية . والله أعلم » .

ويؤكد القمري على ضرورة تدرج العلاج بحسب طبيعة المرض ثم اتباع العلاج بالدواء العلاج بالدلك والتمريخ[٥٤] أو مانسميه الآن المعالجة الفيزيائية ، فنقرأ في علاج الفالج مثلاً :

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

« قال أبو منصور : ولا ينبغي أن يستعمل الإسهال بالأدوية القوية إلى أربعة أيام فإن كانت العلة ضعيفة فإلى سبعة أيام لأن المسهل القوي يزيد في العلة ... ويسقى بعد الأسبوع الثالث إيارج جالينوس واللوغاذيا والتياذريطوس[٥٥] وإذا دبرت هذا التدبير أياماً فعالجه بتمريخ الأعضاء العليلة وفقار العنق والظهر بدهن القسط بعد التكميد[٥٦] بـ ... فإن كره التكميد دلكت الأعضاء العليلة والفقار بخرقة خشنة حتى يحمر ثم يمرخ بالدهن ... الخ » .

والقمري كأي طبيب متمرس يعرف أن التخلص الكامل من بعض الأمراض أمر مستحيل ولكن هذا لايثني عزيمته عن معالجتها ومحاولة

التخفيف عن مريضه بأية طريقة ممكنة يتقبلها المريض وفيما يلي مثالان على ذلك ؛ الأول في أمراض العين .

« الغرب : إنما يحدث الغرب وهو الناصور[٥٧] في العين بعد قرحة يكون فيها فتبرأ وتمام علاجه بالكي ، ولكن له علاج إذا عولج به أبطله أشهراً حتى يكون كالصحيح ثم يعاود ثم يعالج كذلك يداوى مدى العمر » .

والآخر في أمراض الرأس : البيضة والشقيقة :

« وقد يعتق الصداع في بعض الناس فيهيج بالنوبة ويسمى البيضة فإذا هاج لم يطق صاحبه الصبر ، ولم يقدر أن يبصر الضوء ، واستراح إلى الوحدة والظلمة ، ويظن كأن رأسه يطرق بالمطرقة وكأن الوجع يصل إلى قعر العينين ... وهذا الصداع لايكاد يبرأ ولكن يعالج على كل حال بأن ... » .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وبما أن هدف القمري من تأليف هذا الكتاب أن يُستغنى به عما سواه ، فقد التزم أن يذكر باختصار طريقة صنع الدواء المركب عند ذكر الحاجة إلى استعماله إلا ماكان مبذولاً في كل مكان وكان مع ذلك قليل الاستعمال .

وأخيراً يختم القمري كتابه بقوله :

« قد وفيت إلى هذا المكان من الكتاب بما كنت ضمنته في صدره ، وجعلت على نفسي فيما أظن . إلا أن الذي بقي أكثر من الذي أتيت به ، وفيما أتيت به بلاغ وكفاية في باب العلاج والمداواة ، لأني قد أتيت

بأصولها التي عليها المدار ، وإليها المرجع . ولم أذكر في هذا الكتاب دواء مركباً من معجون أوحب أو قرص أو غيرها مما يحتاج إليه في العلاج إلا وقد أتيت بنسخته فيه ، إلا الترياق الكبير[٥٨] والشليثا[٥٩] فقط إذ كان يوجد ذلك في كل مكان ، وكانت الحاجة مع ذلك إليهما تقل . وفيما أتيت به من تلك النسخ غنية عن الرجوع إلى القرافاذينات[٦٠] . ولله الذي ألهمني هذا العلم وهداني إليه ووفقني له الحمد والمنة » .

ماأقل الكتب التي يفي مؤلفها بما يعدنا به في بدايتها . أما أبو منصور فقد كان عند قوله مادة ومنهجاً . ومأأحسن أن ينشر هذا الكتاب ليحتل مكانه في تراثنا العربي الخالد .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التعليقات والحواشي

(١) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون مج ٢ : ١٢١٠ ، ١٧٥٠ .

(٢) فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ـ الطب والصيدلة : ٢٤٢ ، ٢٤٦ .

(٣) الوافي بالوفيات ١٢ : ٢٨٣ ط . فيسبادن ورأيته مضبوطاً هكذا أيضاً في نسخته المخطوطة نسخة أحمد الثالث . وأشير هنا إلى أن الصفدي لم يذكر سنة وفاته مع أن كتابه مؤلف لهذه الغاية .

(٤) انظر في ذلك تاج العروس للزبيدي (قمر) ، ومعجم البلدان لياقوت الحموي ٧ : ١٥٩ (قُمْر) ، والأنساب للسمعاني ١٠ : ٢٢٤ ـ ٢٢٦ ، واللباب لابن الأثير ٢ : ٥٤ ، والإكمال لابن ماكولا ٦ : ٣٦٦ ، وتبصير المنتبه بتحرير المشتبه لابن حجر : ١١٧٦ .

(٥) خدم ملوك السامانيين . ويبدو أنه ألف كتابه الشمسية المنصورية لمنصور بن نوح الساماني الذي ولي أمر خراسان وما وراء النهر من سنة ٣٥٠ إلى ٣٦٦ هـ وكانت بخارى عاصمة له . انظر بروكلمان ١ : ٢٣٩ والكامل لابن الأثير : ٨ : ٥٣٥ ، ٦٧٣ ومعجم الانساب والاسرات الحاكمة لزامباور ٢ : ٣٠٦ .

(٦) عبد الحميد بن عيسى الخسروشاهي من خسروشاه وهي قرية قرب تبريز ، حكيم طبيب أتقن العلوم الشرعية ، وهو من أجل تلامذة الإمام فخر الدين ابن خطيب الري . اتصل بالسلطان الناصر صلاح الدين وأقام عنده بالكرك وكان عظيم المنزلة عنده ثم توجه إلى دمشق وأقام بها إلى أن توفي سنة ٦٥٢ هـ ودفن بجبل قاسيون . لقيه ابن أبي أصيبعة وأعجب به . انظر ترجمته في عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٢ : ١٧٣ ـ ١٧٤ ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٥ : ١٠٣ وغيرهما .

(٧) عيون الأنباء ١ : ٣٢٧ .

(٨) أبو بكر محمد بن زكريا الرازي الطبيب المشهور ، اختُلف في تحديد سنة وفاته فهي سنة ٣١٠ في مرآة الجنان لليافعي ٢ : ٢٦٣ ـ ٢٦٤ ، وبعد سنة ٣١٠ في التنبيه والإشراف للمسعودي : ١٦٢ ، وسنة ٣١١ في وفيات الأعيان لابن خلكان ٢ : ١٠٣ وشذرات الذهب لابن العماد ٢ : ٢٦٣ والبداية والنهاية لابن كثير ١١ : ١٤٩ والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي ٣ : ٢٠٩ ونكت الهميان للصفدي : ٢٥٠ وهدية العارفين لاسماعيل البغدادي ٢ : ٢٧ ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ١٠ : ٦ . وقال القاضي أبو القاسم صاعد بن أحمد الأندلسي عندما ترجم له (طبقات الامم : ٥٣) : « وتوفي قريباً من سنة عشرين وثلاث مئة » ، وجاء في أخبار الحكماء للقفطي ص ٢٧٢ عند الحديث عنه : « ... وتوفي قريباً من سنة عشرين وثلاثمئة هذا قول القاضي صاعد بن حسن (لعل الصواب : ابن أحمد) الأندلسي وذكر ابن شيران (لعل الصواب : ابن بشران) في تأريخه أنه توفي سنة أربع وستين وثلاثمئة ... » وفي عيون الأنباء ١ : ٣١٤ « .. وقال أبو الخير الحسن بن سوار بن بابا وكان قريب العهد منه إن الرازي توفي في سنة نيف وتسعين ومئتين أو ثلاثمئة وكسر قال : والشك مني ، ونقلت من خط بالمظفر بن معرف أن الرازي توفي في سنة عشرين وثلاثمئة ، وقال عبيد الله بن جبريل كان أبو بكر محمد بن زكريا الرازي له المنزلة الجليلة بالري وسائر بلاد الجبل ، قال وعاش إلى أن لحقه ابن العميد أستاذ الصاحب بن عباد وهو كان سبب إظهار كتابه المعروف بالحاوي ... » .

وأدق من كل ماذكر مانقله بروكلمان في تاريخ الأدب العربي : الذيل ١ : ٤١٧ وفؤاد السيد في تعليقاته على طبقات الأطباء والحكماء لابن جلجل : ٧٧ من رسالة للبيروني في فهرست كتب الرازي من أن هذا الأخير قد توفي في ٥ شعبان سنة ٣١٣ هـ = ٢٥ اكتوبر سنة ٩٢٥ م . نشر رسالة البيروني المذكورة بول كراوس سنة ١٩٣٦ م .

(٩) انظر ترجمته التي رواها عنه تلميذه أبو عبيد الجوزجاني في تاريخ حكماء الإسلام للبيهقي : ٥٢ ـ ٥٧ ، وعيون الأنباء ٢ : ٢ ـ ٢٠ وغيرهما . وقد طبعت هذه الترجمة مستقلة بدمشق سنة ١٩٨٢ م . بتحقيق الأستاذين فريد جحا ومحمد الفاخوري .

(١٠) هدية العارفين ١ : ٢٧٢ .

(١١) بروكلمان ١ : ٢٣٩ والذيل ١ : ٤٢٤ (الترجمة العربية ٤ : ٢٩٩ ـ ٣٠٠) .

(١٢) سزكين ٣ : ٣١٩ .

(١٣) فهرس مخطوطات الظاهرية ٢٤٢ .

(١٤) إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ٢ : ٥٦ ـ ٥٧ .

(١٥) من الموسوعات التي لم أجد فيها ترجمة للقمري :

الموسوعة الإسلامية	Encyclopédie de l' Islam Brill 1913 - 1934
موسوعة لاروس الكبرى	La grande encyclopédie , Larousse
الموسوعة الشاملة	Encyclopædia universalis Paris 1970 - 1975
الموسوعة العالمية	Encyclopedia international . New york
الموسوعة البريطانية الحديثة	The new Encyclopædia Britanica in 30 volumes . Macropædia .

(١٦) من هذه الكتب التي لم أجد فيها ترجمة للقمري : الأعلام للزركلي ، ووفيات الأعيان لابن خلكان ، والإكال لابن ماكولا ، وتكلة إكال الإكال لابن الصابوني ، وطبقات الأمم لصاعد الأندلسي ، وسير أعلام النبلاء للذهبي ، وشذرات الذهب لابن العماد ، وكذلك معجم البلدان لياقوت الحموي في : (قُمْر) و (بخارى) .

(١٧) من هذه الكتب التي لم أجد فيها ترجمة للقمري : طبقات الأطباء والحكماء لابن جلجل ، وتاريخ حكماء الإسلام للبيهقي ، وإخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطي .

(١٨) تجد بحثاً عنه للدكتور نشأة حمارنة في مقالة له بعنوان المعجمات الطبية . مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق مج ٦٠ ج١ : ١١٨ ـ ١٢٣ .

(١٩) بروكلمان ، الذيل ١ : ٤٢٥ .

(٢٠) سزكين ٣ : ٣١٩ .

(٢١) فهرس المخطوطات المصورة في مكتبة معهد التراث العلمي بحلب ص : ٢٤٩ .

(٢٢) انظر بروكلمان ، الذيل ١ : ٤٢٥ وسزكين ٣ : ٣١٩ .

(٢٣) هدية العارفين ١ : ٢٧٢ .

(٢٤) هدية العارفين ١ : ٢٧٢ .

(٢٥) عيون الأنباء ١ : ٣٢٧ .

(٢٦) الكُنّاش مصطلح كثر استعماله في مجال الطب بمعنى الكتاب الموجز الذي يحوي معلومات وفوائد يحتاجها الطبيب في عمله . جاء في تاج العروس (كنش) : « والكناشات بالضم والشدّ : الأصول التي تتشعب منها الفروع نقله الصاغاني عن ابن عباد . قلت ومنه الكناشة لأوراق تجعل كالدفتر يقيد فيها الفوائد والشوارد للضبط هكذا يستعمله المغاربة واستعمله شيخنا في حاشيته على هذا الكتاب كثيراً وأكنشه عن الأمر أعجله نقله الصاغاني عن ابن عباد » . ويقال إن أصل التعبير سرياني فقد « جرت العادة عند الأطباء السريان أن يقوم كل واحد منهم بوضع كتيب يكون بمثابة دفتر مذكرات خاص به يذكر فيه أسماء الأمراض التي تصيب جسم الإنسان من الرأس إلى القدم وإلى جانب كل مرض يذكر أسماء الأدوية المفردة والمركبة الناجعة فيه ... وهكذا أصبح الكناش كتاب الأطباء ... » أقرباذين القلانسي ، مقدمة الدكتور زهير البابا ص : ٥ وانظر طبقات الأمم ص ٦١ تعليق رقم ٦ ، ومقالة الدكتور نشأة حمارنة : مقدمة حول طب العيون العربي ، مجلة التراث العربي العدد ١٧ : ص ١٨١ التعليق رقم ٢١ ومحيط المحيط (كناش) .

(٢٧) الظاهر من السياق أنه يريد بالمتعينين في صناعة الطب المبرزين المتخصصين فيها جاء في اللسان (عين) : « تخصيص الشيء تعيينه » وفي مستدرك التاج (عين) : « تعيين الشيء تخصيصه من الجملة » .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٢٨) عيون الأنباء ١ : ٣٢٧ .

(٢٩) كشف الظنون ٢ : ١٢١٠ حيث قال « الغنا في الطب مجلد للحكيم أبي منصور حسين بن نوح القمري رتب على ثلاث مقالات : الأولى في الأمراض الحادة ، الثانية في العلل الظاهرة ، الثالثة في الحميات » .

(٣٠) كشف الظنون ٢ : ١٧٥٠ .

(٣١) بروكلمان ١ : ٢٣٩ وكذلك الفهرس لحمارنة ص ٢٤٢ نقلاً عن ويستنفيلد الذي يقول إنه ترجم إلى اللاتينية تحت العنوان : Liber vitae et mortis وانظر لوكلير : تاريخ الطب عند العرب (بالفرنسية) ١ : ٣٨٥ .

(٣٢) سورة الأعراف : ٩٢ وتمام الآية « الذين كذبوا شعيباً كأن لم يغنوا فيها ، الذين كذبوا شعيباً كانوا هم الخاسرين » وانظر كذلك سورة هود : ٦٨ و ٩٥ .

(٣٣) سورة يونس : ٢٤ .

(٣٤) لسان العرب (غني) .

(٣٥) تاج العروس (غني) .

(٣٦) المقصود بقولهم (بالياء) أنها ترسم بالألف المقصورة - حسب اصطلاحنا المعاصر - أي ياء غير منقوطة .

(٣٧) لسان العرب (منى) .

(٣٨) لسان العرب (منى) .

(٣٩) سزكين ٣ : ٣١٩ .

(٤٠) فهرس مخطوطات الظاهرية : ٢٤٣ .

(٤١) فهرس مخطوطات الظاهرية : ٢٤٤ .

(٤٢) يقول الدكتور سامي حمارنة إن هذه الأوراق هي كل ماوجده من مؤلفات الرازي الطبية في دار الكتب الظاهرية . الفهرس : ٢٤٥ - ٢٤٦ .

(٤٣) ينقسم كتاب التنوير إلى عشرة أبواب : الأول منها في أسامي العلل الحادثة من الفرق إلى القدم ، والثاني في أسامي العلل الحادثة في سطح البدن . المعجمات الطبية : ١١٩ .

(٤٤) نقلها د . سامي حمارنة في الفهرس : استرابال وأظن الصواب ماأثبته و « أَسْتَراباذ بالفتح ثم السكون وفتح التاء المثناة من فوق وراء وألف وباء موحدة وألف وذال معجمة بلدة كبيرة مشهورة أخرجت خلقاً من أهل العلم في كل فن ، وهي من أعمال طبرستان بين سارية وجرجان ... » معجم البلدان ١ : ٢٤٤ .

(٤٥) اعتمدت في كل مانقلته من الكتاب في هذه الدراسة على نص نسخة الظاهرية رقم : ٧٨٨٣ .

(٤٦) « الجُمَّل : ... حساب الحروف الهجائية المجموعة في أبجد ومايليها يبتدئ من الهمزة إلى الطاء بالآحاد وهي من الواحد إلى التسعة ، ومن الياء إلى الصاد بالعشرات وهي من العشرة إلى التسعين ، ومن القاف إلى الغين المعجمة بالمئات وهي من المئة إلى الألف . ويقال له حساب الأبجدية وعليه تبنى التواريخ الشعرية التي يراد بها بيان وقوع الحادثة في أية سنة من تاريخ الهجرة أو غيرها ، فيؤتى بكلمات تنطبق الأعداد المفروضة لحروفها على أعداد سنوات هذا التاريخ .. » محيط المحيط لبطرس البستاني (جمل) وانظر كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ١ : ٢٥٣ والكليات للكفوي ٢ : ١٧٤ وتاج العروس واللسان (جمل) وفيهما : « قال ابن دريد لا أحسبه عربياً » .

(٤٧) عيون الأنباء ١ : ٢٢٧ .

(٤٨) أي من الورقة ٣ إلى الورقة ٢٧٦ .

(٤٩) من الورقة ٢٧٦ إلى الورقة ٣٢٤ .

(٥٠) من الورقة ٣٢٩ إلى الورقة ٣٩٦ .

(٥١) مآثر العرب في العلوم الطبيعية . مقالة للدكتور سامي حداد . مجلة العروة عدد كانون الأول سنة ١٩٣٦ م . ص : ٥٢ .

(٥٢) وقع التصحيف في بعض الأسماء مثل : علي بن رين الطبري فقد كتب اسمه غالباً في جميع نسخ الظاهرية : علي بن زين بالزاي والياء المثناة والصواب رَبَّن بالراء والباء الموحدة المشددة ، والرَبَّن هو المقدم في شريعة اليهود . انظر عيون الأنباء ١ : ٣٠٨ ـ ٣٠٩ وتاج العروس (ربن) .

(٥٣) أقامه عدة مجالس أي أسهله ، والمجلس « كناية عن القومة الواحدة للبراز » مفيد العلوم : ٨٢ .

(٥٤) « المَرْخ هو من اللغة الدهن يقال مرخته ومرّخته بتخفيف الراء وتشديدها وتمرّخ هو أي تدهّن وفي استعمال الأطباء لهذا اللفظ معنى زائد عليه وهو ضغط يسير لايبلغ أن يسمى دلكاً ، وإذا لم يريدوا هذا المعنى الزائد قالوا : دهنته » مفيد العلوم : ٧٨ وانظر اللسان والتاج (مرخ) .

(٥٥) الإيارج : اسم للدواء المركّب المسهل إسهالاً خفيفاً مصلحاً . والكلمة يونانية تفسيرها الدواء الإلهي ، وأنواع الإيارجات كثيرة وكلها أدوية تمزج مزجاً ولاترفع على النار ، وقد تسمى باسم الطبيب الذي صنعها مثل : جالينوس ولوغاذيا ، أو باسم من صُنعت له مثل ثياذريطوس الملك اليوناني . القانون ٣ : ٢٤٠ ، وتذكرة داود الأنطاكي ١ : ٦١ ـ ٦٢ ، ٩٨ ، وأقرباذين القلانسي : ٥٢ .

(٥٦) « التكميد والإكاد والكماد : وضع الدواء اليابس المسخن أو الخرق المسخنة على العضو الألم .. » مفيد العلوم : ٢٤ وانظر اللسان والتاج (كمد) .

(٥٧) « ناصور بالصاد ويقال بالسين عربيتان وهو القرحة الفاسدة الباطن التي لاتقبل البرء مادام فيها ذلك الفساد حيثما كانت من البدن » مفيد العلوم : ٨٦ .

وفي تعريف الثعالبي للغرب « ... هو عند الأطباء أن ترشح مآقي العين فيسيل منها إذا غمزت صديد وهو الناصور أيضاً » فقه اللغة : ١٠٠ .

وفي اللسان والتاج (نسر) « الناسور بالسين والصاد جميعاً علة تحدث في المآقي تسقي فلا تنقطع ... وهو معرّب .. » .

(٥٨) الترياق بالكسر ويقال بالدال أيضاً : هو كل دواء مركب يقاوم السموم . والكبير منه هو ترياق الأفاعي الذي يدخل في تركيبه لحم الأفاعي . مفيد العلوم : ٢٥ أقرباذين القلانسي : ٤٨ وتذكرة داود الأنطاكي ١ : ٨٨ ـ ٩١ .

واللفظة يونانية مشتقة من تريوق على رأي القلانسي ، أو هي فارسية معربة كما في اللسان والتاج (ترق) « وزعم الأزهري أن الترياق اسم تفعال سمي بالريق لما فيه من ريق

الحيات » انظر اللسان والتاج (ريق) .

(٥٩) الشليثا : دواء مركب معجون . ذكر القلانسي أنه رأى في بعض الكتب الطبية أنه يسمى الإلهية لأن الشليثا بلسان اليونانيين هبة الله تعالى . أقرباذين القلانسي : ٥٠ .

(٦٠) ويقال الأقرباذينات والقراباذينات وهي « كلمة يونانية الأصل انتقلت إلى اللغة العربية عن طريق السريانية في صدر الدولة العباسية ويقصد بها الكتاب الذي نطلق عليه في الوقت الحاضر اسم دستور الأدوية Phrmacopée أو كتاب الصيغ الدوائية Formulaire ويضم كلا الكتابين الأدوية المركبة إلا أن الكتاب الأول يمتاز بوجود طرق تحضير العقاقير والأدوية المركبة مع طرق فحصها ومعايرتها وحفظها ومقاديرها الدوائية » أقرباذين القلانسي . مقدمة د . زهير البابا ص ٥ ، وانظر جامع العلوم للأحمد نكري ٢ : ٦٦ ودائرة معارف القرن ١٤ ـ العشرين لمحمد فريد وجدي مج ١ : ٤٣٢ .

أهم المراجع والمصادر

١ ـ المخطوطة

ـ كتاب غنى ومنى تأليف أبي منصور الحسن بن نوح القمري نسخة الظاهرية رقم ٧٨٨٣

ـ كتاب غنى ومنى تأليف أبي منصور الحسن بن نوح القمري نسخة الظاهرية رقم ٧٨٨٩

ـ كتاب غنى ومنى تأليف أبي منصور الحسن بن نوح القمري نسخة الظاهرية رقم ٧٨٦٤

ـ الوافي بالوفيات تأليف صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي نسخة أحمد الثالث . من مصورات مجمع اللغة العربية بدمشق .

٢ ـ المطبوعة بالعربية

ـ إخبار العلماء بأخبار الحكماء تأليف أبي الحسن علي بن يوسف القفطي ط . ليبسك سنة ١٣٢٠ .

ـ أقرباذين القلانسي تأليف بدر الدين محمد بن بهرام القلانسي السمرقندي . تحقيق د . محمد زهير البابا . معهد التراث العلمي العربي بحلب سنة ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .

ـ الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب تأليف الأمير الحافظ ابن ماكولا ، تصحيح عبد الرحمن بن يحيى المعلمي . بيروت .

ـ الأنساب تأليف عبد الكريم بن محمد السمعاني ، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي ـ بيروت .

ـ إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ، تـأليف إسماعيل بـاشـا بن محمد أمين البغدادي . ط . وكالة المعارف ١٩٤٥ ـ ١٣٦٤ .

ـ البداية والنهاية ، تأليف اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي . ط ١ ، ١٣٥١ هـ = ١٩٣٢ م .

ـ تاج العروس من جواهر القاموس تأليف محمد مرتضى الزبيدي ط ١ .

ـ تـاريخ حكـاء الإسلام ، تـأليف ظهير الـدين البيهقي ، تحقيق محمد كرد علي . ط . المجمع العلمي العربي .

ـ تبصير المنتبـه بتحرير المشتبـه ، تـأليف أحمـد بن علي بن حجر ، تحقيـق محمـد علي البجاوي . ط مصر .

ـ التنبيه والإشراف ، تأليف علي بن الحسين المسعودي . ط . ليدن ، بريل ١٨٩٣ م .

ـ جامع العلوم في اصطلاحات العلوم والفنون تأليف عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري ط . حيدر آباد الدكن .

ـ شـذرات الـذهب في أخبار من ذهب ، تـأليف عبد الحي بن العماد الحنبلي . ط . القاهرة ١٣٥٠ هـ .

ـ طبقات الأطبـاء والحكـاء ، تـأليف سليمان بن حسان المعروف بـابن جلجل ، تحقيق فؤاد السيد . ط . المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ١٩٥٥ م .

ـ طبقات الأمم ، تأليف القاضي صاعد بن أحمد بن صاعد الأندلسي ، تحقيق لويس شيخو ط . المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ـ بيروت ١٩١٢ م .

ـ عيون الأنبـاء في طبقـات الأطبـاء ، تـأليف أحمد بن القاسم بن خليفـة المعروف بـابن أبي أصيبعة . ط . ١٢٩٩ هـ .

ـ فهرس مخطـوطـات دار الكتب الظـاهريـة ، الطب والصيدلـة ، وضعه د . سـامي خلف حمارنة . ط . مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩ م .

ـ القانون في الطب ، تأليف الحسين بن عبد الله بن سينا طبعة مصورة بـالأوفست عن طبعـة بولاق .

ـ الكامل في التاريخ ، تأليف عز الدين بن الأثير ط . دار صادر بيروت ١٩٦٦ م .

ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، تـأليف مصطفى بن عبـد الله الشهير بحـاجي خليفة . ط . وكالة المعارف ١٩٤١ م ـ ١٣٦٠ هـ .

ـ كشاف اصطلاحات الفنون ، تأليف محمد أعلى بن علي التهانوي ط . كلكتة ١٨٦٢ ع .

ـ الكليـات ، تـأليف أيوب بن موسى الحسيني الكفوي ، تحقيـق د . عـدنـان درويش ومحمد المصري من منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ١٩٧٤ م .

ـ اللباب في تهذيب الأنسـاب ، تأليف عز الدين بن الأثير . ط . دار صادر بيروت .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ لسان العرب ، تأليف محمد بن مكرم بن منظور الافريقي . ط . دار صادر . بيروت .
ـ مآثر العرب في العلوم الطبية ، تأليف د . سامي حداد . محاضرة نشرت في مجلة العروة ، عدد كانون الثاني سنة ١٩٣٦ م .
ـ محيط المحيط ، تأليف بطرس البستاني ، طبعة بالأوفست نقلاً عن طبعة ١٨٧٠ م .
ـ مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة مايعتبر من حوادث الزمان ، تأليف عبد الله بن أسعد بن علي اليافعي . ط . مؤسسة الأعلمي للمطبوعات . بيروت .
ـ مفيد العلوم ومبيد الهموم ، تأليف أحمد بن محمد بن الحشاء ، تحقيق جورج كولان وب . ج رنو من مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية . رباط الفتح ١٩٤١ م .
ـ مقدمة حول طب العيون العربي ، تأليف د . نشأة حمارنة ، مقالة من مجلة التراث العربي ، العدد ١٧ ص ١٥٣ ـ ١٨٥ .
ـ المعجمات الطبية ، تأليف د . نشأة حمارنة ، مقالة من مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مج ٦٠ ج ١ ص : ١٠٤ ـ ١٢٣ .
ـ معجم البلدان ، تأليف ياقوت بن عبد الله الحموي . مطبعة السعادة . مصر .
ـ معجم المؤلفين ، تأليف عمر رضا كحالة مطبعة الترقي بدمشق ١٣٧٦ هـ = ١٩٥٧ م .
ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، تأليف يوسف بن تغري بردي . ط . دار الكتب المصرية ١٣٤٨ هـ = ١٩٢٩ م .
ـ نكت الهميان في نكت العميان ، تأليف صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي . ط . مصر ١٣٢٩ هـ = ١٩١١ م .
ـ هدية العارفين ، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، تأليف اسماعيل باشا البغدادي ، ط . استانبول سنة ١٩٥١ م .
ـ الوافي بالوفيات ، تأليف صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي . ط . فيسبادن ١٩٧٩ م .
ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تأليف أحمد الشهير بابن خلكان ط . بولاق ١٢٩٩ هـ .

٣ ـ الأجنبية

- Geschichte der Arabischen litteratur .
Prof . Dr C . Brockelmann . Leiden E . j . Brill 1937
Erster supplementband 1937 .
- Geschichte des Arabischen schrifttums .
Fuat Sezgin . leiden E . j . Brill 1970

http://Archivebeta.Sakhrit.com

(التعريف والنقد)

نظرات في نظرات

٣

الأستاذ أحمد راتب النفاخ

١١ ـ تصدّى الأستاذ في الفقرة (٤٧) لتقويم ما رآه منحرفاً في هذين البيتين :

فيصبح باليه جديداً ونبته أفيفاً وينبي ماله حين يسرح
أرى فزعاً غُرّاً يبشّرنَ بالحيا ينتّج في أوطان ميّ ويلقح

فقال في البيت الأول : « أرى أن « أفيفاً » بالفاء تحريف « أثيثاً » بالثاء ، والنبت الأثيث الكثير الملتف » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولا شك أن الشاعر إنما أراد « أثيثاً » ولكن إذا صحّ أن الثابت في أصل كتاب الهجري « أفيفاً » بالفاء فإن له وجهاً . وذلك أن الثاء والفاء من حروف المعاقبة وقد ذكر أصحاب اللغة مما تعاقبا فيه حروفاً جمة ، من نحو « جدث » و « جدف » و « لثام » و « لِفام » و « حثالة » و « حفالة » . انظر القلب والإبدال ، لابن السكيت ، ص : ٣٤ ـ ٣٦ (ط . هفنر في الكنز اللغوي) وص : ١٢٥ ـ ١٢٧ (ط . مجمع اللغة العربية بالقاهرة) والإبدال ، لأبي الطيب ١ : ١٨١ ـ ٢٠٠ . غير أني لم أصب نصاً على تعاقبها في « أثيث » . ومع ذلك لا يبعد أن يكون الإبدال فيه لغة قائل هذا الشعر أو لغة من أنشده ، فقد تعاقبت الثاء

● نشر القسمان الأول والثاني من المقال في مجلة المجمع (مج ٥٩ ص ٥٨٧ ، مج ٦٠ ص ٣٠٢) .

والفاء ـ كما يقول الفراء ـ في كثير من الكلام ، انظر كتابه معاني القرآن ١ : ٤١ ، و ٣ : ٢٤١ . ويؤنس بذلك أنّ أهل البحرين اليوم كثيراً ما يبدلون الثاء فاء ، ومن ذلك أنهم يقولون « فلافة » بدل « ثلاثة » أخبرني بذلك الأخ الأستاذ علي التاجر وغيره من البحرانيين .

وأمّا البيت الثاني فقال الأستاذ فيه : « أرى « فزعاً » بالفاء تصحيف « قَزَعاً » بالقاف ، وهو السحاب المتفرّق ، وأن « غُرّاً » تصحيف « غَمْراً » بالميم بعد الغين ، وهو الماء الكثير الذي يغمر ويغطي ، أو البحر ، ووصف القزع وهو جمع بالغمر وهو مفرد معروف في لغة العرب ، كقوله تعالى : ﴿ والملائكة بعد ذلك ظهير ﴾ ـ (التحريم / ٤) وكقول زهير :

وإن يشتجر قوم يقل سرواتهم هُم بيننا فهمْ رضىً وهُم عَدْلُ »

وما ذهب إليه الأستاذ من أن « فزعاً » تصحيف « قَزَعاً » صواب محض . وأما أن يكون « غُرّاً » تصحيف « غَمْراً » فما أعرف أن السّحب توصف بـ « الغمارة » وما ذكره من أن وصف الجمع بالمفرد معروف في لغة العرب لا يصحّ على إطلاقه . والشاهدان اللذان احتجّ بهما وقع فيهما الإخبار عن الجمع بالمفرد لا وصف الجمع بالمفرد ، ولكن لا ضير في ذلك ، فإن حكم الصفة والخبر في هذه البابة واحد ، ومع ذلك لا حجة له فيهما لما سيأتي بيانه . والصحيح في المسألة أن الصفة ـ ما لم تكن سببية رفعت اسماً ظاهراً ـ ينبغي أن تطابق موصوفها في الإفراد والتثنية والجمع ، وفي التذكير والتأنيث . انظر بسط ذلك في شرح المفصل ٣ : ٥٤ ـ ٥٦ وغيره من مطوّلات النحو . وكذلك حكم الخبر مع المخبَر عنه ما لم يكن سببياً رفع اسماً ظاهراً أيضاً . ويخرج عن ذلك الوصف والإخبار بالمصدر ، فإنه

ARCHIVE
http://Archivebeta.sakhrit.com

يستوي فيها المفرد والمثنى والجمع ، والمذكر والمؤنث ، نحو قولهم : « رجلٌ كَرَمٌ » و « امرأة كَرَمٌ » وكذلك يقولون في مثنيها وجمعيها أيضاً .
ولأصحاب العربية في تأويل ذلك مذهبان . أحدهما : أنه على تقدير مضاف محذوف مطابق للموصوف أو المخبَر عنه . وعلى هذا يكون قولهم : « رجل كَرَم » .... و « رجال كَرَمٌ » في تقدير « رجل ذو كرمٍ » .... و « رجال أولو كَرَمٍ » . والمذهب الآخر ـ وهو اختيار المحققين ـ أنهم جعلوا الموصوف والمخبر عنه الحدث نفسه (المصدر) على وجه الاتساع والمبالغة .
انظر في ذلك كتاب سيبويه ١ : ١٦٩ ، والمقتضب ٣ : ٢٣٠ ، والخصائص ٢ : ٢٠٢ ـ ٢٠٤ و ٣ : ١٨٩ ، والمحتسب ٢ : ٤٣ ، ٤٥ ـ ٤٦ ، وأمالي ابن الشجري ١ : ٧٠ ـ ٧١ ، وشرح المفصل ١ : ١١٥ و ٣ : ٤٩ ـ ٥٢ ، وشرح الكافية ١ : ٣٠٦ ، والخزانة ١ : ٢٠٧ . وأما قوله تعالى : ﴿ والملائكةُ بعد ذلك ظهيرٌ ﴾ [سورة التحريم : ٤] فلا حجة له فيه من قبل أن ما كان من بناء « فَعول » أو « فعيل » فإنه يجري على المفرد والمثنى والجمع بلفظ الواحد ، أو كثيراً ما يكون كذلك . ومن الأوّل لفظ « عدوّ » في قوله تعالى : ﴿ فإنهم عدوّ لي إلا ربَّ العالمين ﴾ [سورة الشعراء : ٧٧] وغيره من الآي ، ومن الآخر الآية التي احتج بها الأستاذ ، وقوله تعالى : ﴿ وَحَسُنَ أولئكَ رَفِيقاً ﴾ [سورة النساء : ٦٩] وقوله : ﴿ وخَلَصُوا نَجِيّاً ﴾ [سورة يوسف : ٨٠] ومثل ذلك في القرآن والشعر كثير . انظر معاني القرآن ، للأخفش ١ : ٢٣٨ ـ ٢٣٩ ، ٢٤٢ ، وتفسير الطبري ٢٨ : ١٠٥ (ط . بولاق) و ٨ : ٥٣٢ ـ ٥٣٣ و ١٦ : ٢٠٤ ـ ٢٠٥ (بتحقيق الأستاذ محمود محمد شاكر) والكشاف ١ : ٤١١ و ٢ : ٢٨٤ و ٣ : ٢٥١ ط . المكتبة التجارية) ومجمع البيان ٣ : ٢٥٤ و ٥ : ٣١٣ ، والبحر

المحيط ٣ : ٢٨٨ و ٥ : ٣٣٥ و ٨ : ٢٩١ . وانظر أيضاً « باب ما يكون واحداً يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث بلفظ واحد » في المخصص ١٧ : ٢٩ ـ ٣٥ .

وبعدُ فإن « غُرّاً » في البيت صحيح لا شبهة فيه ، وإنما أراد الشاعر « قزعاً بيضاً » فإن « غُرّاً » جمع « أغرّ » ـ وهو الأبيض ـ ومؤنثه : « غرّاء » . وما أدري ما الذي راب الأستاذ في هذا اللفظ حتى اتّهمه بالتصحيف مع أن وصف السحائب بذلك معروف وليس بنادر ، يحضرني من شواهده قول الحطيئة (ديوانه ٢٤٨ ، واللسان : غمم) :

إذا غبتَ عنا غابَ عنّا ربيعُنا ونُسْقَى الغمامَ الغُرَّ حين تـؤوبُ

وقول توبة بن الحميّر (الأغاني ١١ : ٢٠٨) :

حمامةَ بَطْنِ الواديينِ ترنّمي سقاكِ من الغُرّ الغوادي مطيرُها

وقول ابن ميادة (أساس البلاغة ـ نحر) :

أطاعَ لها نبتُ الخُزامى وجادَها بأوطانِها غُرُّ السَّحابِ المشهّر

وقول آخر (أساس البلاغة ، واللسان : نفى) :

كأنّكَ بالمباركِ بعدَ شَهْرٍ يناغي موجَه غُرَّ السَّحابِ

وقول أبي الطيب :

سقاها الغمامُ الغُرُّ قبلَ نُزولِه فلمّا دنا منها سقتْها الجماجمُ

١٢ ـ قال الأستاذ في الفقرة (٤٩) : « وفي (ص ٢٢٧ ـ ٢٢٨) روى الهجريّ لعمرو بن المسلّم قوله :

أقمتُ زماناً بالمدينة راجناً أباصرُ ما والي أميةَ صانعُ

نهاري نهار الناس حتى إذا دجا لي الليل هزّتني إليك المضاجعُ
أعلّل نفسي بالحديث وبالمنى ويجمعني والهمّ بالليل جامع
ليرزقنك الله من بين خلقه أم أنت من الرزق الذي الله مانعُ

وقال الأستاذ المحقق في الأبيات إنه لم يجدها « في المصادر الأدبية المختلفة » . قلت : إن كان الهجري رواها لعمرو بن المسلّم ، فهي مروية ـ عدا البيت الأخير ـ لابن الدمينة كما في ديوانه (٨٨ ـ ٩٠) [الصواب : ٨٧ ـ ٨٨] وكما في الأغاني (١٧ / ٩٩ ـ ١٠٠) وكما في مراجع أخرى ذكرها محقق ديوانه .... » .

قلت : وقد زدت في تخريجي لقصيدة ابن الدمينة في ديوانه ، ص : ٢٢٥ على ماذكر الأستاذ أن البيتين ٣ ، ٤ ـ وهما الثالث فالثاني مما أنشده الهجري لعمرو بن المسلّم ـ قد نسبا أيضاً إلى المجنون في مصادر سمّيتها ثمة ، ونسبا إلى قيس بن ذريح في روايات أخر منها رواية القالي لقصيدته الطويلة في أماليه ٢ : ٣١٤ ـ ٣١٧ ، وإحدى روايات الأغاني ٩ : ٢١٧ ، غير أن أبا الفرج صحّح القول بأنها لابن الدمينة . وأزيد هنا أن أبا بكر بن الأنباري رواها في الزاهر ١ : ٢٥١ لابن الدمينة أيضاً ومعها ثالث بعدها ، وهو :

أبى الله أن يلقى الرشاد متيّمٌ ألا كلُّ أمر حمّ لا بدّ واقع

وهذا البيت ثابت لقيس بن ذريح في رواية القالي وأبي الفرج لقصيدته . وانظر كتاب « قيس ولبنى ـ شعر ودراسة » للدكتور حسين نصار ، ص : ١٠٠ وما بعدها .

وقد فات الأستاذ أن ينبه على أن البيت الأخير مما رواه الهجري لا يصح ـ كما أثبته الناشر ـ وزناً ولا معنى ، وصوابه فيما أقدّر :

أَيَرْزُقُنِيــكِ اللهُ من بَيْنِ خَلْقِــهِ   أَمَ أنتِ من الرّزق الذي الله مـانعُ

وعجز البيت لا يتّزن بتحقيق الهمـزة في « أنت » كما نقلـه الأستـاذ ، بـل لابدّ لاتّزانه من حذفها بعد نقل حركتها إلى الميم الساكنة قبلها كما أثبتّه .

وقال الأستاذ في هذه الفقرة أيضاً : « والبيت الأول فيـه « راجناً » وهو تصحيف « راجياً » وروايته في ديوان ابن الدمينة :

أقمتُ على رَمّـان يـومـاً وليلــةً   لأنظر مـا واشي أميـةَ صـانـعُ

وفي الأغاني « زمّان » بـالزاي بـدل « رمـان » بـالراء وأظنهـا تصحيفـاً . ورواية « واشي » في الديوان والأغاني جيدة ، ولكن « والي » التي رواهـا الهجري لا تقلّ عنها جودة ، والتصحيف بينهما ممكن » .

وكنتُ علّقت على هذا البيت في ديوان ابن الـدمينـة ، ص : ٨٧ أن رواية الهجري له ـ وقد كان مخطوط كتابه من مراجعي :

أقمتُ زمـانـاً بـالمـدينــة راجيــاً   أبــاصر مـا واشي أميـة صـانـع

وقد أكـون سهـوتُ في النقـل فـأثبتُّ في عجـز البيت « مـاواشي » بـدل « مـاوالي » وليس تحت يـدي مصوّرة عن الكتـاب فـأتحقق الأمر ، ولعل الناشر لم يثبت إن شاء الله إلا صواباً .

وأما « راجياً » في صدر البيت فهكذا كنت قرأته ، فـإن صحّ أن في أصل كتاب الهجري « راجناً » بالنون فإن له وجهاً لا يُقْطَع معه بـأنـه تصحيف . وذلـك أن يكون « فـاعلاً » من قـولهم : « رجن بـالمكان » أي أقـام بـه ، فيكـون على هـذه القراءة قـد وقـع حـالاً مـؤكِّـدة لعـاملهـا : « أقمتُ » وأما على قراءة « راجياً » فيكون حالاً مؤسِّسة .

١٣ ـ وفي الفقرة (٥٥) تكلّم الأستـــاذ على بيتين رَدّدت نسبتها بين

توبة والمجنون ، وهما :

أمـــا وأبي ليلى لقـــد كنتُ مرّةً   أحبّ غـدوّاً نحـو ليلى أزورهـا
ولكن ليلى قطعتْ كلّ مرّةٍ   وكل قوى حبّاً قـديـماً نغيرهـا

قال في البيت الأول : « و « مرّة » من البيت الأوّل أجدها « مدّة » بالدال وبضم الميم . أي أنه ظلّ مدّة يخبّ فرسه أو بعيره لزيارة ليلى »

ولفظ « مَرّة » ليس بمحرّف كما قال الأستاذ ، بل هو الصحيح الذي لا ريب فيه ، إنما أراد الشاعر « مرّة من الدهر » أي حيناً منه ؛ يدلّ على ذلك أبين الدلالة قولُ حميد بن ثور (ديوانه ، ص : ٨٨) :

وقد كنتُ في بعض الصّباوة أتّقي   أموراً وأخشى أن تدور الدوائرُ
وأعلمُ أنّي إنْ تغطّيتُ مَرّةً   من الدّهر مكشوفٌ غطائي فناظر

ARCHIVE
http://Archive.Sakhrit.com

ونحوه قول جميل (ديوانه ، ص : ٦٥) :

وهلْ ألقينْ سعدى من الدَّهر مرّةً   ومارثٌ من حَبْل الصّفاء جديدُ

وقولُه (ديوانه ، ص : ١٧٧) :

أجـــدّيَ لا ألقى بثينـــةَ مرّةً   من الدهر إلا خائفاً أو على رَحْل

ومما جاء فيه لفظ « مرّة » مجرّداً بمعنى « الحين » قول عمرو بن معديكرب (شعره ، ص : ١٢٦) :

كانتْ قريشٌ تحمـــلُ الخَزَ مرّةً   تجاراً فأضحتْ تحمل السُّمَّ منقعاً

وقولُ جميل (ديوانه ، ص : ١٠٠) :

وقـد كان مّمن يسكنُ الربعَ مرّةً   جميلُ المحيّا قاصرُ الطَّرْفِ فاترُهْ

وقولُ يزيد بن الطثرية (شعره ، ص : ٢٧) :

وقـالـوا لقـد كنّـا نَعـدُّك مرّة   جليداً ومـا هـذا بفعلِ فتىً جَلْدِ

هذا ، وقول الأستاذ في شرح البيت : « أي أنه ظل مدّة يخب فرسه أو بعيره لـزيـارة ليلى » يـؤذن بـأنـه يرى « أحبّ » في البيت تصحيف « أُخِبّ » بالخاء ولكنه سهـا عن ذكر ذلـك . ومـا رآه أشبه بـالصواب . وأحَبُّ إليّ منـه أن يكـون « أَخُبَّ » ـ بفتـح الهمـزة ـ مضـارع « خبّ » المجرّد ، أي أُسْرِع ، فيستغني عن تقـدير مفعـول بـه . وأمـا المصـدر « غُدُوّاً » ـ وقد أغفله الأستـاذ في شرح البيت ـ فيكون على كلا الوجهين واقعاً موقع الوقت ، أي وقت الغُـدُوّ ، كما في قولـه تعـالى : ﴿ يُسَبِّحُ لَـهُ فيها بالغُدُوِّ والآصالِ رجال ﴾ [سورة النور : ٣٦ ـ ٣٧] .

وأمـا البيت الثـاني ـ والخلل بيّن في عجزه ـ فلم يـزد الأستـاذ في محاولته تقويمـه على أن قـال : « ...... و « حُبّاً » بـالنصب الصوابُ فيهـا « حُبٌّ » بالجر » ولم يلتفت إلى ما وراء ذلك وفيه مـا ينبو عنـه الطبع وتنكره البـديهـة . وذلـك أن قولـه : « قـديمـاً » لا يصح بحكم معنـاه أن يكون ظرفـاً لفعل مضـارع ـ وهو هنـا قولـه : « نغيرهـا » ـ إلا أن يقـع خبراً لـ « كان » . وهـذا يـوجب أن يكـون الصـواب في عجـز البيت : « وكلُّ قوىً كُنّـا قـديمـاً نغيرهـا » . وظني أن هـذا هـو الثـابت في أصل الكتاب إلا أن الناشر حرّف « كُنّا » فصيّرها « حُبّاً » . ومن الغريب أن يـذهب هـذا عن الأستـاذ وقـد هـداه طبعـه في شرحـه للبيت إلى الوجـه الصحيح في العبـارة عن هـذا المعنى فقـال : « والمعنى أن ليلى قطعت كل حبل للوصل ، وجميع قوى الحب التي كُنّا قديماً نشدّ فتلها » .

١٤ ـ قـال الأستـاذ في الفقرة (٥٨) : « وفي (ص ٢٥٥) قصيـدة لعبد الله بن أبي صبح المزني[١] جاء فيها :

وحيُّ بني لقمانَ فـالحيُّ حيرة وتقرأ عليهمْ من تحيّتنـا مثـلا

وأظنّ أن الصواب « وحيَّ » و « فـالحيَّ » بـالنصب منها[٢] لا الرفع ، لأنّها في موضع العطف على البيت قبله :

تبلّغ يعقـوبَ بن يحيى رسـالـة وعمراً وشبـلا أودع الله لي شبـلا

و « تقرأ » حقـه الرفع وبـه يكسر الوزن ، وجبره يجب أن تُسَهَّل الهمـزة فيقال : « وتقرا » .

ومـا قـالـه الأستـاذ في « وتقرأ » صحيـح ، والـوجـه في « وحيّ بني لقمان » النصب كما ذكر أيضاً . وأما « فالحيُّ » فليست الفاء فيـه عـاطفـة بمعنى التشريك كما ظن الأستاذ ، بل استأنف الشاعر بها كلاماً آخر على معنى التعليـل لمـا قبلـه ، والمراد بـ « الحي » حي بني لقمان الـذين تقدّم ذكرهم ، والوجه فيه وفيما بعده الرفع ، إذ هما مبتدأ وخبره .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد فات الأستاذ أن لا موقع لـ « حيرة » ـ بالحاء المهملة ـ ههنـا ، ومن البيّن أنه تصحيف « جيرة » بالجيم ، أي جيران .

١٥ ـ قـال الأستـاذ في الفقرة (٥٩) : « وفي (ص ٢٥٨) روي البيت الأول والثاني من قصيدة لعبد الله بن أبي صبح المزني :

ألا حييـا الـذلفـا ألا حييـا جُملا وقـولا تغنّى حـاتم بكـا جهـلا
لكيمـا تظنـا اليـوم أنـه فـارغ وأقسم أني قـد ملأتـه بي شغـلا

والبيت الثـاني غير صـالح وزنـاً ولا معنى ، وأظن أن الصواب في روايـة صـدره : « .... أنيَ فـارغ » أمـا عجزه فيجوز إصلاحه بـأن يقـال : « وأقسم أني ممتلٍ منها شغلا » بحذف الهمزة من آخر ممتلئ . وذلـك كلـه يوافق سياق البيت الأول » .

وقوله في عجز البيت : « ويجوز إصلاحه .... » قد تقدّم القول في مثله والتنبيه على ما في إطلاق ذلك واللهج به من محذور . ومما يؤخذ على الأستاذ هنا أيضا قوله في « مُمتَلِ » : « بحذف الهمزة من آخر ممتلئ » والوجه أن يقال : « بإبدال الهمزة من « ممتلئ » ياء وإجرائه مجرى المنقوص » . هذا إلى أن الأستاذ لم يصب مراد الشاعر من جهة ، وخفي عليه وجه اتّزان البيت من جهة أخرى، فقال فيه ما قال ، على حين أن البيت ـ كما أثبته الناشر ـ صحيح معنى ووزناً . وذلك أنه من البيّن أن الشاعر ينقض على حاتم الذي ذكره قصيدةً شبب فيها بالذلفاء وجمل ، ونال فيها منه[٣] ، فهو يقول في هذين البيتين : ألا حبيا ـ يا صاحبيّ ـ الذلفاء وجملا ، وقولا لها : إن حاتماً إنما تغنى بكما جهلا ليوهمكما أنه فارغ (يعني من الهموم) فلا همّ له إلا اللهو والتشبيب . ثم يقول : وأقسم أنه ليس بفارغ ، بل إني بتصدّيّ له قد ملأته شغلا بي ـ يريد أنه أورد عليه ما ملأه همّاً ، فهو منه في شغل شاغل . ومن الغريب أن يغيب عن الأستاذ هذا المعنى وهو ظاهر لايكاد يخفى . وليس في البيت بعدُ من جهة الوزن إلا أن الشاعر اضطرّ لإقامة وزنه إلى حذف واو الصلة من هاء الضمير المتحرك ما قبلها في « أنه » و « ملأته » . ويظهر أن الأستاذ قرأ البيت بإثبات هذه الواو فخيّل إليه أنه مختلّ الوزن . وحَذْف واو الصلة ويائها من هذه الهاء في ضرورة الشعر كثير ؛ أنشد سيبويه في « باب ما يحتمل الشعر » ١ : ١٠ شاهداً على ذلك قول مالك بن حريم (وهو من قصيدة له في الأصمعيات ، ص : ٥٦ ـ ٦٢) :

فإن يك غثّاً أو سميناً فإنّني   سأجعل عينيه لنفسه مقنعا

ثم أنشد ص : ١١ ـ ١٢ شواهد أخر ، منها قول الشماخ :

لَـهُ زَجَـلٌ كأنَـهُ صـوتُ حـادٍ إذا طلب الـوسيقـة أو زميرُ

وقول الأعشى :

ومـالـهُ من مَجْدٍ تليدٍ ومـا لـهُ منَ الريحِ حظٌ لا الجَنوبِ ولا الصَّبا

ومثل ذلك كثير .

وقد حملت الضرورة بعضهم على أشدّ من هذا ، فأسكنوا هذه الهاء في الوصل البتة ، نحو قول يعلى الأحول الأزدي :

فبتّ لدى البيت العتيق أخيلـه ومِطْوايَ مشتـاقـانِ لَـهْ أرقـانِ

وقد زعم الأخفش أن إسكانها لغة لأزد السراة .

وأشدّ من ذلك كله أن الضرورة ألجأت بعضهم أيضاً إلى حذف الواو من (هو) والياء من « هي » . ومنه قول الراجز :

دار لسـعدى إذْ هِ من هـواكـا

وقولُ العجير السلوليّ أو المخلّب الهلالي :

فبينـا هُ يشري رحله قـال قـائلٌ لمن جمـلٌ رِخْـوُ المـلاطِ نجيبُ

انظر في بسط ذلك كله ضرائر الشعر ، لابن عصفور ، ص : ١٢٢ ـ ١٢٧ والمصادر التي أحال عليها محققه .

١٦ ـ نقل الأستاذ في الفقرة (٦١) هذه الأبيات لرملة أخت مشيّع ترثيه :

ألا أيهـا النـاعي سحيراً مشيّعـاً لعمري لقـد صبّحتَنـا بيـلا

تركنا لواء العز والمجد ثاويا ... بِبُغمة مبنياً عليه بنا
لعمرك ما كُنّا مللنا مشيّعاً ... ولكن دواعي ميتة وقصا

وقال فيها : « هكذا وردت أواخر الأبيات « بيلا » و « بنا » و « قصا » بالصاد المهملة . وعندي أن الأولى بالهمز مع السكون ، أي : بيلاءْ ، وبناءْ ، وقضاءْ ، بالضاد المعجمة » .

قلت : الأبيات من الطويل ، ولا يتمّ وزنها بقصر الكلم الواقعة في أواخرها كما أثبتها الناشر ، ولا بدّهن مع إسكان الهمزة كما اختار الأستاذ ؛ إذ تكون أضربها على الأول بزنة « فَعَلْ » وعلى الآخر بزنة « فعولْ » وكلاهما ليس من أضرب الطويل . ولا تستوفي الأبيات وزنها إلا بمدّ هؤلاء الكلم وتحريك الهمزة وإطلاقها (بيلاءِ ، بناءُ ، قضاءُ) فتكون من ثالث الطويل ، أي الضرب المحذوف ، ووزنه « فعولن » . ويظهر أن الأستاذ ما اختار أن تكون الأبيات مقيّدة (ساكنة الروي) إلا اتقاء الإقواء ، وقد تقدّم أن الإقواء في شعر الأعراب كثير ، وأنهم كانوا لا يأبهون له . وقد قال أبو الحسن الأخفش في كتابه : القوافي ، ص : ٤٢ (ط . وزارة الثقافة بدمشق) ٤٧ (ط . دار الأمانة ببيروت) بعد أن ساق أمثلة من الإقواء : « وقد سمعت مثل هذا من العرب كثيراً مالا يحصى ، قلّ قصيدة ينشدونها إلا وفيها الإقواء ثم لا يستنكرونه .... » .

١٧ - وفي الفقرة (٧١) تكلّم الأستاذ على بيتين للغاضري أخلّ بها التصحيف ، وأولهما :

وهاجرة يقبل الذئب فيها ... على الغنم الرباع وهْوَ يراها

هكذا جاء البيت ! ورأى الأستاذ أن الصواب : « .... يَقِيل الذئبُ

فيها × عن الغنم .... » والقول ما قال[٩] ، وبه يتزن البيت ويضح وجه المعنى . غير أنّ في البيت شيئاً آخر لم يلتفت الأستاذ إليه ، وهو وصف الغنم بـ « الرّباع » فإنه لا يكاد يبين له وجه ، والظاهر أنه تصحيف « الرتاع » بالتاء ، من قولهم : « رتعت الماشية » أي أكلت ما شاءت ، وذهبت وجاءت في المرعى نهاراً ، ومنه يقال : « ماشية رُتَّع ، ورُتوع ، ورواتع ، ورِتاع » كما جاء في اللسان (رتع) .

والبيت الآخر :

قطعتُ مخوفها بعثمثمات عشاف السّرّ تنفخ في بُراها

وقد ذهب الأستاذ إلى أن « عشاف السرّ » تصحيف « عساف السَّيْر » ويظهر أنه كما قال ، غير أنه وصل ذلك بقوله : « و « تنفخ » بالخاء المعجمة تصحيف « تنفج » بالجيم . والمعنى : أنه قطع مخوف الصحاري بإبل طويلة غليظة تركب رأسها في السير لا يثنيها شيء ، وتثير ما تطأ من تراب » .

وقد أبعد الأستاذ في هذه المقالة ؛ فإنه ما يُعْرَف أنه يقال : « نفج الترابَ » أو « نفج في التراب » بمعنى أثاره . ثم إنه أقرّ ضم الباء في « بُراها » والتراب إنما يقال له : « البَرى » بفتح الباء . و « تنفخ في بُراها » ـ كما أثبته الناشر تبعاً لأصل الكتاب ـ هو محض الصواب ، و « البُرى » بضم الباء جمع « بُرَة » وهي حلقة من صفر أو نحاس تجعل في أنف البعير ويُعَلّق بها الزّمام . وهذه العبارة ونحوها مما يتردّد في صفة المطايا ، ومن ذلك قول أبي سدرة سحيم بن الأعرف الهجيمي من أبيات مدح بها حسان بن سعد الأسدي عامل الحجاج على البحرين (الشعر

والشعراء ، ص : ٦٤٢ ، والمجتنى ، لابن دريد ، ص : ٦٣ ، والمؤتلف والمختلف ، ص : ٦٥ ، وفرحة الأديب ، ص : ٦٥ ، وهي عن الفرحة في الخزانة ١ : ٢٨٠) :

إلى حسّان من أكناف نجد   رحلْنا العيس تنفخ في بُراها

وقولُ بعض الأعراب (أنشده ياقوت في معجم البلدان : المأزمان) :

ألا ليت شعري هل أبيتنّ ليلةً   وأهلي معاً بالمأزمين حلولُ
وهل أُبصِرَنّ العيس تنفخ في البُرى   لهـا بمِنىً والمحرمين ذَميلُ

وقول عبد الرحمن بن الحكم ، وينسب أيضاً إلى زياد الأعجم (إصلاح المنطق ، ص : ٩ ، وتهذيبه للخطيب التبريزي ١ : ١٣ ـ ط . مصر ، وص : ٣٨ ـ ط . بيروت بتحقيق د . قباوة ، والمحكم ١ : ٩١ ، والمخصص ٧ : ١٤٣ ، والتكملة : قطع ، واللسان : صنع ، قطع) :

أتتْكَ العيسُ تنفخ في بُراها   تَكَشَّفُ عن مناكبها القُطوعُ

ونحو ذلك قولُ أبي الرُّبَيْس الثعلبي من مقطعة له في « الحماسة » :

يُباري بها القَوْدَ النوافخَ في البُرى   قليلُ النزول أغيدُ الخَلْق عاطلهْ

وفي تأويل هذه العبارة قولان ذكرهما الخطيب التبريزي في شرحه لبيت عبد الرحمن بن الحكم في تهذيب الإصلاح ، قال : « العيس : الإبل البيض ، الذكر : أعيس ، والأنثى : عيساء . والبُرى : جمع بُرَة ، وهي الحلقة من صفر تكون في أنف البعير . والمناكب : فروع الكتفين . يعني أن مناكبها عظام ، فلا تسترها كلَّها القطوعُ . وقيل : لسرعتها ونشاطها . وإنما أراد أنها أعيتْ من السير ، واضطرب الرحل فوقها ،

فنفخت في بُراها من البُهْر والتعب الذي لحقها ، وتكشفت القطوع عن مناكبها . يصف كلال راحلته وبُعْدَ الشُّقَّة ليرعى حقَّ قصده إليه من المكان البعيد .... » وهذا التفسير الأخير الذي ارتضاه الخطيب هنا أخذه بلفظه من كلام ابن السيرافي في شرح أبيات الإصلاح (انظر نص كلام هذا في المشوف المعلم ٢ : ٦٤٨ ، التعليق : ٢) . وأما القول الذي حكاه بصيغة التريض ـ وهو يفيد أنها تنفخ في بُراها لنشاطها وسرعتها ـ فقد أخذ به هو نفسُه في تفسيره لبيت أبي الربيس في شرح الحماسة ٣ : ١٢٩ ولم يذكر غيره ، قال : « النوافخ : المتنفّسات نفخاً لنشاطها » وأصل هذه المقالة من كلام المرزوقي في شرحه للحماسة ، ص : ١٢٥٨ أخذها منه الخطيب بلفظها ، وكان المرزوقي قد قال قبلها أيضاً أول ما أخذ في شرح البيت : « يقول : يعارض بهذه الراحلة التي وصفتُها رواحلَ طوالَ الأعناق تنفخ في بُراها لنشاطها رجلٌ قليلُ النزول عنها .... » . وهذا التفسير أحرى بالصواب ، فإن بيت أبي الربيس لا يحتمل غيره ، ويصدّقه ثاني البيتين اللذين أنشدهما ياقوت :

وهل أُبصرنّ العيسَ تنفخ في البُرى لهـــا بمِنىً والمحرمين ذميــلُ

فإن « الذَّميل » ـ وهو سير ليّن سريع فوق العَنَق ـ لا يكون من راحلة نهكها التعب ، وأدركها الكلال .

هذا ، وما قاله التبريزي والمرزوقي في شرح البيتين يوهم أن قولهم : « في براهـا » و « في البرى » ظرف لغـو يتعلـق في بيت أبي الربيس بالوصف : « النوافخ » وفيما قبله بالفعل : « تنفخ » . والوجه عندي فيه أنه ظرف مستقرّ وقع موقع الحال من الفاعل ، وهو الضمير المستتر في

الفعل والوصف ، كأنهم قالوا : « تنفخ وهي في براها » و « النوافخ وهي في البرى » . يدلّ على ذلك أبين الدّلالة أن مثل هذا الظرف وقع موقع الخبر عن « المطايا » في قول القائل (أنشده ابن سيده في المحكم ١ : ١٤٨ ، وهو عنه في اللسان : بقع) :

وأبقعَ قد أرغْتُ به لصحبي   مَقيلاً والمطايا في بُراها

وقد رأيت المرزوقي صرح في شرحه للحماسة ، ص : ٦٧٧ بأن مثل هذا الظرف وقع موقع الحال في بيت من مقطعة نسبت إلى الفرزدق ، وتنسب أيضاً إلى البرج بن خنزير التميمي ، ونسب بعضها إلى مالك بن الريب[٥] ، وهو قوله :

مُخَيَّسة بُزْلٍ تَخايلُ في البُرى   سَوارٍ على طول الفلاة غواد

قال المرزوقي : « وقوله : « تخايل في البرى » أي تختال في سيرها وهي مُبْراة تطيق وصل السير بالسرى على امتداد الشقة وطول الوجهة . وقوله : « في البُرى » في موضع النصب على الحال » . وقد تابعه التبريزي على ذلك في شرحه للحماسة ٢ : ١٠٩ .

وفي الشعر شواهد أخر وقع هذا الظرف في بعضها موقع الحال من المطايا ، ووقع في بعضها موقع الصفة لها . من ذلك قول حميد بن ثور (ديوانه ، ص : ٣٨) :

فما لَحِقَ العيران حتى تلاحقتْ   جمالٌ تَسامى في البُرين ونوقُ

وقولُ أبي وجزة السعدي (العباب ، واللسان : خنف) :

قد قلْتُ والعيس النجائب تغتلي   بالقوم عاصفةً خوانِفَ في البُرى

وقول جرير (النقائض ، ص : ٢٧١)

طلبوا الحُمولَ على خواضعَ في البُرى   يُلْحِقْنَ كلَّ معـــذَّلٍ بَسّـــامِ

وقولُ ذي الرّمة (ديوانه ٢ : ١٠٥٩) :

فلم تستطع مَيٌّ مهاواتَنـا السُّرى   ولا ليـلَ عِيسٍ في البُرين سـوامِ

وكلّ هذه الأبيات ـ كا ترى ـ في صفة رواحل نشيطة تغذّ السير ، وكأنهم لا يصفونها بأنها « في البرى » إلا وهي كذلك . وفي هذا ما يؤيّد أن الصحيح في تأويل قولهم : « تنفخ في براها » أنها تنفخ لنشاطها وسرعتها لا من الكلال والإعياء .

الحواشي والتعليقات

(١) كذا قال الأستاذ ، وهو مماسها فيه ، فالقصيدة ـ كا ذكر الهجري ـ لأبي مدرك حاتم بن مدرك السلمي يرد بها على عبد الله بن أبي صبح المزني .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٢) كذا في أصل مقالة الأستاذ بخطه ، ويظهر أنه سبق قلم ، والمراد : « فيها » .

(٣) وحاتم هنا هو حاتم بن مدرك السلمي الذي ذكرت آنفاً أنه هو صاحب القصيدة التي سلف الكلام على بيتين منها في الفقرة السابقة ، وابن أبي صبح يرد عليه بقصيدته هذه . ويظهر أنه كان بينهما مماظة وشرّ ثم اصطلحا ؛ روى الزبير بن بكار في جمهرة نسب قريش وأخبارها ١ : ١٠٧ ـ ١٠٨ قال : « حدثني أبو غزيّة (محمد بن موسى الأنصاري) قال : جرى صلح بين عبد الله بن عمرو بن أبي صبح وبين حاتم بن مدرك السلمي ، فقال حاتم :

دعـــاني أبـــو عمرٍو إلى الله دعــوةً   أصابَ بها مـا في فـؤادي ولا يَـدْري
إلى حَلَـــقٍ مِنْ خَيْرِ مَنْ وَطِئَ الحصـــا   وفي رَوْضَـــةٍ بَيْنَ الأَســـاطِينِ والقبرِ
فَتُبْنـــا وأَشْهَـدْنــا الـزُّبَيْرَ وإن نَعُــدْ   بِنَقْضٍ فما مِن تَـوْبَـــةٍ آخرَ الـــدَّهْرِ

قال أبو غزية : يريد الزبير بن خبيب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير » .

وذكر محقق الكتاب شيخنا أبو فهر في تعليقه عليه أنه لم يجد لحاتم هذا ترجمة . وأما ابن ابن أبي صبح ـ وقد روى له الزبير في كتابه هذا شعراً كثيراً ـ فقال شيخنا فيه ، ص :

٦٧ ـ ٦٨ التعليق : ٢ : « ابن أبي صبح المزني ، هو عبد الله بن عمرو بن أبي صبح المزنيّ ، وسيأتي له شعر كثير ، ورأيت له ترجمة في الفهرست لابن النديم : ٧٣ ، ٧٤ [٤٩ ـ ط . فلوغل ، ٥٥ ـ ط . طهران] وقال : « أعرابي بدوي ، نزل بغداد وبها مات . كان شاعراً فصيحاً أخذ عنه العلماء ، وله مع الفقعسي أخبار طريفة » يعني محمد بن عبد الملك الأسدي الفقعسي راوية بني أسد » .

قلت : وترجمته هذه نقلها القفطي بتصرف في إنباه الرواة ٢ : ١٢٥ ، وقد صحفت نسبته فيه إلى « المرّيّ » .

(٤) وقد وجدت الناشر أثبت في عجز البيت : « عن الغنم .... » لا « على الغنم .... » كما نقله الأستاذ .

(٥) انظر تعليق الأستاذ عبد السلام هارون على المقطعة في شرح الحماسة ، وتخريج الدكتور نوري القيسي لأبياتها في شعر مالك بن الريب ، شعراء أمويون ١ : ٥٢ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ملاحظات
على
ديوان بشار بن برد

الدكتور محمد حموية

يعد ديوان بشار بن برد الذي نشره العلامة محمد الطاهر بن عاشور ، رحمه الله ، في القاهرة ، في ثلاثة أجزاء (صدر الأول منها في سنة ١٩٥٠ والثاني في سنة ١٩٥٤ ، والثالث في سنة ١٩٥٧) أوفى ما وصل الينا من شعر بشار الضائع على مافي المخطوطة التي كانت بحوزة ابن عاشور من نقص ، اذ كانت الى أثناء حرف الراء ، إلا أن ما وقع في الأجزاء الثلاثة المطبوعة من تحريف وتصحيف شاعا في كل قصيدة من قصائد الديوان قد وعّر السبيل إلى الإفادة التامة مما نشر .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكان ابنُ عاشور قد أشار في مقدمته للديوان إلى أن المخطوطة التي كانت بحوزته كتبها ناسخ لم يكن ذا حظ كبير من العلم ، فحرّف وصحف وترك بياضا في المواضع التي عسرت عليه قراءة الاصل الذي نقل منه . وهذا ظاهر من الاشارات التي أكثر ابن عاشور منها في حواشيه على أبيات الديوان مما يدل حقا على ضعف الناسخ . وقد بين ابن عاشور خطته في العمل عندما أعد الديوان للنشر فأصلح مواضع الغلط ، أو رجح قراءة الكلمة على وجه يخالف مافي المخطوطة ، أو ترك الكلمة كما هي إن لم يهتد إلى وجه الصواب فيها . إلا أنه وقع أيضا في أوهام في

بعض ماااختاره من قراءات ، أو في شروحه لأبيات الديوان ، وربما كان تبحره في العلوم العربية واطلاعه على الشعر العربي سببا في بعض هذه الهنات ، اذ كانت تتبادر الى ذهنه هذه المعاني الشعرية أو الوجوه اللغوية والنحوية فكان يخرج عليها أبيات بشار مما زاد الأمر صعوبة واشكالا .

وعندما تولى الأستاذان : محمد رفعت فتح الله ومحمد شوقي أمين أمر مراجعة الديوان لطبعه ضمن مطبوعات لجنة التأليف والترجمة والنشر ، كانت بحوزتها المخطوطة الأصلية للديوان ، وكذلك النسخة التي أعدها ابن عاشور للطبع وعليها شروحه ، فأصلحا جهدهما بعض المواضع ، كما وقعا في أوهام جديدة مما زاد الامر إشكالا على اشكال .

وكان من الضروري أن ينبري الباحثون لاصلاح مايمكن اصلاحه من هذه التحريفات والتصحيفات ، لما لبشار من المكانة في ميدان الشعر العربي ، وكان من حسن الحظ أن أستاذنا العلامة الدكتور شاكر الفحام قد نشر بعض مالديه مما ارتأى اصلاحه في ديوان بشار في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (مج ٥٣ و ٥٤) ثم جمعت هذه الاصلاحات ونشرت في كتاب بعنوان نظرات في ديوان بشار بن برد ضمن مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، في طبعتين الأولى صادرة في سنة / ١٩٧٨ / م والثانية في سنة / ١٩٨٣ / م ، وهي الطبعة التي بين يدي . وقد أصلح استاذنا تصحيفات كانت مستعصية على الحل فردها إلى الصواب ، فأصبحت الأبيات بعد ذلك مشرقة منيرة تنبئ عن نسيج أبي معاذ المحكم .

وكان أستاذنا قد أشار في مقدمة كتابه (ص ٥) إلى أن بعض الباحثين قد نشر ملاحظات على الديوان مما يتصل باصلاح الخطأ فيه ، الا أن الحظ لم يسعدني بالوقوف عليها .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد كنت قرأت هذه الاجزاء الثلاثة من ديوان بشار فجمعت ملاحظات كثيرة يتصل أغلبها بما وقع في الديوان من التصحيف والتحريف وخلل الضبط ، والشروح التي جونب فيها وجه الصواب ، فرأيت أن أكتفي ببعض هذه الملاحظات التي تتصل بالتصحيف وما اليه ، وأعرضتُ عن الكلام على الشروح الخاطئة ، وأحببت أن أضعها بين يدي المهتمين بشعر بشار عسى أن يجدوا فيها بعض النفع ، وماأزعم أني جئت بالحق الصراح الذي لايقبل النقاش ، وما هي الا ملاحظات غلب على ظني صوابها وكان رائدي فيها شعر بشار نفسه ، إذ أنه كثيراً ما كان يكرر المعنى الواحد بتعبيرات مختلفة ، فكنت أسترشد بالصواب منها على مواضع الخطأ الذي تفشى في الكلمات ذات الحروف المتشابهة ، وقد راعيت في كل ذلك الرسم الاملائي للكلمة في الأصل المطبوع فلم أغير في صورته جهدي ، على أنني اعترف بأن كثيرا من هذه المواضع استعصى عليّ حلها فلم أهتد الى وجه الصواب فيها ، فاحتفظت بذلك لنفسي .

ومن الواضح أن هذه الملاحظات لاتحتمل الاثقال بتخريج الأبيات المستشهد بها ، أو الحواشي الطويلة ، اذ أن غايتها التنبيه على مواضع الغلط ليس غير . وقد اقتفيت فيها أثر أستاذنا في نظراته فأشرت إلى ابن عاشور بالشارح والى محمد رفعت فتح الله ومحمد شوقي أمين بالمراجعين ، رَوْماً للاختصار وعدم التكرار .

الجزء الأول من الديوان

١ ـ قال بشار في أبي أيوب المكي (١ : ١٠٢) :

تجهـزطـال في النصب الشـواء ومنتظر الثقيـــل عليّ داءً

والبيت مطلع قصيدة في هجاء أبي أيوب المكي . وذكر الشارح في الحاشية :

« قال في أبي أيوب المكي ، واسمه مسلمة بن قيس كما سيأتي في القصيدة ، وهو يلومه على عدم حفاوته به » .

ويشير الشارح إلى قول بشار من القصيدة نفسها (١ : ١٠٦) :

أوانَ يقول مسلمةُ بن قيس وليس لسيّد النوكى دواء

والحق أن أبا أيوب المكي ومسلمة بن قيس رجلان لا رجل واحد .

أما أبو أيوب فقد هجاه بشار لأنه لم يكرم ضيافته ، أو خيّل اليه ذلك ، فقال فيه من القصيدة نفسها (١ : ١٠٣) :

على عيني أبي أيوب مني غطاء سوف ينكشف الغطاء
جفاني اذ نزلت عليه ضيفا وللضيف الكرامة والحباء

وأبو أيوب هذا هو سليمان بن أيوب المكي ، والمعلومات عنه شحيحة ، فقد ذكره الطبري (٨ : ١٤٠) في أحداث سنة (١٦١ هـ) عندما عزله المهدي عن ديوان الخراج وولّى غيره ، كما أن الجهشياري ذكره في أيام المهدي في سنة (١٦٦ هـ) في كتابه « الوزراء والكتاب » ص (١٥٤) بمناسبة ابن له ، أقر بزندقته أمام المهدي وتاب عنها فقبل المهدي توبته . وقد ذكر الجهشياري في كتابه : اسمه واسم أبيه وكنيته ونسبته إلى مكة[1] . وعلى هذا فالرجل كان من كتاب الخراج في الدولة العباسية . ولعل بشارا نزل عنده ضيفا أثناء تردده على بغداد ، فناله من بشار ماناله .

وأما « مسلمة بن قيس » الذي ورد اسمه في هذه القصيدة فقد ذكره بشار في معرض نصحه له في ألا يندفع وراء فتاة اسمها « قصاف » اذ انتبه أهلها للعلاقة بينهما ، فقال بشار على لسانه (١ : ١٠٦) :

أوانَ يقول مسلمة بن قيس ... وليس لسيد النوكى دواء
رويدك عن قصاف عليك عين ... وللمتكلف الصلف العفاء

وذلك في القسم الغزلي من القصيدة . وهذا القسم ـ أعني قسم الغزل ـ جاء بعد هجائه أبا أيوب ، خلافا لعادة بشار والشعراء في ذلك ، اذ المعروف أن يأتي الهجاء بعد الغزل ، ولكن بشارا اتخذ من نهي المهدي اياه عن الغزل ذريعة لذكر تعلقه بالنساء وتعلقهن به ، على مألوف عادته في ذكر المهدي ونهيه له عن الغزل ، ليندفع في الغزل المحبب الى نفسه ، وتذكر أيامه الماضية ، فقال في هذه القصيدة (١ : ١٠٤) :

http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولولا القائم المهدي فينا ... حلبت لهن ماوسع الاناء

ثم يقول بعد ذلك (١ : ١٠٦) :

فهذا حين تبت من الجواري ... ومن راح به مسك وماء
وإن أك قد صحوت فرب يوم ... يهز الكاس رأسي والغناء

....

أوانَ يقول مسلمة بن قيس ... وليس لسيد النوكى دواء

الخ .....

فمسلمة بن قيس صديق لبشار ، ناصح له ، مشفق عليه ، وبينه وبين أبي أيوب فرق زمني فهو متقدم على أبي أيوب في الزمن ، وليس في

الأبيات مايدل على أنه هو ، ولست أدري كيف تبادر الى ذهن الشارح ذلك ، والأبيات واضحة في أنها رجلان لارجل واحد .

٢ ـ قال بشار متغزلا من قصيدة في مدح عقبة بن سلم (١ : ١٠٨) :

لاتلوما فإنّها من نساء مشرفات يطرفن طرف الظباء

لم يعلق الشارح المحقق على هذا البيت شيئاً ، وذكر المراجعان في الحاشية « لعل مشرفات محرفة عن مترفات » .

ونرى أن صواب الكلمة (مشرقات) بالقاف ، يريد بذلك بهجة اللون ووضاءة الوجه كما قال في هذا المعنى (٢ : ٣٢٧) :

تُدْني القناع على محاسن مُشْرِق كالبدر يحفل عصفرا وعقودا

وكما قال (٣ : ٢٠٥) :

مشرقات الوجوه يسحبن للهو عيوناً مكسورة بفتور

وفي البيت تصحيف سننبه عليه في كلامنا على الجزء الثالث .

وقال أيضا (٢ : ٢٣٣) :

ظعنا من بني عقيل بن كعب مشرقات الوجوه عينا وحورا

وقد وردت كلمة (مشرقات) مصحفة في هذا البيت الى (مشرفات) أيضا ، كما هو في البيت الذي نتكلم عليه ، وصوابه كما جاء في البيت الذي تقدم على هذا (٣ : ٢٠٥) .

وقد وصف بشار غلاما بهذا الوصف ، فقال (١ : ٣٧٠) :

يهذي بخشف مؤنق مشرق مقابل الجدين منسوب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قد يوصف الحب بأنه (داء عياء) ولكن الأرجح ماورد على لسان الشاعر في وصف حبه بأنه عناء ، في قوله (٣ : ١٦٢) :

كأنني من عناء الحب في سنة مطرح بين إقبال وإدبار

وفي قوله (١ : ١٠٨) :

وأعينا امرأ جفا وده الحي وأمسى من الهوى في عناء

٦ ـ قال بشار من قصيدة تغزل فيها بعبدة (١ : ١١٦) :

من بنات الملوك لا .... نماها الى العلاء العلاء

قال الشارح في هذا البيت (وفيه بياض بعد قوله لا) :

(«نماها الى العلاء العلاء » معناه نسبها الى الرفعة أبوها المسمى بالعلاء ، فاكتسبت من اسم ابيها علوا اذ هي ابنة العلاء ، وهذا يدل على أن عبدة ابنة رجل اسمه العلاء) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد ذكر هذا أيضا في (ص ١١٥) عندما عرّف بعبدة ـ لأن القصيدة التي منها هذا البيت هي أول قصيدة ـ بحسب ترتيب الديوان ـ في التغزل بعبدة ـ ومن عادة الشارح أن يعرّف في القصيدة الأولى بالرجل الذي يمدحه الشاعر أو الفتاة التي يتغزل بها فاستظهر هناك (ص ١١٥) أن يكون اسم أبي عبدة العلاء . واستظهاره هذا ناشئ من التسرع ، لأن الأبيات التي ورد فيها ذكره هذه الفتاة (١ : ١١٦) ابتداء من قوله :

وجوارٍ اذا تحلَّيْنَ لم تـ ـر أشاءً في حليها أم نساء

الى قوله :

ضــامهن الـــذي تمنين شغلي بفتــاة منهــا التقى والحيـــاء

في فتاة غير عبدة ، وذلك أن الجواري اللواتي ذكرهن ، قد تعرض لـه ـ يوم سلوان ـ بفتاة من بنات الملوك ، وهي ابنة العلاء ، جميلة ، تنطوي له على حب ، ورحن يدعونه اليها ، فأعرض عنها لأنه مشغول بعبدة عما سواها . فابنة العلاء هي غير عبدة ، وهذا واضح لمن تأمل الأبيات .

٧ ـ (١ : ١١٧) :

هي كالشمس في الجلاء وكالبد ر اذا قنعت عليهـــــا الرداء

ضبطت الجيم من (الجلاء) بالفتح ، والصواب أن تضبط بالكسر ، لأن معنى الجلاء بالفتح الخروج من بلد الى بلد ، وذلك ليس مرادا ، وأما الجلاء بكسر الجيم فهو صقل المرآة والسيف وجلوة العروس ، وهو المراد هنا .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٨ ـ (١ : ١١٧) :

فخمــة فعمــة برود الثنــايــا صعلــة الجيــد غــادة غيــداء

ذكر الشارح أن المراد بصعلة الجيد أنها دقيقة العنق . والصعل دقة في العنق والرأس معا ، ويوصف به النعام ، ولا يأتي في وصف الناس الا في مقام الذم . ولامعنى لوصف المرأة الجميلة بدقة العنق ، والصواب في ذلك « صلتة الجيد » وهو ماتوصف به المرأة الجميلة . قال الحادرة وذكر عنق امرأة :

وتصدفت حتى استبتك بواضح صلت كمنتصب الغزال الأتلع

وربما كانت كلمة الجيد مصحفة عن الخد ، اذ أن نـاسـخ هـذه

المخطوطة قد يرتكب مثل هذه التصحيفات . وقد جاء عن العرب وصفُ الخد أيضاً بذلك . قال المرار بن منقذ :

صلتة الخد طويل جيدها ناهد الثدي ولما ينكسر

كما أن بشاراً وصف غلاما فقال (١ : ١١٢) :

وحباني به أغر طويل البا ع صلت الخدين غض الفتاء

٩ ـ وقال بشار في هجاء أبي هشام الباهلي (١ : ١٢٠) :

تشاغل آكل التمر انتجاعا وتكدي حين يَسْمعك الرعاءُ

والصواب ضبط (يَسْمعك) (يُسْمِعك) من (أَسمع) لامن (سمع) . يريد أن أبا هشام يخرج الى الكدية مبكرا حالما يسمع صوت الرعاة ، وهم ، عادة ، يخرجون مبكرين الى المراعي .

ومن وصية أبي زيد السروجي لابنه من المقامة الساسانية يحضه فيها على التبكير في الكدية « فكن أجول من قطرب وأسرى من جندب » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١٠ ـ وقال بشار يهجو يحيى بن صالح (١ : ١٢٢) :

أحين طلتَ على من قال قافية وطال شعري بجي بعد أحياء

ذكر المراجعان أن الشارح ضبط التاء من قوله (طلت) بالفتح على أنها للمخاطب بينا كانت في المخطوطة بضم التاء للمتكلم ، ولم يعلقا على ذلك شيئا . والصواب ماجاء في المخطوطة اذ لم يكن ليحيى بن صالح من شعر سائر بين الناس ، وهذا المعنى مما يصف به الشاعر نفسه عندما يتوعد خصمه فيقول : أتعاديني وقد اشتهرت وشاع ذكري وشعري بين الناس ، ولذلك قال في الشطر الثاني (طال شعري) وهو المناسب

ضبطت التاء من (منيتني) بالفتح على أنها للمخاطب المذكر ، ونرى أن الصواب كسرها خطاباً لانثى ، على عادة العرب في ذكر نسائهم عند الاستعطاء .

١٣ ـ وقال بشار هاجيا (١ : ١٣٠) :

وان تعللت الى زلـــة أكلت في سبعـــة أمعـــاء

قال الشارح رحمه الله في تفسير هذا البيت « التعلل التشاغل أو التلهي بأمر ، وعداه هنا بالى لأنه ضمنه معنى الميل ، وقوله : « أكلت في سبعة امعاء » كناية عن الكفر ، لما ورد في الحديث الصحيح : الكافر يأكل في سبعة أمعاء ، أي اذا زللت عن غفلة كفرتني » . ا هـ .

ولم يعلق المراجعان على هذا الشرح والضبط الا بقولها « ربما كانت التاء في تعللت وأكلت للمخاطب » ولاندري أكانا يريدان ـ بقولهما هذا ـ ان التاء كانت مفتوحة في المخطوطة أم أن السياق يقتضي ذلك ، كما هو واضح من الأبيات لانها في الهجاء . والصواب أن تضبط التاء من « تعللت وأكلت » بالفتح في كليهما ، لأن الشارح رحمه الله ، تأول الكلام تأولا بعيدا عن الصواب ، لأن الزلة هنا ليس المراد بها الزلل والخطأ وانما المراد بها (الوليمة) فهو يقول لمهجوّه : اذا كنت في وليمة أكلت في سبعة امعاء (كما هو حال الكافر) . وقد جاءت كلمة (الزلة) في شعر بشار مرادا بها (الوليمة) في مقام الهجاء أيضا . كما جاء في هجاء حماد عجرد (٣ : ١٢٣) :

وان جئت يومـا الى زلـة أكلت كما يـأكل القرهـد

وفسرت (الزلة) هناك بالعرس .

١٤ ـ قال بشار هاجيا (١ : ١٣١) :

كأنما عاينت بي عائفا أزرق من أهل حروراء

قال الشارح في معنى البيت « أراد بالعائف الكاره العادي ، على سبيل المجاز ، ووصفه بالأزرق مبالغة في عداوته للناس ، فان الازرق من الاوصاف الغالبة اتباعا للعدو . قال الحريري « حتى رثى لي العدو الأزرق » أو أراد به الواحد من الأزارقة .... وأهل حروراء هم الخوارج الذين خرجوا عن علي رضي الله عنه بحروراء ، ناحية من نواحي الكوفة » الخ ماقال .

ونرى أن الصواب في قوله (عائفا) (عائنا) أي يصيب الناس بالعين (اللسان : عين) . وأما قوله (أزرق) فانه يريد به زرقة العين ، وهي في اعتقادهم أشد ضررا ، وقد ذكر بشار هذا المعنى في قوله (٢ : ١١٤) :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تراخت في النعيم فلم تنلها حواسد أعين الزرق القباح

وزرقة العين نادرة في العرب ، مكروهة عندهم ، واذا ماأرادوا نفي انسان من العرب وصفوه بها . قال ذو الرمة يهجو حيّاً من تميم يدعى (امرأ القيس) :

ان امرأ القيس هم الأنباط زرق اذا لاقيتهم سناط

وهذا معنى قول بشار : (من أهل حروراء) يريد عائنا أزرق العين غير عربي ، وهو هاهنا من أهل حروراء وهم نبط لاعرب ، ولايريد بهم الخوارج ، وان كانت نسبتهم « الحرورية » اليها ، لأنهم عرب اقحاح .

١٥ ـ قال بشار من أرجوزة يمدح بها « عقبة بن سلم » (١ : ١٤١) :

حـور العيـون نـزّه الاحبـاب

في وصف نسوة . ولم يشرح المحقق من البيت شيئاً ، وانما شرح المراجعان قوله « نزه » ونرى أن الأحباب تصحيف (الأجياب) مفرد (الجيب) يريد أنهن جميلات عفيفات ، كما يقال : فلانٌ ناصحُ الجيب ، من ذكر اللباس وارادة اللابس (نظرات ص ٥٦) .

١٦ ـ ومن الأرجوزة نفسها قوله في عقبة (١ : ١٤٢) :

وأنت شغّـاب على الشغّـاب

للخطـة الفقهاء آب آب

من ذي حروب ثـاقب الشهـاب

قال الشارح في قوله : من ذي حروب بيان للشغاب ... الخ ماقال . والصواب « مردى حروب » والأصل في المردى أنه حجر يرمى به ، ويوصف به الرجل الشجاع فيقال « مردى حروب » وبيت بشار تضمنه بيت الأعشى الباهلي في رثاء (المنتشر بن وهب الباهلي) من قصيدته الرائية المشهورة (خزانة البغدادي ١ : ٩٤) :

مردى حروب ونور يستضاء به كما اضاء سواد الظلمة القمر

وقال عوف بن عطية (المفضلية : ٩٥) :

ألم تر أننا مردى حروب نسيل كأننا دفاع بحر

وقال العجاج (ديوانه : ج ١ ص ١٢١) :

لما رأوا منا ايادا سامكا مردى حروب يفرج اللكائكا

١٧ ـ ومن الارجوزة نفسها قوله (١ : ١٤٤) :

اني من الحبس على اكتئاب

فـاحسم تبيـا أو تنيـل مـا بي
ولا يكن حظي انتظـار البـاب

في قوله (فـاحسم تبيـا أو تنيل مـابي) أعوص تصحيف وأغمضه في الديوان كله ، لأنه ليس في اللفظ ما يرشد الى معناه .

وقد قال فيه الشارح : « تبيا أصلها تتبيـا أي تتبين أو يقـال بيـاك الله أي قربك اليه وأنعمك » .

والصواب فيه : فاحسم بتيًا أو بتيك مابي .

و « تيـا وتيـك » اسما اشـارة ، ولابـد من شرح المعنى حتى يتضح المراد ، وتلخيص المعنى المراد هنـا ان بشـارا يستنجـز (عقبـة) وعـداً بالعطاء ، ولكنه أطال حبسه (مكثه) على بـابه دون انجاز ، فتضايق بشار من هذا المطل فطلب من ممدوحه أن يحسم الامر اما بنعم واما بلا « فتيا وتيك » اشـارتـان الى « نعم ولا » ، وقـد استعمل بشـار هـذا المعنى بهذين اللفظين في شعره فقال (٣ : ١١٩) :

صـدق البخيـل يسرني ويسـوؤني كـذب الجـواد
اني لانجـز مـاوعـد ت على الطريف وفي التـلاد
واذا سئلت أتيتهـا ضرب الأمير طـلا الاعـادي
امـا بتيـا أو بتيـ ـ ـ ـ ـ ـك وراحة ترك الكداد

وقـد فسر الشـارح قولـه هنـا (تيـاوتيـك) ، بعـد ان بين انهما اسما اشارة ، بالصغيرة والكبيرة (من العطاء) وليس هـذا وجـه المعنى ، وانما هو في بيته وفي الرجز معناه (نعم أو لا) أي : اما أن أمنع منعـا ظـاهرا فأقول لا واما ان اقول نعم فأنجز فورا مـاوعدت ، ولاأترك المجتـدي بين لا ونعم يغدو ويروح فلا يـدري أيعطى أم يمنع . وقـد بين بشـار هـذا

المعنى (أي المنع أو العطاء) وليس القليل والكثير ، كما ذهب الى ذلك الشارح ، في قوله من قصيدته الدالية المتقدمة :

يـــاصـــاحِ لاتتلـو العـــدا ت فـــانهـــا دين الهـوادي
ان السبيـــل على اثنتيـ ـ ـن اخترهما يـابن الجيـاد
امــا تــســامـح أو تجــا مـح ليس ثـالثــة لعـاد
يكفيـك (لا) طـول العيـا د و (لا) اجتهـادا من منـاد

فهو يقـول : ليس لمن يقصد الا احدى اثنتين : اما (نعم) وهي معنى قوله « تسامح » واما (لا) وهي معنى قوله (تجامح) وليس من كلمة ثالثة للعاذ ، فان أردت المنع فقل (لا) رافعا بها صوتك حتى تكفى طول معاودة الطالب لك (في أصل الديوان العباد ، بباء موحدة ، واصلحناها الى العياد وهي المعاودة وهو المعنى الصحيح) وقد وضعنا كلمة (لا) بين قوسين حتى يظهر معناها للقارئ[4] .

ولذلك قال في البيت الثاني من هذه القصيدة (٣ : ١١٨) :

صرح بـــاحـــدى كلمتيـ ـ ـ ـن وخذ أمانك من جهادي[5]

وقد أفرد البحتري بابا لهذا المعنى في حماسته ، وهو الباب الخامس والثانون ومنه قول هرم بن غنام السلولي :

اذا قلت في شيء نعم فـأتمـه فـان نعم دين على الحر واجبُ
والا فقل لا واسترح وأرح بها لكيلا يقول الناس انك كاذب

١٨ ـ وقال بشار (١ : ١٤٦) :

شتـــان مجـدود ومن جـــده كالكعب ان ترحـل بـه يرتب

كتب الشارح في حاشية البيت : قوله كالكعب لعله تحريف صوابه

كالكلب ، ولم يشرح هذا المعنى الذي ذهب اليه ، وانتبه المراجعان الى أن الكلمة صحيحة لان رتب تقال للكعب لا الكلب . يقال : رتب الكعب رتوبا اذا انتصب ، والكعب يلعب به في المقامرة[6] . قال الأجدع الهمداني (السمط ج ١ ص ١٠٩) :

وكأنّ صرعاها كعاب مقامر ضربت على شزن فهن شواع

وقد أدرك المراجعان معنى البيت على مافيه ، ولكنهما وهما في معنى الشطر الثاني اذ قالا : « وحظوظ الدنيا مثل الكعاب فمن الناس محظوظ فائز ومنهم من يقف الكعب دون فوزه ولو أكثر اجالته ورميه » .

ونرى أن قول بشار (مجدود) من الجد وهو القطع وهو بمعنى (المحدود) بالحاء المهملة ، إن لم تكن محرفة عنها . أي من الناس من هو محروم ومنهم محظوظ لو رمى بكعب لوقف وثبت . ووقوف الكعب وثباته واقفا علامة الفوز لا الخسارة اذ قلما يقف الكعب . فان توالى ذلك أي وقوف الكعب دل على حظ صاحبه . وبناء على هذا فان قوله (ترحل به) لامعنى له صوابه (تزجل به) يقال (زجل به) اذا دفعه ، والكعب يزجل به أي يدفع .

١٩ ـ وقال بشار (١ : ١٤٧) :

مكية تبدو اذا مابدت بالميث من نعمان أو مغرب

ضبط المراجعان كلمة (نعمان) بفتح النون كما وردت في المخطوطة ، وكان الشارح قد ضبطها بالضم ، وهو واد بين مكة والطائف . وضبطُ (نعمان) بفتح النون هو الصواب[7] . وأما (مغرب) بضبط الكلمة على وزن الجهة فلا يصح هنا ، اذ ليست الجهة مرادة ، والصواب ضبطها بضم الميم ، لأن (مغرب) واد أيضا قرب مكة (معجم مااستعجم : « مغرب »

وانظر احالته الى مادة ياجج) .

٢٠ ـ وقال بشار يمدح يزيد بن عمر بن هبيرة (١ : ١٤٩) :

زين سرير الملك في المغتدى وغرة الموكب في الموكب
كأن مبعوثاً على بابه يدني ويقصي ناقدا يجتبي

لم يعلق الشارح والمراجعان على البيتين بشيء .

والصواب في قوله (المغتدى) (المنتدى) وهو مجلس القوم . يريد أن ممدوحه يزين سرير الملك في حَضَره ، كما أنه يزين الموكب في سفره (للحرب أو غير ذلك) . وقد كرر بشار المطابقة بين الإقامة والمسير في أبيات كثيرة فمنها قوله (١ : ٢٧٨) :

ضرّاب أعناق وفكّاكها في مجلس الملك وظل العقاب

ومنها قوله (٢ : ٨٢) :

إمامٌ يحيّا في الحجاب وتارة رئيسٌ خميس تحت ظل المطارِدِ

وقوله (١ : ٢٣٣) :

أغر أبلج تكفينا مشاهده في القاعدين وفي الهيجا اذا ركبوا

وأما البيت الثاني فان (مبعوثا) ان لم يكن مصحفا فهو اسم الحاجب ، وهو اسم كأن في البيت وخبره (ناقد) في الشطر الثاني من البيت ، وحقه الرفع كما ترى . يريد بشار أن مبعوثا الحاجب في ادخاله بعض الناس الى الممدوح واقصائه بعضهم كالصيرفي الذي يقبل الدراهم الجياد ويرد الزائف منها ، فضرب الدراهم مثلا للرجال ، والناقد هو الصيرفي . قال جرير في الفرزدق :

فلا تقبلوا ضرب الفرزدق انه هو الزيف ينفي ضربه كل ناقد

٢١ ـ وقال بشار في مدح يزيد بن عمر بن هبيرة (١ : ١٥٠) :

دأبتُ حتى جئتــــه زائرا ثم تعنيت ولم أدأب

لم يتكلم الشارح على البيت بشيء ، وفسر المراجعان قوله (تعنيت) بأنه هنا بمعنى (قصدت) . وهذا لا يستقيم مع المعنى ، اذ المعنى أنه استغنى عن الدأب والطلب عند وصوله الى الممدوح ، فالصواب في قوله (تعنيت) (تغنيت) بالغين المعجمة ، أي مكثت وأقمت وهوأحد معاني هذه الكلمة أو استغنيت وهو من معانيها أيضا .

٢٢ ـ وقال بشار يمدح ابن هبيرة من القصيدة المتقدمة (١ : ١٥٢) :

خرجن من ســـوداء في غرّة يردين أمثال القنا الشزب

لم يشر الشارح والمراجعان الى كلمتي (سوداء) و (غرّة) و (سوداء) و (غرّة) مصحفتان عن (سوراء) و (غزة) وهما موضعان قرب (عين التمر) جرت فيها وقائع لابن هبيرة مع الخوارج . قال مسلم حاجب يزيد بن عمر بن هبيرة يمدحه ويذكر قتله الخوارج هناك (الطبري ٧ / ٣٢٨ في أحداث سنة ١٢٧) :

أرت للمثنى يوم غـزة حتفـه وأذرت عزيرا بين تلك الجنادل

وعمرا أزارتـه المنية بعـدمـا أطافت بمنصور كفات الحبائل

(عزير : هكذا ورد في هذا الشعر براء مهملة وفي المتن بالزاي) .

٢٣ ـ وقال بشار من القصيدة نفسها في مدح ابن هبيرة (١ : ١٥٣) :

ولـو ترى الازدي في جمعـه كان كضليـــل بني تغلب

أيـام يهـززن اليـه الردى بكل مـاضي النصل والثعلب

حتى اذا قرّبـه حينُـه منهـا ولـولا الحين لم يقرب

خـاض ابن جهـور ولو رامها مطـاعن الأسـد على المشرب

الكلام على البيت الأخير منها ، ولايتضح الكلام الا بايراد الأبيات المتقدمة عليه .

ذكر الشارح أن المراد بالأزدي في هذه الأبيات هو المختار بن عوف الأزدي الخارجي وأراد بالضليل امرأ القيس الشاعر المعروف لأن بني تغلب اخواله ـ وهذا لايصح لأن امرأ القيس لم يعرف بهذا اللقب ـ وانما يشير الشاعر الى عدد من الخوارج ، ولعله أراد عبيدة بن سوار التغلبي الذي قاتله ابن هبيرة عام (١٢٧) هـ وهو أحد رؤساء الخوارج .

وقد أكثر الشارح في هذه الأبيات من حذف الجواب في هذه الأبيات وخلاصة ماقال : جواب اذا في البيت الثالث محذوف تقديره : قتل بأدنى وقعة ، وجواب لو في البيت الرابع محذوف والتقدير : لخاض اليه وظفر به .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثم انه جعل فاعل (خاض) في البيت الرابع ضميرا يعود على جيش الممدوح أو على الممدوح نفسه ، وابن جمهور مفعول والتقدير : خاض قتال ابن جمهور . وأما مطاعن الأسد فقد ذكر عددا من الرجال الذين يمكن ان يطلق عليهم لقب (مطاعن الاسد) وكل هذا الذي أطال به هو من ثمار التصحيف اذ الصواب في البيت الرابع :

جاض ابنُ جهور ولو رامها لطاعن الأسد على المشرب

وجاض معناها عدل ونكل عن القتال(8) . وكانت هذه عادة منصور الذي كان يفر من وقعة الى وقعة ، يريد ان الحرب قضت على الأزدي كما قضت من قبله على ضليل بني تغلب وكان ذلك مقدرا على الأزدي ، ولو لم يكن قدرا لما قاتل الممدوح ، واما ابن جمهور ـ وهو منصور ـ فقد

انهزم ، ولو رام القتال لقاتل الأسود . وهذا واضح من أبيات مسلم حاجب يزيد المتقدمة في (٢٢) في اقتراب منصور من الموت وفراره منه ، وكان منصور بن جمهور فرارا ، انتهى به فراره الى السند ومات هناك .

٢٤ ـ وقال من القصيدة نفسها (١ : ١٥٤) :

هناك عاد الدين مستقبلا وانتصب الدين على المنصب

كسر الشارح الباء من مستقبلا ، وفسر ذلك بأنه من قولهم :

أمر مقبل وأمر في اقبال ومستقبل (بكسر الباء) اذا حسنت حاله . ونرى أن الصواب فتح الباء بمعنى (مستأنفا) أي جديدا ، أي عاد الدين جديدا بعد القضاء على الخوارج .

وهذا معنى معروف ذكره الشعراء فمن ذلك قول يحيى بن محمد الاسلمي (الطبري ٩ : ٦٦٣ في احداث سنة ٢٧٠ هـ) :

تفرد اذ لم ينصر الله ناصر بتجديد دين كان أصبح باليا

وقول يحيى بن خالد (الطبري ٩ : ٦٦٤ في أحداث ٢٧٠ هـ) :

ملك أعاد الدين بعد دروسه واستنقذ الاسرى من الاغلال

٢٥ ـ ومن القصيدة نفسها (١ : ١٥٥) :

وعاقد التاج على رأسه يبرق والبيضة كالكوكب

· في أبيات ... الى قوله : أنهاك عن عاص عدا طوره ...

ضبط الشارح (عاقد) بالرفع وجعل الواو لعطف الجملة ، ظنا منه أن الأبيات في مدح ابن هبيرة ، وهي ليست في مدحه ، وانما هي في

قال الشارح في رغثته « أرضعته ، والنسب هنا مصدر نسب بفتح السين بالمرأة أي شبب بها في شعره : . والمعنى على هذا حتى اذا درت الدرور له (وهي الناقة الغزيرة اللبن) وأرضعته الرواة في تشبيبه بالنساء ، وهو كلام لايتحصل منه معنى ، والصواب : ورعّثته الرواة في نسبه . والرواة هنا المراد بهم أهل الأدب وترعيثه أنهم أشادوا به في لقبه (المرعث) وهو لقب بشار ونسبه يريد به نسبته ولقبه ـ كما قال عن نفسه (١ : ١٢٣) :

أنا المرعّث لاأخفى على أحد ذرّت بي الشمس للداني وللنائي

للبحث صلة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التعليقات

الدكتور شاكر الفحام

حفلت مخطوطة ديوان بشار التي حققها الأستاذ العالم محمد الطاهر بن عاشور بألوانٍ من التصحيف والتحريف. وقد بذل الشيخ الطاهر ـ رحمه الله وأثابه ـ جهداً مضنياً ليخرج الديوان أقرب مايكون الى الصحة والسلامة. ولكن أنّى يطيق ذلك وقد عبث الناسخ أيما عبث بالديوان فأفسده وأحاله، حتى كاد يصير غلطاً صرفا. وكنتُ في ماضيات أيامي قرأت الديوان قراءة بصيرة متأنية، وأعلت في حواشي نسختي على مابدا لي من تصحيف وتحريف وخطأ، واخترتُ منه جملة صالحة نشرتها في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق لتكون شاهد ماوراءها، وتَحْفِزَ علماء اللغة وفرسانها الأبيناء أن تتبارى أقلامهم في هذا الميدان، وتشارك في إحياء هذا الجانب اللغوي الذي يشحذ الملكات اللغوية، ويغني مباحث العربية بما يستدعيه من نقاش وحوار ومفاوضة، ويفتح للناشئة أبواباً من الدراسة تتيح لهم التمكُّن من أصول اللغة وتعرّف أسرارها.

وكلمة الدكتور محمد حموية خطوة جادة في الطريق، ورأيتُ من تمام الكلام أن أعلق على بعض مالاح لي في كلمته، وأنا لاأدعي أن ماجاء في الكلمة والتعليق عليها هو الصواب، ولكنه الاجتهاد الذي ترجح لنا، والمجتهد يصيب ويخطئ، والمأمول أن نتلقى مايقوّم العوج، ويسدّد الخطا، وأن يظفر هذا الميدان الخصب بعناية العلماء واللغويين، ليجدّدوا صرح العربية، ويحفظوا لها بيانها ورونقها وديباجتها المشرقة. والله من وراء القصد.

(1) وذكر الطبري وابن الاثير (في أحداث سنة ١٦٦ هـ) اسم ابن أبي أيوب المتهم بالزندقة، وهو محمد (وانظر ديوان بشار ١ : ١٧)، كذلك فان الطبري وهو يعرض لذكر الخبر عن بعض سير المنصور (سنة ١٥٨ هـ) أورد خبراً جاء في سند روايته «قال: حدثني عبد الله بن محمد بن أبي أيوب المكي عن أبيه قال: حدثني عمارة بن حمزة ....».

(2) التبس الأمر على الأستاذ حموية، فقد علق المراجعان بقولهما: [في المخطوطة: طلت بفتح التاء، وضبطها الشارح بالضم]. وهكذا يلتقي الأستاذ ابن عاشور والأستاذ حموية على الصواب، وتصحيح ماوقع فيه الناسخ الماسخ. ولكن المراجعين آثرا ضبط المخطوطة، فجاءت (طلت) في الديوان المطبوع بفتح التاء والصواب ضمها. وقد تسلل هذا الخطأ الى طبعة ديوان بشار الثانية (١ : ١٤٨) التي صدرت في الجزائر وتونس (١٩٧٦ م).

(3) للنحاة واللغويين أقوال في هذا الجمع المكسَّر لفَعّال (بضم الفاء وتشديد العين ، من أبنية المبالغة) . انظر كتاب سيبويه ٢ : ٢١٠ ، وشرح شافية ابن الحاجب ٢ : ١٧٨ ، والصحاح ولسان العرب والقاموس المحيط وهامشه وتاج العروس وهامشه (قرأ ، عور) ، والمحكم لابن سيده ٢ : ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٦ : ٢٩٠ (قرأ ، عور) .

(4) لم يعلق الشارح على البيت الأخير في طبعة الديوان الأولى ، أما في الطبعة الثانية فقد علّق عليه بقوله (٣ : ١١٤) : « يكفيك لا : أي يكون كافياً لك حرف (لا) . وهذا بيان لقوله قبله : صرح باحدى كلمتين .... الخ . وقوله : ولا اجتهاداً : اي حرف (لا) أخت (لا) الأولى ، واجتهاداً ، مفعول فعل محذوف دلّ عليه العطف على يكفيك . وكتب في الديوان (ولا احتهاد) بحاء مهملة ، وضبط في الديوان بضمتين . ومن مناد : متعلق باجتهاد » .

(5) علّق الشارح على البيت بقوله : « هما نعم أو لا ، أي قل إحداهما ، ولاتخش قتالي ، أي هجائي » .

(6) أسقطت طبعة الديوان الثانية (١ : ١٧٩) تعليق الشيخ ابن عاشور الذي جاء في الطبعة الأولى ، واكتفت بشرح موجز يتضمن مجمل ما أورده المعلقان دون أن تشير إليها / انظر كتابنا « نظرات في ديوان بشار بن برد » ص ١٧ هـ ٤] .

(7) اقتصرت طبعة الديوان الثانية (١ : ١٧١) على ضبط « نعمان » بفتح النون .

(8) كنتُ أعلمتُ في حاشية الديوان أن « خاض » مصحفة عن « حاص » بحاء وصاد مهملتين . و « حاص » و « جاض » بمعنى واحد وهو عدل وحاد وهرب . (انظر غريب الحديث للخطابي ١ : ٣٣١ ـ ٣٣٢ ، وشرح مايقع فيه التصحيف والتحريف لأبي أحمد العسكري ١ : ٤٨١ ـ ٤٨٢ ، واللسان / جاض ، حاص) .

شرح أبيات سيبويه

تحقيق الدكتور محمد علي سلطاني

محمد أحمد الدالي

الجزء الثاني

٣٠ ـ ٢ / ١٠ ح ١ علق المحقق على قول ابن السيرافي : « قال الراجز وعندي أنه الحذلمي » قال : « لم تذكره المصادر لدي » .

قلت : « الحَذْلَميُّ » هذه النسبة إلى « حَذْلَم » وهو لقب منقذ بن فقعس بن طريف بن عمرو بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة . انظر تعليق الشيخ الجليل العلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني رحمه الله تعالى على الأنساب ٤ / ٩٠ (ط . بيروت ١٩٨٠) ، وتعليق العلامة الشيخ محمود محمد شاكر في طبقات فحول الشعراء ٢ / ٦٤٢ ـ ٦٤٣ ، ومعجم قبائل العرب ١ / ٢٥٥ .

والظاهر أن الشاعر « الحذلمي » هذا هو أبومحمد عبد الله بن ربعي .... بن حذلم ـ هو منقذ ـ بن فقعس .... بن أسد ، وأكثر مايرد اسمه منسوباً إلى فقعس . يشهد لهذا أن ثمة أبياتاً بأعيانها وردت في بعض المصادر سمي قائلها في بعضها أبا محمد الفقعسي وفي مصادر أخرى الحذلمي . انظر تهذيب الألفاظ ١١٦ ، ٤٦٣ ، ٥٨٤ ، وأدب الكاتب ٤٥ ح ٧ ، وشرح أدب الكاتب للجواليقي ١٥٤ ، وسمط اللآلي ١٤٨

٣١ ـ ٢ / ٦٥ س ١٠ « يمدح بذلك بغيضاً وهم من بني سعد » ا هـ .

الصواب : « وهو من بني سعد » .

● نشر القسم الأول من المقال في مجلة المجمع (مج ٦٠ ص ٣٤٠) .

٣٢ ـ ٢ / ٦٨ س ٥ « والباء ههنا بمنزلة (ما) يريد أن .. » ا هـ .

وكيف تكون الباء بمنزلة (ما) ؟ والصواب : « والباء ههنا بمنزلتها في (ما) » . وانظر الكتاب ١ / ٣٦٢

٣٣ ـ ٢ / ١٣٦ س ٨ ـ ٩ أنشد ابن السيرافي قول أبي أسماء بن الضريبة أو عطية بن عفيف :

يا كرز إنك قد فتكت بفارس بطل إذا هاب الكماة مجرّبِ

ولقد طعنت أبا عيينة طعنة جرمت فزارة بعدها أن يغضبوا

ثم قال : « وفي ظاهر الأمر أنه قد أقوى . ولو روي (بطلٌ) على الرفع لجاز ... » ا هـ .

قلت : هكذا روى ابن السيرافي البيت الأول ، وروايته في اللسان والتاج (جرم) ، والاقتضاب ٣١٣ :

بطلٍ إذا هاب الكماة وجبّبوا

وجببوا : إذا فروا .

٣٤ ـ ٢ / ١٧٠ ح ٢ قال المحقق معلقاً على الأبيات الثلاثة التي ثالثها :

ياصاح بلغ ذوي الحاجات كلهم أن ليس وصل إذا انحلت عرا الذنب

قال : رويت الأبيات الثلاثة منسوبة إلى أبي الجراح العقيلي في معاني القرآن ٢ / ٧٥ ... » ا هـ .

ولم يستشهد الفراء في هذا الموضع من معانيه إلا بالبيت الثالث وحده ، ولم ينسبه إلى أبي الجراح وإنما قال : « أنشدني أبو الجراح العقيلي : ياصاح ... » ا هـ وليس يعني هذا أن البيت له ، وهذا ظاهر .

وقد حكى المحقق عن البغدادي الذي نقل عن سمط اللآلي ٦٥١ نسبتها لأبي الغريب .

٣٥ ـ ٢ / ١٧٢ ح ١ أحال المحقق في تخريجه لأبيات دجاجة بن العتر التائية على المخصص ١٥ / ٢٣١ ؟ ولم أجدها فيه .

ونَسب البيتان :

مـن كـان أسـرع ....

إلا كنـاشرة ....

لدجاجة بن العتر في أصول مجاز القرآن ١ / ٦١ ، ٢٨٣

٣٦ ـ ٢ / ١٧٧ ح ٢ علق المحقق على الأبيات الثلاثة التي أنشدها ابن السيرافي والتي ثالثها :

في ليلـة لانرى بهـا أحـدأ يحكي علينـا إلا كـواكبهـا

قال : « الأبيات لعدي بن زيد في ديوانه ق ١٤٦ / ٢ ـ ٣ ـ ٤ .... وورويت الأبيات في خبر حبابة في الأغاني ١٥ / ١٢٢ .... وفي الخزانة ٢ / ٢٠ زعم البغدادي أن سيبويه لم ينسب البيت إلى أحد ، وهو منسوب في الكتاب إلى عدي بن زيد ، وادعى أن الأصفهاني نسب هذه الأبيات إلى أحيحة بن الجلاح الأنصاري ، وهي في الأغاني بلا نسبة ... » ا هـ .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفيما قال الأستاذ المحقق أشياء :

الأول : أنه أحال على ديوان عدي فأوهم أن الأبيات مما ثبتت نسبته إلى عدي ، وليس كذلك ، فإن محقق الديوان قد جعلها في قسم الأبيات المنسوبة إليه وليست له .

والثاني : أنه اتهم البغدادي ، وهو العالم الذي قضى عمره في التأليف في شواهد العربية فألّف خزانة الأدب وشرح أبيات مغني اللبيب وحاشية على شرح بانت سعاد ، وهو كغيره يعتريه الوهم والخطأ ، بيد أنّ توهيمه ونسبة الخطأ إليه لايكونان ولا سيما في باب الشواهد إلا بعد الفحص والنظر والتمحيص والتتبع لأنه عالم خبير بمصادر العربية قد صنع لشواهدها فهارس تيسر له الوصول إليها ، وكان لديه من الأصول المعتمدة ما كان يفخر ويعتز به ويذكره في كتبه .

فكان ينبغي للمحقق قبل أن يقول : « زعم البغدادي ... وادعى .. » أن يتثبت مما قال ، على ما في قوله من ادعاء واتهام . فإذا علمت أن المحقق هو الواهم فيا زعم كان أعجب وأغرب .

أما أنّ سيبويه لم ينسب البيت ـ وهو ما قاله البغدادي ـ فهو صحيح لم يزعمه . وقد أسلفت القول في نسبة شواهد الكتاب (الفقرة الثالثة) . وعبارة نسبة الشاهد في مطبوعة بولاق ١ / ٣٦١ جعلت بين حاصرتين إلماعاً إلى أنها وردت في بعض النسخ ـ ولعلها عن حواشيها ـ والعبارة هي : « قال الشاعر (وهو عدي بن زيد) » وهي تدفع أن تكون من كلام سيبويه . ولم يقع البيت منسوباً في نسخه البغدادي من الكتاب أو نسخه ، فقد قال البغدادي : « وهذا البيت نسبه الشارح [يعني الرضي] المحقق إلى عدي بن زيد موافقة لشراح شواهد سيبويه ، ولم ينسبه سيبويه في كتابه إلى أحد وإنما أورده غفلاً ... » وهذا قول عالم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والثالث : أن المحقق نسب البغدادي إلى الادعاء بأن الأصفهاني نسب الأبيات إلى أحيحة وقطع المحقق بأنها في الأغاني بلا نسبة ، ولو رجع المحقق إلى ترجمة أحيحة في الأغاني ١٥ / ٣٦ لوجد الأبيات ثمة ، فما قاله البغدادي حق وصواب .

٣٧ ـ ٢ / ١٧٩ س ٨ « ... والضمير إذا وصله لم يحسن فصلُه ... » اهـ . كذا وقع ، وفي الكلام سقط ، وتمامه : والضمير إذا [أمكن] وصلُه لم يحسن فصلُه ..

٣٨ ـ ٢ / ١٨٠ ح ١ ترجم المحقق في هذه الحاشية لأبي قيس بن رفاعة الأنصاري الذي أنشد له ابن السيرافي أربعة أبيات لامية ، فقال : « اسمه صيفي بن الأسلت ... » .

وهذا خلط ، فهذه ترجمة أبي قيس بن الأسلت لا أبي قيس بن رفاعة .

وأبو قيس بن رفاعة اسمه دِثار ، ونقل السيوطي عن ثعلب أن اسمه نفير ، قال أبو عبيد البكري : « وهو من شعراء يهود من طبقة الربيع بن أبي الحقيق ونظرائه . وهو شاعر مقلّ أحسبه جاهلياً » . انظر طبقات فحول الشعراء ٢٨٨ ، وسمط اللآلي ٥٦ ـ ٥٧ ، والخزانة ٢ / ٤٩ ، وشرح شواهد مغني اللبيب للسيوطي ٢٤٤ ، وشرح أبيات مغني اللبيب للبغدادي ٥ / ٢٤٣ .

٣٩ ـ ٢ / ٢٢٨ س ١ « وقوله (فما أعني) » ا هـ

كذا وقع ، والصواب « فلا أعني » يريد بيتَ الكميت الذي رواه ص ٢٢٧ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٤٠ ـ ٢ / ٢٤٢ س ١٠ « يريد أنه فعلت هذا ... » ا هـ

والصواب : يريد أنها ...

٤١ ـ ٢ / ٢٤٦ ح ١ قال المحقق معلقاً على قول زهير :

تعلمن هـــــا لعمر الله ذا قسماً فاقصد بذرك وانظر أين تنسلكُ

قال : « البيت ... وجاء في عجزه (فاقدر بذرعك) وكذا في شرح ديوان زهير ... » ا هـ

قلت : رواية الأصمعي « فاقدر » ، ورواية ثعلب ـ وهو ما جاء في شرح ديوان زهير ـ « فاقصد » . انظر شعر زهير صنعة الأعلم ص ٨٨ ، وشرح ديوان زهير ١٨٢ (ط . دار الكتب) و١٣٧ (ط . الدكتور فخر الدين قباوة) .

٤٢ ـ ٢ / ٢٦٤ ح ١ علق المحقق على قول ابن السيرافي : « قال الأخزم بن

قارب الطائي » قال : « لم تذكره المصادر لدي سوى ورود اسمه في البيان والتبيين ١ / ٣٣١ ... » .

والذي في البيان والتبيين « أبو أخزم الطائي وهو جد أبي حاتم طيئ أو جد جده ، وكان له ابن يقال له أخزم .. » ا هـ . وما للأخزم بن قارب الطائي ولأبي الأخزم ؟ !

و « الأخزم » بمعجمتين هو الأخزم السُّنْبِسِيُّ الطائيُّ . والكلمة التي منها البيتان اللذان أنشدهما ابن السيرافي أنشد منها أبو تمام في الوحشيات ٤٠ خمسة أبيات وأنشدها الغندجاني في فرحة الأديب ١٤٢ ـ ١٤٣ عشرة أبيات . وأنشد له أبو تمام الحماسية ١٩٥ انظر المرزوقي ٦٠٠ والتبريزي ٢ / ٧٧ (وفيها : الأخرم ـ وكذا في أصول فرحة الأديب ـ وكان في أصول المرزوقي : الأحزم) . ويكثر في طيئ هذا الاسم ، انظر الاشتقاق ٢٩٥ ، ٣٩١ ، والإكمال ١ / ٣٥ ـ ٣٦ . وقد نص البغدادي في شرح أبيات مغني اللبيب على أنه « الأخزم » بمعجمتين .

و « السُّنْبِسِيُّ » هذه النسبة إلى سِنْبِس بن معاوية بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيئ ، انظر جمهرة أنساب العرب ٤٠٢ ، ٤٧٦ . ووقع في اللباب ٢ / ١٤٤ ، وشرح أبيات مغني اللبيب ٢ / ٢٥٩ ، والمؤتلف والمختلف ٤٠ (في ترجمة الأعور السنبسي) ، ومعجم قبائل العرب ٢ / ٥٥٧ (انظر حاشيته) : « سنبس بن معاوية بن جرول بن ثعل » ؟ كذا ، ومعاوية بن ثعل هو أخو جرول بن ثعل ، وسنبس هو ابن معاوية .

٤٣ ـ ٢ / ٢٩٨ س ٦ « ويروى : على أرباعها » . كذا أثبته المحقق وعلق عليه قال : « أي على طريقها ، وناقة مرياع : تذهب في المرعى وترجع بنفسها ... » .

و « أرياعها » تصحيف صوابه « أرباعها » فأكد المحقق التصحيف بتفسيره إياه بما لايصح ، وأنى له أن يقول « على أرياعها : على طريقها » ؟ وما للمرياع وللأرياع ، وما للأرياع وللطريق ؟ !

والذي أراده ابن السيرافي أن البيت :

أما ترى الموت لدى أرباعها

يروى بـ « لدى » و « على » وقد شرح البيت .

٤٤ ـ ٢ / ٣٠١ ح ١ أحال المحقق في تخريج بيت الكميت على المخصص ١٧ / ٣٧ وزعم أنه فيه بلا نسبة ، وهو فيه منسوب إليه .

٤٥ ـ ٢ / ٣٠٧ علق المحقق على قول ابن السيرافي : « قال طفيل بن يزيد المعقلي ... » قال : « البيتان .... لطفيل بن يزيد المعقلي في ... ولطفيل بن يزيد الحارثي في ... والراجح أن الشاعر واحد فاسم جده معقل بن الحارث . انظر معجم قبائل العرب ٣ / ١١٢٣ » اهـ

لم يضبط المحقق نسبة الشاعر « المعقلي » ، وتابع صاحب معجم قبائل العرب على أن المعقل هو ابن الحارث بن كعب ؛ وبين المعقل والحارث رجالٌ .

أما نسبة الشاعر فهي « المُعَقِّليُّ » بضم الميم وفتح العين المهملة وفتح القاف المشددة وكسر اللام ، وهذه النسبة إلى « المُعَقَّل » وهو ربيعة بن كعب الأرتّ بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن كعب بن عمرو بن عُلَة بن جلد بن مذحج . انظر الإكمال ٧ / ٢٦٥ ، والأغاني ١٦ / ٣٢٨ في ترجمة عبد يغوث بن وقاص الحارثي (وفيه تحريف) ، وجمهرة أنساب العرب ٤١٦ ـ ٤١٧ . والظاهر أنه « المَعْقِلي » بفتح الميم وسكون العين وكسر القاف عند صاحب اللباب ٣ / ٢٣٥

٤٦ ـ ٢ / ٣١٨ قال ابن السيرافي عقب إنشاده بيت الراعي :

أشاقتك آيات أبان قديمها ... كما بَيَّنَتْ كاف تلوح وميمها

قال : « ويروى (كما تَبَيَّنَتْ كاف) بفتح الباء والياء » ا هـ

كذا أثبته المحقق ، وهو تحريف مخلّ بالوزن ، والصواب « بَيَّنَتْ » ببناء الفعل للفاعل ، والرواية الأخرى ببنائه لما لم يسمّ فاعله .

وبيت الراعي في ديوانه (ط . راينهرت) ق ٦٦ / ١ ص ٢٥٨ .

٤٧ ـ ٢ / ٣١٨ ـ ٣١٩ بيتا الراعي اللذان أنشدهما ابن السيرافي هما في ديوانه (ط . راينهرت) ق ٤٥ / ٢٦ ، ٢٧ ص ١٧٧

٤٨ ـ ٢ / ٣١٩ ـ ٣٢٠ قال ابن السيرافي عقب إنشاده بيت الحطيئة :

يادار هند عفت إلا أثافيها ... بين الطوي فصارات فواديها

قال : « الشاهد في إسكان الياء من أثافيها وهي منصوبة » ا هـ فعلق المحقق عليه قال : « سكنت الياء ضرورة في أثافيها ويجوز تشديدها » ا هـ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فما قاله خطأ من وجهين :

أولهما : أنه قال « سكنت الياء » ثم قال « ويجوز تشديدها » والإسكان لا يقابل التشديد ، فكان عليه أن يقول « خفّفت » .

وثانيهما : أن الكلام ليس على التخفيف والتشديد ، ولا معنى لما قال ههنا . والكلام على الإسكان والنصب ، فكان ينبغي أن يقال : سكنت الياء ويجوز نصبها ، ولو نصب ـ على أن يكون البيت غير مصرع ـ لجاز . وانظر شرح شواهد الشافية ٤١٠ .

٤٩ ـ ٢ / ٣٢١ قال ابن السيرافي عقب إنشاده البيتين :

بالخير خيرات وإن شراً فا

ولا أريد الشرّ إلا أن تا

قال : « ... وهذا الشعر يروى لنعيم بن أوس من ربيعة بن مالك ... »

وعلق المحقق عليه قال : « ورد اسمه في اللسان (معى) ٢٠ / ١٥٧ (لقمان بن أوس بن ربيعة بن مالك) ولم تذكره المصادر لدي » ا هـ

قلت : أنشد أبو زيد في النوادر ١٢٧ الشعر وعزاه للُقَيْم بن أوس من بني أبي ربيعة بن مالك ، وانظر شرح شواهد شرح الشافية ٢٦٢ ـ ٢٧٤ . ولعل « نعيم » ـ كما وقع في شرح ابن السيرافي ـ مما حرّفه النساخ في نصه ، أو يكون ذلك منه .

٥٠ ـ ٢ / ٢٧٤ س ٢ :

ما إن تُبيتينا بصوت صلب فيبيت منه القوم في بلبال

كذا ، وصوابه : « ما إن تُبَيِّتُنا » يريد سلمى بنت حذيفة بن بدر . وانظر شرح شواهد شرح الشافية ١٨٧ ـ ١٨٨

٥١ ـ ٢ / ٢٧٦ يزاد في مصادر أبيات منظور بن مرثد الأسدي اللامية .

فَـلَّ هَمَّ الـواسـق المقتـلّ

الخزانة ٢ / ٥٥٠ ، والنوادر ٥٣ ، ومجالس ثعلب ٥٢٣ ـ ٥٣٦ ، وشرح شواهد شرح الشافية ٢٤٦ ، وتهذيب الألفاظ ٤١٢ ، وضرائر الشعر لابن عصفور ٥١ ، وسفر السعادة ٢ / ٧٣٣ ـ ٧٣٥ (ط . مجمع اللغة العربية ١٩٨٣ ـ ١٩٨٤)

٥٢ ـ ٢ / ٢٧٨ ح ١ س ٨ قال المحقق في تخريجه الأبيات البائية :

لقد خشيت أن أرى جدبّا

قال نقلاً عن البغدادي في شرح شواهد شرح الشافية : « ونسبها ابن عصفور وابن يسعون نقلاً عن الجرمي والسخاوي إلى ربيعة بن صبيح » ا هـ

و « ربيعة بن صبيح » تحريف صوابه « ربيعة بن صُبْح » كما قال

السخاوي ، وقد استقصينا تخريج الأبيات فيما علقناه على كتابه سفر السعادة ١ / ٤٥ .

٥٣ ـ ٢ / ٣٩٦ س ٤ ـ ٥ قال ابن السيرافي عقب إنشاده بيت حكيم بن معية :

فيهـا عيـاييـل أسـود ونُمُرْ

قال : « الذي في شعره : (فيه غياييل) » . وغياييل بالغين المعجمة تصحيف صوابه « عياييل » بالعين المهملة ، انظر ما قاله المؤلف (ابن السيرافي) بعد . والذي أراده ابن السيرافي أن الرواية في شعره « فيه » لا « فيها » . وقد استقصينا تخريج أبيات حكيم هذه في سفر السعادة ١ / ٣٩٥ .

٥٤ ـ ٢ / ٣٩٩ س ٩ ـ ١٠ بيتا الراعي هما في ديوانه (ط . راينهرت) ق ٥١ / ١ ـ ٢ ص ١٨٤ .

٥٥ ـ ٢ / ٤٠٧ س ٣ « فالاسم نحو أَلنُّجَح وأبنُم ... »

وصوابه : « أَلنجج » بجيمين ، وهو العود الهندي .

٥٦ ـ ٢ / ٤٠٨ ح ١ عزا المحقق إلى المخصص ١٠ / ١٦ ضبط بيت غيلان بن حريث :

عيـدان شطي دجلـة اليخضـور

برفع اليخضور . لم تضبط راء اليخضور في المخصص والوجه ـ كما هو ظاهر قول أبي علي ـ الجر ، لأنه استشهد به على أنه يقال للماء اليخضور فيكون « اليخضور » بالجر نعتاً لـ « دجلة » والذي قاله ابن السيرافي في توجيه الجر والرفع غير جيد ، والصواب ما قلته إن شاء الله .

٥٧ ـ ٢ / ٤٣٣ س ٨ « وقوله معدواً عليّ ... »

والصواب : « معديًّا علي » يريد قول عبد يغوث :

أنـا الليث معـدِيًّـا علي وعـاديـا

٥٨ ـ ٤٤٢ س ١٠ « الذي تيه الهوى ، استعبده »

والصواب : واستعبده .

وبعد ؛ فهذا مـا اتفق لي من التعليق على مواضع من الكتـاب ، ولم أستوف قراءته جميعاً . وأعود فأثني على الجهد الذي بذلـه المحقق في تحرير نص الكتاب والتعليق عليه بما يوضحه ، وأسأل الله تعـالى أن يوفقنـا إلى الحق ، وفوق كل ذي علم عليم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حاشية ابن بري

على كتاب المعرَّب
تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي

مأمون الصاغرجي

صدر عن مؤسسة الرسالة (بيروت ١٩٨٥ م) كتاب حاشية ابن بَرّي على كتاب المعرَّب لابن الجواليقي ، بتحقيق الأستاذ الدكتور إبراهيم السامرائي الذي عُني بإخراجه والتقديم له والتعليق عليه .

والحق أن حاشية ابن بري تفيض بالفوائد والفرائد ، وقد تكون مبعث حوارٍ خصب بين العلماء المختصين بمباحث التعريب وصلات اللغات بعضها ببعض ، ومعرفة ماأخذته وما أعطته كلٌّ منها إلى لداتها وجاراتها .

ولقد استمتعتُ بقراءة الكتاب وأفدتُ منه وشكرت للأستاذ المحقق مابذل من جهد ، وماقدَّم من نفع . وبدت لي في أثناء القراءة أشياء رأيتُ أن أعلّق عليها ، وأفصح عما خالجني بشأنها ؛ وهي جميعاً من الأمور الهيِّنات إن شاء الله ، والغاية من سردها أن يزداد العمل كمالاً ، وأن تتضافر جهود العاملين في ميدان اللغة ليبلغ تحقيق الكتاب غايته .

١ - ترجم الأستاذ المحقق لابن بري مؤلف الحاشية (ص ١١) وذكر أنه توفي سنة تسع وتسعين وأربع مئة .

ـ والصحيح الذي أورده مترجمو ابن بري أن السنة المذكورة هي سنة ولادته ، وأنه توفي سنة ٥٨٢ هـ (إنباه الرواة ٢ / ١١٠ ـ ١١١ ، وقد أورد محقق الإنباه أبرز مصادر ترجمة ابن بري) .

٢ ـ أورد ابن بري في مفتتح كتابه (ص ١٩) سند أبي منصور موهوب بن الجواليقي الذي افتتح به كتاب المعرب وهو : « أخبرني غير واحد عن الحسن بن أحمد عن دعلج عن علي بن عبد العزيز عن أبي عبيد ... » ، فعلّق الأستاذ المحقق على دعلج بقوله : « لم أهتد إلى معرفته ، وقد أغفله أحمد محمد شاكر في نشرته » .

ـ قلتُ : دَعْلَج بن أحمد السِّجْزي (٢٦٠ ـ ٣٥١ هـ) من أشهر الرواة عن علي بن عبد العزيز المكي . وتجد ترجمته في تاريخ بغداد ٨ / ٣٨٧ ـ ٣٩٢ ووفيات الأعيان ٢ / ٢٧١ ـ ٢٧٢ ومختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور ٨ / ١٩٥ ـ ١٩٨ وسير أعلام النبلاء ١٦ / ٣٠ ـ ٣٥ وتذكرة الحفاظ ٣ / ٨٨١ ـ ٨٨٢ والعبر ٢ / ٢٩١ والبداية والنهاية ١١ / ٢٤١ ـ ٢٤٢ وطبقات الشافعية للسبكي ٣ / ٢٩١ ـ ٢٩٣ والرسالة المستطرفة ص ٧٣ وتهذيب ابن عساكر لبدران ٥ / ٢٤٢ .

٣ ـ قال ابن بري (ص ٢٠) : « قوله : أخبرني غير واحد ، يعني علي بن طراد الزينبي نقيب النقباء » ، وعلّق الأستاذ المحقق على ذلك بأنه قد ورد في الأصل المخطوط : « طراد بن علي الزينبي » .

ـ إن ماجاء في الأصل المخطوط هو الصحيح . وإن جميع مترجمي ابن الجواليقي قد أطبقوا على أن أبا الفوارس طراد بن محمد بن علي الزينبي (٣٩٨ ـ ٤٩١ هـ) كان من شيوخ ابن الجواليقي (انظر مقدمة كتاب المعرب : ٢٧ رقم ٣ ، وقد أورد من مصادره الأنساب والنجوم

الزاهرة والشذرات . وزد على مصادره العبر للذهبي ٣ / ٣٣١ ، وتذكرة الحفاظ للذهبي ٤ / ١٢٢٨ ، وسير أعلام النبلاء للذهبي ١٩ / ٣٧ ـ ٣٩ والتاج (طرد) . وسرد محققه مصادر أخرى كثيرة .

٤ ـ جاء في (ص ٢٢) : « باب معرفة العرب ... » .

ـ والصواب : « باب معرفة مذاهب العرب في استعمال الأعجمي » كما جاء في كتاب المعرب (ص ٦) ، وهذا وأمثاله ربما كان من أغلاط المطبعة .

٥ ـ أورد ابن بري (ص ٣٢) البيت الشاهد :

أراد الله أن يخـــزى عميراً   فسلّطني عليه بـأرّجـانِ

وضبط الأستاذ المحقق كلمة (يخزى) بالبناء للمفعول ، وأعاد ضبطها كذلك في الحاشية . وبمثل هذا الضبط جاءت في معجم البلدان (أرجان / ط وستنفلد) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ والصواب في ضبطها (يُخْزِي) بالبناء للمعلوم ، كما جاءت في طبعة اللسان (أرج) ومعجم البلدان (أرجان / ط دار صادر) . أما رواية المعرب لابن الجواليقي (ص ٣٠) فجاءت :

أراد الله أن يَجْـــزِي عميراً   فسلّطني عليه بـأرَّجـانِ

٦ ـ علق الأستاذ المحقق (ص ٣٢ ، هـ ٢٥) على البيت الشاهد الذي أوردتُه آنفاً فقال : « قال ياقوت : وحكى أبو عثمان ... وأنشدني محمد بن السريّ » .

ـ وتقتضي الدقة أن يقول : « قال أبو علي : وحكى أبو عثمان ... وأنشدني محمد بن السريّ ... » لأن هذا القول قول أبي علي الفارسي ،

ونقله ياقوت الحموي في معجمه ، ومحمد بن السريّ النحوي المعروف بابن السراج كان من شيوخ أبي علي الفارسي ، وقد نقل ابن الجواليقي هذا القول في المعرب (ص ٣٠) منسوباً إلى أبي علي الفارسي .

٧ ـ نقل ابن بري (ص ٤٣) قول الليث : « البِرْزِيق : جماعة خيل دون الموكب . وقال زياد : ماهذه البرازيق التي تتردَّد »[١] . ثم علّق الأستاذ المحقق في الحاشية : « لم أتبين زياداً هذا » .

ـ قلت : هو زياد بن أبي سفيان والي البصرة لمعاوية بن أبي سفيان ، وقوله هذا جاء برواية أخرى من خطبة له في غريب الحديث لابن قتيبة (٢ / ٥٧٢) .

٨ ـ تحدث ابن بري (ص ٥١) عن لفظة « البَـذْرَقـة » وأن أبا منصور بن الجواليقي قد أخلَّ بها في كتابه فلم يذكرها .

ـ لعله كان من المستحسن أن يشير الأستاذ المحقق إلى أن لفظة « البذرقة » قد وردت في المعرب المطبوع (ص ٦٧) .

٩ ـ ذكر أبو منصور بن الجواليقي في المعرب (ص ١٤٩ ـ ١٥٠) أن « لادهل » كلمة نبطية ومعناها لاتخف . جاء ذلك في شعر بشار وهو قوله :

فقلتُ له لادَهْلَ مِنْ قَمْلَ بعدما ... رمى نَيْفَقَ التُّبانِ منه بعاذِرِ

وعقب ابن بري على كلام الجواليقي فصحح رواية البيت ثم قال

---

(١) كتاب العين ٥ / ٢٥٥ والتهذيب للأزهري ٩ / ٤٠١ واللسان (برزق) ، وانظر الجمهرة لابن دريد ٣ / ٣٠٥ .

(ص ٨٨) : « وذكر هذا البيت في حرف اللام ، وعزاه البارقي فيما حكاه ابن السكيت » .

- وقد علق الأستاذ المحقق فقال : « أراد أن الكلمة الأخيرة في البيت : بعاذِلِ » .

- قلت : ليس هذا ماعناه ابن بري بتعقيبه ، وإنما أراد أن ابن الجواليقي قد أعاد ذكر البيت الشاهد في باب اللام من كتاب المعرب (انظر المعرب المطبوع ص ٣٠١) ، وتبعاً لذلك أعاد ابن بري نفسه ذكر الشاهد في حاشيته (ص ١٤٣) وعلق عليه .

- ويبقى أن نذكر تمام الكلام الوارد في ص ٨٨ على وجهه الصحيح : « وعزاه [أبو منصور] إلى [سراقة] البارقي فيما حكاه عن ابن السكيت » . ولعل سقوط « إلى » من غلط المطبعة .

١٠ - أورد ابن بري (ص ٩٣) ثلاثة أبيات لرؤبة ، أولها :

لاتعذليني بالرُّذالات الحَسَكْ

وضبط الأستاذ المحقق « لاتعذليني » بالذال المعجمة طبق روايتها في ديوان رؤبة (ص ١١٧) . وكان الأستاذ أحمد محمد شاكر قد ضبطها في المعرب (ص ١٦٢) بالدال المهملة نقلاً عن مخطوطة (حـ) ، وعن لسان العرب ، وفسرها : « أي لاتوازنيني وتساويني » وهو الصواب .

- وجاء ضبط البيت الثالث هكذا :

يربض في الروث لَبِرْذَوْن الرَّمَك

والصواب فيه « كبِرْذَوْن » بالكاف في أوله كما جاء في المعرب واللسان (رمك ، فلك) ، ولعل هذا من أخطاء المطبعة أيضاً .

١١ - ضبط الأستاذ المحقق كلمة « الزرجونة » (ص ٩٦) بسكون الراء أنّى وقعت .

ARCHIVE

ـ والصواب ضبطها بفتح الراء ، كما نصت على ذلك كتب اللغة . وكذلك جاءت بفتح الراء في المعرب المطبوع (ص ١٦٥) . ولعلها من غلط المطبعة .

١٢ ـ تحدث أبو منصور بن الجواليقي في المعرب (ص ١٨٩) عن السذاب وأنها معربة ، وأن أهل اليمن يُسمونها « الخُتُف » (بوزن قُفْل) .

فعقب ابن بريّ في حاشيته على المعرب (ص ١٠٨) فقال : « هو الفَيْجَن باللغة اليمانية » .

وعلق الأستاذ المحقق على ذلك فقال : « في الأصل المخطوط : باللغة السامية ، وأنا أستبعد هذا لأن مصطلح السامية مصطلح غربي ، عرف في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي » .

ـ قلتُ : صحة الكلام هو : « باللغة الشامية » بالشين المعجمة ، لا باللغة اليمانية . وهو هو ما جاء في المعرب للجواليقي (ص ٢٤٢) قال : « قال أبو بكر [بن دريد] : والفَيْجَن : السذاب ، لغة شآمية ، ولاأحسبها عربية صحيحة »[٢] .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١٣ ـ ذكر ابن بري كتاب الحجاج بن يوسف الثقفي إلى محمد بن القاسم وإلى قتيبة (ص ١١٨) : « أيكما أسبقَ إلى الصين فهو والٍ على صاحبه » .

ـ والصحيح : أيكما سبق إلى الصين فهو والٍ على صاحبه . كما جاء في تاريخ اليعقوبي (٢ / ٣٤٦) .

١٤ ـ ترجم الأستاذ المحقق لأبي محمد جعفر بن أحمد السراج

(٢) جمهرة ابن دريد ٢ / ٢٥٧ .

(ص ١٢١ هـ ١٢) ، وذكر أنه توفي سنة ٤١٦ هـ .

ـ والصحيح أن السنة المذكورة هي سنة ولادته . أما وفاته فكانت سنة ٥٠٠ هـ ، كما ذكر الأستاذ أحمد محمد شاكر محقق المعرب (ص ٢٢٦ هـ ٢) وعدّد من مصادر ترجمته معجم الأدباء وبغية الوعاة .

١٥ ـ جاء في حاشية ابن بري (ص ١٢٢) : « وقال ابن بري : لم يذكر « الطربان » للطبق الذي يؤكل عليه . وفي الحديث : أنه أكل قديداً على طربان » .

وعلّق الأستاذ المحقق على ذلك بقوله : « لم أقف على « طربان » في معجمات العربية ، ولم أهتد إلى تخريج الحديث » .

ـ والصحيح في ضبط الكلمة أنها « الطريان » بياء مثناة تحتية ، لابباء موحدة . وقد وردت في اللسان والتاج (طري) ، والتكلمة والذيل والصلة للصغاني ٦ / ٤٦١ (طرا) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١٦ ـ تحدث ابن الجواليقي في المعرب (ص ٢٣٣ ـ ٢٣٤) عن « عسقلان » ، وأورد شاهداً بيت سحيم عبد بني الحسحاس :

كأن الوحوش بها عسقلا نُ صادف في قَرْنِ حَجٍّ دِيافا[٣]

فتعقّبه ابن بري (ص ١٢٥) وقال : « صوابه على التذكير ، وهو عائد على موضع يقال له « ذو بقر » وهو مذكر ، وهو قوله :

وحكٌ بذي بقرٍ بَرْكَةً كأن على عضديه كتافا »

---

(٣) رواية البيت في المعرب المطبوع : « كأن الوحوش به ... » وهي في حاشية ابن بري (ص ١٢٥) : « كأن الوحوش بها ... » ، وقد أوردتُ رواية ابن بري لنسخة المعرب والتي علق عليها في حاشيته .

وعلّق الأستاذ المحقق على البيت الثاني بقوله : « لم أهتد إلى البيت الشاهد ولا إلى قائله » .

ـ والبيت الشاهد كما رأيت من قصيدة سحيم ، أورده ابن بري ليعزز ماذهب إليه من تذكير الضمير في البيت بدل التأنيث .

ـ والعجب أن الأستاذ المحقق عاد فذكر في الفهرس (ص ١٦٤) أن البيتين لسحيم !.

ـ وديوان سحيم مشهور ، نشره الأستاذ المحقق عبد العزيز الميمني (القاهرة ١٩٥٠ م) ، والبيتان من قصيدة في الديوان (ص ٤٢ ـ ٤٨) .

ـ وإن العودة إلى الديوان تطلعنا على أن كلمة « حك » بالكاف محرفة عن « حلّ » باللام . وقد ذكر الديوان أن في البيت روايتين : أولاهما : « وحطّ » بالطاء ، والثانية « وحلّ » باللام . والبيت في صفة السحاب الذي أنزل غيثه بهذا المكان .

١٧ ـ ذكر ابن بري (ص ١٢٩) « الفَيْهَج » وأنه ماتكال به الخمر ، وأورد بيتاً شاهداً :

ألا ياأصبحينا فيهجاً جيدرية   بماء سحابٍ يسبقُ الحقَّ باطلي

وعلّق الأستاذ المحقق على البيت بقوله : « لم أهتد إلى البيت ولا إلى قائله » .

ـ والبيت من شواهد اللسان (فهج) ، ونسبه ابن بري إلى معبد بن سعنة . وأورده الصغاني في التكملة والذيل والصلة ١ / ٤٨١ (فهج) مصححاً رواية الجوهري في الصحاح وقال : « البيت لمعبد بن سعنة الضبي . والحق : الموت ، والباطل : اللهو » . وأورده ابن فارس في المجمل ١ / ١٧٨ (جدر) و ٣ / ٧٠٦ (فهج) ، ومعجم مقاييس اللغة ١ / ٤٣١ (جدر) و ٤ / ٤٥٥ (فهج) ، وروايته في المعجمين « جَدَرِيَّة » ،

وأورده الزبيدي في التاج (فهج) .

١٨ - أورد ابن بري (ص ١٣٥) شاهداً على القَيْروان ما أنشده ثعلب :

فإن تلقَّاك بقيروانه
أو خفت بعض الجور من سلطانه
فاسجد لقرد السوء في زمانه

فعلق الأستاذ المحقق على الأبيات بقوله : « لم أقف على الرجز ولا على قائله » .

- وأبيات الرجز في اللسان والتاج (قرو) .

١٩ - ورد في حاشية ابن بري (ص ١٣٦) بيت للطرماح :

من كل ذاقنةٍ تعوم رماحها عوم الخشاش على الصفا يترأَّدُ

وعلق الأستاذ المحقق : « في الديوان ص ١٣٦ : من كل ذاقنة يعوم زمامها » .

- كان يحسن أن يتابع الأستاذ المحقق فيقول : وهو الصواب . وأما ما جاء في مخطوط ابن بري فهو تحريف من الناسخ .

يقولون : الزمام يعوم : أي يضطرب . وبيت الطرماح من شواهد الزمخشري في أساس البلاغة (عوم) .

٢٠ - أورد ابن بري أربعة أبيات (ص ١٤٤) رثى بها سراقة بن مرداس البارقي الأصغر[٤] عبدَ الرحمن بن مخنف الغامدي الأزدي الذي

---

(٤) أخبار سراقة بن مرداس البارقي في الأغاني ٨ / ٦٨ - ٦٩ ، ٩ / ١٢ - ١٤ ، ومختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور ٩ - ٢١٣ - ٢١٤ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر لبدران ٦/ ٦٩ - ٧١ ، و مقدمة ديوان سراقة البارقي المطبوع ، وتجد بقية مصادر أخباره في تاريخ الأدب العربي لبروكلمان (الترجمة العربية) ١/ ٢٤٨ وتاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين (الترجمة العربية) مج ٢ ج ٢ / ٢٢ - ٢٣ .

قتله الخوارج في وقعة مشهورة سنة ٧٥ هـ . وقد علّق الأستاذ المحقق : « لم أهتد إلى تخريج الأبيات » .

ـ إن أبيات المرثية في ديوان سراقة ، وهي خمسة أبيات (ديوان سراقة البارقي : ٤٣ ـ ٤٤ / القاهرة ١٩٤٧ م بتحقيق حسين نصار) ، وأورد الأبيات الخمسة الطبري وابن الأثير في تاريخيهما (الطبري ٧ / ٢١٧ ، الكامل ٤ / ١٩٠ / حوادث سنة ٧٥ هـ) ، وأورد ياقوت الحموي في معجم البلدان (كازر) أربعة أبيات ، ثلاثة منها مما أورده ابن بري في حاشيته .

٢١ ـ وإذا عدنا إلى النص الذي ورد مشفوعاً بأبيات سراقة (ص ١٤٣ ـ ١٤٤) وجدنا :

أ ـ رثى بها ابن مخنف الأسدي .

ـ وهنا يحسن أن نضبط « الأسْدي » بفتح الهمزة وسكون السين ، لأن الأسْد بسكون السين لغة في الأزد ، وعبد الرحمن بن مخنف غامديٌّ أزديّ (جمهرة ابن حزم : ٣٧٧ ـ ٣٧٨) ، ومثل هذا الضبط يمنع الاشتباه أن يُظن أنه منسوب إلى قبيلة أسَد (بفتح الهمزة والسين) وهي من القبائل العدنانية .

ب ـ وأما الأبيات التي رثى بها سراقةُ بن عبد الرحمن ..

ـ إن ورود كلمة « ابن » هنا زيادة لاداعي لها ، ولعله من غلط المطبعة .

ج ـ وذكر خذلان الأغلب له ..

ـ الصواب : « وذكر خذلان المهلب له » ، وهو المهلب بن أبي صفرة الأزدي القائد المشهور ، وكان في الوقعة التي قُتل فيها ابن مخنف ، ولم يستطع إمداده . جاء في ديوان سراقة (ص ٤٣) : « فقال سراقة بن

مرداس البارقي في ذلك يرثي عبد الرحمن بن مخنف ، ويذكر خذلان المهلب إياه » .

د ـ بكازر

ـ ضبطت كلمة « كازر » بكسر الزاي ، والصواب فتحها .

هـ ـ وقابل حتى مات أكرم ميتةٍ

ـ الصواب : « وقاتل حتى مات ... » ولعلها من غلط المطبعة .

و ـ أمدَّ ولم يَمْدُدْ ..

ـ جاء « ولم يمدد » بالبناء للفاعل ، والصواب أن يُبنى لما لم يُسمَّ فاعله « ولم يُمْدَدْ » .

ز ـ قضى غيه يوم اللقاء ..

ـ والصواب « قضى نحبه .. » ، ولعلها من غلط المطبعة أيضاً .

٢٢ ـ جاء (ص ١٥٠ ـ ١٥١) : « ومن هذا الباب « الهنبيق » للوصف ، وجمعه هنابيق . قال لبيد :

والهنـــابيــق قيـــام حـــولهم كل ملشـــوم إذا صبَّ هَمَـــلْ »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وعلّق الأستاذ المحقق على كلمة « الهنبيق » فقال : « ولم أجد في المعجمات إلا الهنبوقة بمعنى المزمار ، والجمع الهنابيق » .

وعلّق على بيت لبيد فقال : « لم أجد البيت في ديوان لبيد / ط الكويت » .

ـ وصحة الكلام :

أ ـ ومن هذا الباب « الهبنيق » بتقديم الباء الموحدة على النون ، وهو على وزن قِنْدِيل ، ويجوز فتح هائه . وقد ذكرته المعجمات ، وفي مطلعها كتاب العين (٤ / ١١٢) .

ولابدّ من تصحيح جمع هبنيق إلى هبانيق .

ب ـ للوصيف ، بإثبات الياء . أما ماجاء في نص المطبوعة (للوصف) فغلط محض . قال صاحب العين (٤ / ١١٢) : « والهبنيق : الوصيف ، وجمعه هبانيق » . وقال أحمد بن فارس (المجمل ٣ / ٩١١) : « والهبنيق : الوصيف » ، ومثل ذلك جاء في اللسان والقاموس المحيط وأشباههما من معجمات اللغة .

ج ـ وبيت لبيد موجود في ديوانه / ط الكويت ، ورد في ص ١٩٦ ، وخرّجه محقق الديوان الأستاذ الدكتور إحسان عباس (ص ٣٨٥) في الشعر والشعراء واللسان (هبنق ، خزم) والمعاني الكبير لابن قتيبة ، وجمهرة ابن دريد . ونضيف إلى ماذكره الدكتور عباس كتاب العين (٤ / ١١٢) ، والتاج (هبنق) .

وبعد ، فهذه لمع مما تراءى لي وأنا أقرأ كتاب « حاشية ابن بري على المعرب » ، ولعله يتاح لي أن أقصر على سائرها كلمة ثانية . والله الموفق .

(آراء وأنباء)

فقيد المجمع

الأستاذ عبد الكريم زهور عدي

توفاه الله يوم الثلاثاء ٢٦ رجب ١٤٠٥ هـ الموافق ١٦ نيسان ١٩٨٥ م وشيع جثمانه في اليوم التالي ، ووري في مقبرة الفراديس (الدحداح) بدمشق .

رحم الله أبا حيّان ، وغفر له ، وأحلّه دار كرامته ؛ لقد فارقنا أحوج مانكون إلى مثله في نفاذ بصيرته ، ومضاء عزيمته وصدقه ، وصار بما قدّم من عمل إلى عالم الغيب والشهادة ، وهو ـ سبحانه ـ جازيه بما قدّم ﴿ يَوْمَ لا يَنْفَعُ مالٌ وَلا بَنُونَ إلاّ مَنْ أَتى اللهَ بِقَلْبٍ سَليم ﴾ .

كان ـ رحمه الله ـ لايتعلق من الحياة إلا بمعانيها السامية ، لاتزدهيه المناصب ، ولاتغرّه الألقاب ، ولاتستغرقه هموم نفسه ، وإنما كان همه الأكبر الذي ظلّ أبداً يعتلج في فكره وضميره ، ويصرّفه في كلّ مازاول من عمل على حكمه همّ أمّته ومطامحها ومستقبلها ، يسدّده في مساعيه فكر نيّر لاتعمى عليه معه السبل ، وخلق قويم يرتفع به فوق ماينحط فيه ضعاف النفوس من سفاسف ، وإلى ذلك عزم صادق لايلين أمام الصعاب . ولم تزده ـ أكرم الله مثواه ـ تجاربه وما قاسى من محن إلا مضاء في عزمه ، وتسامياً في فكره ، واستبصاراً في طريقه ، كالذهب الإبريز لايزداد على امتحانه بالنار إلا خلوصاً وتوهّجاً .

كان الصدق في القول والعمل طبيعة راسخة فيه ، يتوخى الحق

ويتبعه حيثما لاح له ، ثم يثبت عليه لايفتنه عنه هوى ، ولاتنحرف به عنه رهبة ، ولاتحمله على الترخّص فيه مصانعة . كان ذلك شأنه في التدريس عندما مارس التدريس ، وشأنه في السياسة عندما خاض غمرات السياسة ، حتى إذا خار الله له وآثر التفرغ للعمل العلمي كان آية في التزامه بأخلاقيته ، لاكأناس ماأكثرهم هذه الأيام همُّهم السطوُ على أعمال الآخرين وما يتلقفونه من أفواههم وانتحالُه . لاجرم كان بما اجتمع له من هذه الخصال ملء عيون إخوانه وصحبه وقلوبهم ، وكان الملجأ الذي يئلون إليه كلما حزبتهم الأمور واشتبهت عليهم ، فيجدون عنده الرأي السديد والتوجيه الناصح ، وما زال هذا دأبه ودأبهم حتى وافاه أجله المحتوم ، فترك في صدورهم حسرة لاتنقضي وفي نفوسهم فراغاً يعز ملؤه ، يرحمه الله .

أحمد راتب النفاخ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الملتقى الأول للمقارنين العرب

الدكتور نسيب نشاوي

عُقد في رحاب جامعة عنّابة (الجزائر) الملتقى الأول للمقارنين العرب ، الذي تابع أعماله خلال خمسة أيام (٨ ـ ١٢) تموز ١٩٨٤م ، وحضره جلّةٌ من أساتذة الجامعات العربية المعنيين بالأدب المقارن عند العرب .

أشرف على تنظيم الملتقى معهدُ اللغات والآداب بجامعة عنابة ، الذي يضمُّ أقسام اللغات العربية والأجنبية والدراسات العليا . وجاء هذا الملتقى استكمالاً للملتقى الدولي الذي دعت إليه جامعة عنابة في عام ١٩٨٣ م .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

افتتح محافظُ مدينة عنابة الملتقى ، وتلاه الأستاذ الدكتور ابركان مدير جامعة عنابة الذي رحّب بالعلماء الضيوف الذين قدموا من الأقطار العربية ، ثم عرض الأستاذ عبد المجيد حنون مدير معهد اللغات والآداب برنامج المحاضرات .

وسأكتفي بعرض موجز لمحاضرتين من محاضرات الملتقى ، لتكونا نموذجين لما وراءهما من محاضرات وبحوث ، ثم أتبعهما بسرد لعناوين المحاضرات الأخرى ، وذكر لأسماء أصحابها ، مشيراً إلى أن هذه المحاضرات ستصدرها جامعة عنابة تامة بين دفتي كتاب .

١

ألقى الأستاذ الدكتور عز الدين المناصرة (جامعة قسنطينة - الجزائر) محاضرة عنوانها : « بيان الأدب المقارن - اشكاليات الحدود » :

وقد صاغ الدكتور المناصرة بحثه على طريقة بيان يشتمل على وصايا ناقش فيها الاشكاليات السبع الحدودية - كما يقول - في الأدب المقارن ، وبهذا قدم بعض المقترحات للاسهام في تشكيل رؤية عربية ، أو رسم ملامح (نظرية عربية) في الأدب المقارن . وقال ان المصطلح (الأدب المقارن) غامض رغم مرور زمن طويل على استعماله أول مرة لدى فيلمان الفرنسي عام ١٨٢٨ م . الذي ذكره عرضاً في محاضراته « دروس في الأدب الفرنسي » وافترض (الأدب القومي) أي الفرنسي شرطاً للمقارنة مع أدب آخر وذلك حين نشر كتابه « كلمة الأدب المقارن » وبه تمت مركزة ثنائية المقارنة بين أدبين ، وأن بول فان تيغم حين حاول تطوير هذه الثنائية باتجاه المقارنة بين عدة آداب اضطر إلى طرح مصطلح (الأدب العام) .. ثم صارت الكلمة شائعة كعلم مستقل . ووقف عند قضية التأثير والتأثر بين الآداب المقارنة ورأي المدرسة الفرنسية فيهما ، وعرض خصومات المدرسة الأمريكية والسوفياتية ، وقال ان حالة العداء لاتهم الأدب المقارن عند بعضهم ولكنها داخلة فعلا فيه ، ثم حدد مظاهر اشكالية التأثر والتأثير « فالحضارات لاتتلاشى نهائياً ، بل تتغير هيئتها ، وتلاشيها أمرٌ ظاهري ، كل هذا يثبت أن المُرْسِل ليس دائماً ايجابياً ، والمتلقي ليس دائماً سلبياً كما هو شائع .. » . وانتقل المحاضر إلى الدراسات العربية الحديثة في ميدان الأدب المقارن فذكر جهود الأساتذة حسام الخطيب ومحمد عبد السلام كفافي وطه ندا وبديع جمعة والطاهر مكي وإبراهيم عبد

الرحمن ومحمود الربيعي وريمون طحان وأبي العيد دودو وجميل ناصيف ومحمود صبح وأحمد كمال زكي وحسين علي محفوظ ومحمد الصادق عفيفي وعبد المجيد حنون ومحمد عبد الحي .. وذلك مع بداية السبعينات من هذا القرن اذ قدموا دراسات تطبيقية في الأدب المقارن . وتعد الصفحتان الأخيرتان في بحثه محاولة لوضع أسس للنظرية العربية المنتظرة .

٢

وألقى الأستاذ الدكتور بديع محمد جمعة (جامعة عين شمس ـ مصر) محاضرة عنوانها : « قنوات الاتصال بين الأدبين العربي والفارسي ودورها في تعزيز الأدب المقارن » .

استهل الدكتور جمعة بحثه بلفت النظر إلى أن الدراسات الأدبية المقارنة إنما تمت بعقد مقارنات بين الأجناس الأدبية العربية ومثيلاتها الأوربية كعرض مدى التقارب بين شوقي ولافونتين ، أو شوقي وشكسبير في كليوباترة ، أو بين أبي العلاء ودانتي ، ثم أشار إلى صلات الأدب العربي بالآداب الشرقية الفارسية والتركية مثلاً والهندية أيضاً وأنها تمتد عدة قرون ، وتمثل روافد نهل منها أدباؤنا أو غذّوها ، وتوسع بعد ذلك في بسط قنوات الاتصال بين الأدبين العربي والفارسي وعرض قول (نظامي) صاحب كتاب « المقالات الأربع » (جهار مقالة) الذي يحثّ الكتاب الفرس على التضلع بالآداب العربية .. وأن من مظاهر تأثير العربية في اللغة الفارسية مجيء الأشعار الفارسية على الأوزان العربية وأن معجم « صحاح العجم » لهندوشا النخجواني (ت ٧٣٠ هـ) إنّما هو معارضة لمعجم الجوهري « الصحاح » . ثم توسع الأستاذ المحاضر في عرض أمثلة لغوية تبادل فيها العرب والفرس استعمال الكلمات ، ومن هذا الاتصال اللغوي . تم الاتصال الأدبي ووجد بعض الألفاظ الفارسية في

شعر امرئ القيس والأعشى وأبي نواس ومهيار .. ودعا الباحثين إلى رصد ذلك في دراساتهم . بعد ذلك انتقل إلى قناة الاتصال الثانية والمتمثلة في الالتقاء بين الثقافتين العربية والفارسية ، فمؤلفات ابن سينا مكتوبة باللغتين[1] ، والالتقاء المشترك على التصوف والفلسفة في كلتا اللغتين واضح في كتاب « اللمع » و « طبقات الصوفية » و « كشف المحجوب » للهجويري أو « تذكرة الأولياء » للعطار ، أو « نفحات الأنس » .. ثم انتقل إلى القناة الثالثة وهي عن التراث العربي في إيران وأن عقولا ايرانية أنتجت كتباً في علوم اللغة العربية كسيبويه والكسائي وابن قتيبة والجرجاني والزمخشري والسكاكي .. مما أثر في تقريب الأدبين أو السماح بالتقاط صور مقارنة بينهما (الأدب العربي والأدب الفارسي) . أما القناة الرابعة فيمثلها أصحاب اللسانين كالغزالي وابن سينا .. وأما الخامسة فهي قناة الترجمة بين الأدبين ، والسادسة أدب الرحلات .. وخلص من ذلك جميعاً إلى ضرورة الاهتمام بدراسة أواصر الصلات بين أدبنا العربي وجميع الآداب الشرقية الفارسية والتركية والأوردية ، وحتى منطقة شرقي آسية كالأدب الصيني والياباني ..

[(1) ألّف ابن سينا كتبه بالعربية المبينة ، ولم يذكر مترجموه أنه كتب بالفارسية إلا كتاباً واحداً هو كتاب « دانش نامه » العلائي ، صنفه لعلاء الدولة أبي جعفر بن كاكويه ملك أصفهان (٣٩٨ ـ ٤٣٣ هـ) ، استجابة لرغبته . ولابن سينا أشعار بالفارسية (عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، لابن أبي اصيبعة ٢ : ١٩ ، مؤلفات ابن سينا للأب جورج قنواتي : ٢٨ ـ ٢٩ ، ١٢١ ـ ١٢٢ ، رقم ١٣ ، ٥٠) . هذا وإن عدة كتب لابن سينا قد ترجمها العلماء فيما بعد من العربية إلى الفارسية ومازالت تحتفظ بها خزائن المخطوطات / المجلة] .

٣

وهذه جملة سائر المحاضرات التي أُلقيت في الملتقى :

- نحو منهج عربي للأدب المقارن للأستاذ الدكتور جميل نصيف التكريتي

(جامعة بغداد - العراق)

- الترجمة عامل أساسي في الأدب المقارن للأستاذ الدكتور مختار نويرات

(جامعة عنابة - الجزائر)

- طرق وأنواع الاتصال الأدبي، وعلاقتها بالدراسة المقارنة للأستاذ الدكتور عصام الخطيب

(جامعة الموصل - العراق)

- مصطلح « الأدب المقارن » في المعجمات العربية القديمة والحديثة للأستاذ الدكتور نسيب نشاوي

(جامعة عنابة - الجزائر)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- حول مصطلح « الأدب المقارن » للأستاذة الدكتورة فاطمة الصافي

(جامعة عدن - اليمن)

- محاولة لتحديد مفهوم مصطلح « الأدب المقارن للأستاذ عبد المجيد حنون

(جامعة عنابة - الجزائر)

- المنهج والمصطلح في المحاولات العربية الأولى في الأدب المقارن للأستاذ الدكتورخالد الكركي

(الجامعة الأردنية - الأردن)

- الأثر الفارسي في مسرح شوقي للأستاذ الدكتور بديع محمد جمعة

(جامعة عين شمس - مصر)

- الدراسات اللغوية الحديثة وخلافاتها حول تفهم النص الأدبي المقارن للأستاذ الدكتور ميشال باربو

(جامعة السوربون - فرنسا)

- توسيع منهج الأدب المقارن ومفهومه في محاولة لتدريسه في المرحلة الجامعية الأولى للأستاذ الدكتور عبد الرحيم علي نصر الله

(جامعة اليرموك - الأردن)

- من أجل مفهوم عربي لمصطلح الأدب المقارن ومنهجه للأستاذة نسيمة عيلان

(جامعة عنابة - الجزائر)

- مركز النفس : ورد سورث وصورة المرأة عند الشعراء العرب (شكري ، أبو شادي ، الشابي) للأستاذ الدكتور محمد عبد الحي

(جامعة الخرطوم - السودان)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٤

وفي ختام المحاضرات والمناقشات اتفق المجتمعون على تأسيس « الرابطة العربية للأدب المقارن » وتمت مناقشة مشروع قانونها . وينص قانون الرابطة على أن الرابطة العربية هي تجمع علمي هدفها تنظيم جهود المقارنين العرب ورعاية مصالحهم العلمية وخدمة الأدب العربي والفكر أولا وأنها تعقد ملتقياتها كل عامين في بلد الجامعة المضيفة ، أما مقر الرابطة الدائم فهو جامعة عنابة .

والجدير بالذكر أن جامعة دمشق دعت إلى أن يكون الملتقى الثاني في رحاب أبهائها ، كما أن الجمعية التأسيسية انتخبت الأستاذ عبد المجيد

حنون أميناً عاما لمكتب الرابطة ، وربما يكون الأمل البعيد هو خدمة الأدب العربي وبيان تجلياته على الآداب العالمية ، ثم مدى تأثره بالآداب الأجنبية وأثر ذلك في تقديم المجتمعات العربية أو تخلفها .

جامعة عنابة (الجزائر) في ١٥ / ٧ / ١٩٨٤

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ابن حيان مؤرخ الأندلس

الأستاذ مأمون الصاغرجي

كان أبو مروان بن حيان مؤرخ الأندلس وعالمها موضوع ندوة علمية عقدت في الربـاط (٢١ ـ ٢٥ محرم ١٤٠٢ هـ / ١٩ ـ ٢٣ تشرين الثـاني ١٩٨١ م) . وقد عُنيت مجلة المناهل بنشر بحوث هذه الندوة وأفردت لها عدديها التاسع والعشرين والحادي والثلاثين .

وكنت أشرت إلى بحوث القسم الأول التي ضمتها دفتا العدد التاسع والعشرين في مجلة المجمع (مج ٦٠ ، ج ٢) .

أما بحوث القسم الثاني التي ظهرت في العدد الحادي والثلاثين من مجلة المناهل (جمادى الثانية ١٤٠٤ هـ / آذار ١٩٨٤ م) فقد أولت تاريخ الأندلس الإسلامي اهتماماً خاصاً ، إذ تناول البحث الأول الذي قدمه الأستاذ الدكتور عمر فروخ « الغرب المسلم في إطار التاريخ الإنساني » الجانبَ الحضاري الإنساني من تاريخ الغرب الإسلامي ، ووضعه في الإطار العام للتاريخ الإنساني والحضارة العالمية . كما تناول الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله في بحثه « الأندلس والمغرب وحدة أم تكامل ؟ » العلاقات بين العدوتين والعناصر المغربية الداخلة إلى الأندلس منذ الفتح وعهد المنصور بن أبي عامر إلى زمن المرابطين والموحدين ، والمهاجرين الأندلسيين إلى المغرب من وقعة الربض إلى نهاية الحكم الإسلامي في الأندلس .

ومن البحوث التي تسترعي النظر « النحو الأندلسي وابن هشام المصري » للأستاذ محمد بن تاويت ، والذي وصف بأنه أطول بحوث الندوة

(١٠٠ صفحة) ، تحدث فيه عن تاريخ النحو في الأندلس ، مقارناً بينه وبين النحو في مصر من خلال ابن هشام في كتبه الثلاثة : مغني اللبيب ، وأوضح المسالك ، وشذور الذهب .

أما بقية البحوث فهي :

- ثقافة الصقالبة ، للأستاذ محمد المنوني
- القضاء في قرطبة الإسلامية ، للدكتور محمد عبد الوهاب خلاف
- أصداء كتب خليفة بن خياط في الأندلس ، للأستاذ خوسي ماريا فورنياس
- صورة الأندلس في مؤلفات بعض الشرقيين ، للدكتورة راشيل أرييه (ترجمة الأستاذ مصطفى الضو)
- من وحي الندوة ، للدكتور عبد الله غنيم
- محاكم التفتيش الإسبانية وسراديب الموت فيها ، للدكتور عبد الرحمن علي الحجي

وختم العدد بخطاب السيد وزير الشؤون الثقافية الدكتور سعيد بن البشير .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الكتب المهداة

لمكتبة مجمع اللغة العربية

خلال الربع الثاني من عام ١٩٨٥ م

محمد مطيع الحافظ

- **منهج الإمام البخاري في علم الحديث** - د . يوسف الكتاني - الرباط ١٩٨٤ م
- **الحج على مختلف المذاهب** - (وهو منتخب من كتاب الفقه على المذاهب الخمسة للشيخ محمد جواد مغنية) - طهران ١٤٠٣ هـ
- **المرأة ، كيف عاملها الاسلام** - حسن بن عبد الله آل الشيخ - الرياض
- **في تراثنا العربي الإسلامي** - د . توفيق الطويل - الكويت ١٩٨٥
- **العرف والعمل في المذهب المالكي ومفهومها لدى علماء المغرب** - عمر بن عبد الكريم الجيدي - الرباط ١٩٨٤
- **ندوة الامام مالك إمام دار الهجرة** (دورة القاضي عياض) (١ - ٣) - وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية ، المملكة المغربية - الرباط ١٩٨٣
- **ترجمة الإمام علي بن أبي طالب** - (من تاريخ الحافظ ابن عساكر) - ١ - ٣ تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي - بيروت ١٩٨٠
- **اليوميات الليبية** - حسن الفقيه حسن - الجزء الأول - تحقيق محمد الأسطى وعمار جحيدر - طرابلس ١٩٨٤

- **أطراف بغداد** (تاريخ الاستيطان في سهول ديالي) - روبرت ماك آدمز - ترجمة د . صالح أحمد العلي ،د . علي محمد المياح ، د . عامر سليمان - بغداد ١٩٨٤
- **كشاف إحصائي زمني لسجلات المحاكم الشرعية والأوقاف الاسلامية في بلاد الشام (الجزء الأول)** - إعداد د . محمد عدنان البخيت ، نوفان رجا الحمود ، محمد أحمد اليعقوب ، سلامة صالح النعيمات ، محمود علي عطا الله - عمان ١٩٨٤ م
- **ابن الرومي** - أحمد خالد - تونس ١٩٧٧ م
- **مفتاح الراحة لأهل الفلاحة** - لمؤلف مجهول من القرن الثامن الهجري - تحقيق ودراسة د . محمد عيسى صالحية ، د . إحسان صدقي العمد - الكويت ١٩٨٤ .
- **العربية للناشئين** (منهج متكامل لغير الناطقين بالعربية) (كتاب التلميذ) ١ - ٦ - وزارة المعارف السعودية - ١٩٨٣ م
- **العربية للناشئين** (منهج متكامل لغير الناطقين بالعربية) (كتاب المعلم) ١ - ٦ - وزارة المعارف السعودية - ١٩٨٣ م
- **الشفافيات التعليمية** - مكتب التربية العربي لدول الخليج - الرياض ١٩٨١ م
- **القواعد العربية الميسرة** (١ - ٣) - د . محمود إسماعيل صيني ، د . إبراهيم يوسف السيد ، محمد الرفاعي الشيخ - الرياض ١٩٨٤ م
- **وقائع تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها** - الجزء الأول - المادة اللغوية - مكتب التربية العربي لدول الخليج - الرياض ١٩٨٣ م
- **المعينات البصرية في تعليم اللغة** - د . محمود إسماعيل صيني - عمر الصديق عبد الله - الرياض ١٩٨٤ م

- **العربية أصواتها وحروفها لغير الناطقين بها** - ناصف مصطفى عبد العزيز، مصطفى أحمد سليمان - إشراف د. محمود إسماعيل صيني - الرياض ١٩٨٢ م
- **العربية للحياة** (منهج متكامل في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها (١ - ٣) - د. محمود إسماعيل صيني، ناصف مصطفى عبد العزيز، مصطفى أحمد سليمان - الرياض ١٩٨٤ م
- **التعبير الموجه للمبتدئين من غير الناطقين بالعربية** - طه محمد محمود، إشراف د. محمود إسماعيل صيني - الرياض ١٩٨٤ م
- **القراءة الميسرة** (سلسلة في القراءة العربية لغير الناطقين بها (١ - ٢) محمد عادل شعبان، محمد الفاتح فضل الله، إشراف د. محمود إسماعيل صيني - الرياض ١٩٨٣ م
- **اتجاهات حديثة في تعليم العربية للناطقين باللغات الأخرى** - د. علي محمد القاسمي - الرياض ١٩٧٩ م
- **السجل العلمي للندوة العالمية الأولى لتعليم العربية لغير الناطقين بها** (١ - ٢) جامعة الرياض - معهد اللغة العربية - الرياض ١٩٨٠ م
- **الموسم الثقافي لمجمع اللغة العربية الأردني** - عمان ١٩٨٤ م
- **مدخل إلى اللغة الفارسية** - أحمد لوساني - بيروت ١٩٨١ م
- **مبادىء اللسانيات العامة** - أندريه مارتينية - ترجمة د. أحمد الحمو - إشراف د. عبد الرحمن الحاج صالح، د. فهد عكام. دمشق ١٩٨٥ م
- **التذكرة الفخرية** - للصاحب بهاء الدين المنشىء الإربلي - تحقيق د. نوري حمودي القيسي، د. حاتم صالح الضامن - بغداد - ١٩٨٤ م

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- **الزواج عند العرب في الجاهلية والإسلام** (دراسة مقارنة) - د . عبد السلام الترمانيني - الكويت ١٩٨٤ م

- **فائت الحلبة في أسماء الخيل المشهورة في الجاهلية والاسلام** - د . حاتم صالح الضامن - بغداد ١٩٨٣ م

- **نحو التيسير** (دراسة ونقد منهجي) - د . أحمد عبد الستار الجواري - بغداد ١٩٨٤ م

- **الموسوعة الموجزة** - المجلد السادس - ق ٢١ - حسان بدر الدين الكاتب - دمشق ١٩٨٤ م

- **السجن السياسي في الرواية العربية** - سمر روحي الفيصل - دمشق ١٩٨٣ م

- **الفهارس العربية لكتاب تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان** - الجزء الثاني - اعداد درية الخطيب - حلب ١٩٨٤ م

- **إضاءات في النقد الأدبي** - عادل الفريجات - دمشق ١٩٨٥ م

- **تساؤلات تبحث عن أجوبة** - علي سليمان - دمشق ١٩٨٤ م

- **مصطفى بن زكرى في أطوار حياته وملامح أدبه** - محمد مسعود جبران - طرابلس ١٩٨٤ م

- **د . إحسان عباس والنقد الأدبي** - (دراسة) - محيي الدين صبحي - دمشق ١٩٨٣ م

- **صناع الأدب** - (دراسة) - د . عمر الدقاق - دمشق ١٩٨٤ م

- **عبد الباسط الصوفي** ، الشاعر الرومانسي - (دراسة) - ممدوح السكاف - دمشق ١٩٨٣ م

- **صانع الأجيال** ، أناشيد المعلم العربي - وزارة التربية - دمشق ١٩٨٤ م

- **مناديل الوداع** - (شعر) عبد الكريم دندي - دمشق ١٩٨٤ م

- **احتراق عباد الشمس** - (شعر) عبد الكريم دندي - دمشق ١٩٨٤ م
- **كم يلزم من موت لنكون معاً** - (شعر) - محمد القيسي - دمشق ١٩٨٤ م
- **الجمر** - (شعر) - وفيق خنسة - دمشق ١٩٨٤ م
- **بيني وبينك خطوتان** - (شعر) - مسعود جوني - دمشق ١٩٨٤ م
- **الأسرار في مدار الهموم** - (شعر) - لؤي فؤاد الأسعد - دمشق ١٩٨٣ م
- **وهذا أنا أيضاً** - (شعر) - ممدوح عدوان - دمشق ١٩٨٤ م
- **دقات القلب** - (شعر) - بيان الصفدي - دمشق ١٩٨٤ م
- **أغنيات لقمر الطفولة** - (شعر) ميخائيل عيد - دمشق ١٩٨٤ م
- **فضاء شاسع للحب** - (شعر) - فيصل خليل - دمشق ١٩٨٤ م
- **بطيئاً يمر الدخان** - (شعر) - صالح هواري - دمشق ١٩٨٤ م
- **الكراسي في المطر** - (قصص) - سعيد جبار فرحان - دمشق ١٩٨٣ م
- **سباق في مسبح الدم** (قصص - مسرحيات) - مراد السباعي - دمشق ١٩٨٤ م
- **حماة الديار** (قصص) - ناشد سعيد - دمشق ١٩٨٤ م

ذلك النداء الطويل الطويل - (قصص فراتية) - عبد الله أبو هيف - دمشق ١٩٨٤ م

- **حرائق ودخان** - (قصص) - المصطفى اجماهري - دمشق ١٩٨٤ م
- **اعترافات جديدة لصاحب البشرة السمراء** (قصة) - محمد الصالح حرز الله - دمشق ١٩٨٤ م
- **حصار الزمن الآخر** - (قصص) - زهير حبّور - دمشق - ١٩٨٤ م
- **الفواصل** - (قصص قصيرة) - أحمد عودة - دمشق ١٩٨٤ م

- **حادثة خط الاستواء** - (مسرحية تحديثية) - د . محمد حسن عبد الله - دمشق ١٩٨٣ م
- **المخيم** (رواية) - جمال جنيد - دمشق ١٩٨٤ م
- **المغفل** (ملهاة شعرية في أربعة فصول) - عدنان مردم بك - دمشق ١٩٨٥ م
- **جودر والكنز** (مسرحية شعرية) - خالد محيي الدين البرادعي - دمشق ١٩٨٤ م
- **أبو حيان التوحيدي** (مسرحية) - خالد محيي الدين البرادعي - دمشق ١٩٨٣ م
- **ملحمة الأيام الفلسطينية** - (مسرحية وثائقية) - محمد أبو معتوق - دمشق ١٩٨٤ م
- **العفريت ووطن الطائر** - (مسرحيتان للأطفال) - خلف أحمد خلف - دمشق ١٩٨٣
- **الوجه الأسود والزوبعة** - (مسرحية) - جهاد الكاتب - دمشق ١٩٨٣ م
- **ندوة مشكلة التنمية التكنولوجية في الوطن العربي والتبعية التكنولوجية** - نظمها اتحاد مجالس البحث العلمي العربية بالاشتراك مع مركز البحوث العلمية والتطبيقية - جامعة قطر ١٩٨٢ م
- **المكرو الكترونيات** (الكترونيات الدقة) (١ - ٢) - تأليف : ي . ميللمان - نقله إلى العربية المهندس وجيه السمان - دمشق ١٩٨٤ م
- **الأمراض المشتركة بين الإنسان والحيوان** (أعمال ندوة اتحاد مجالس البحث العلمي العربية) تحرير الدكتورة جليلة مصطفى خليل - بغداد ١٩٨٥ م

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

- **تاريخ أطباء العيون العرب** (الجزء الأول) ـ د . نشأت حمارنة ـ دمشق

- **من مؤلفات ابن سينا الطبية** ، كتاب دفع المضار الكلية عن الأبدان الانسانية ـ الأرجوزة في الطب ـ كتاب الأدوية القلبية ـ دراسة وتحقيق د . محمد زهير البابا ـ حلب ١٩٨٤ م

- **محاضرات في البحث التربوي** ـ المركز العربي للبحوث التربوية لدول الخليج الكويت ـ الرياض ١٩٨٣ م

- **محاضرات في التقويم التربوي** ـ المركز العربي للبحوث التربوية لدول الخليج الكويت ـ الرياض ١٩٨٣ م

- **كشف الأسرار المخفية في علم الأجرام السماوية والرقوم الحرفية** ـ (الجزء الخامس) ـ عمر بن مسعود بن مساعد المنذري ـ عُمان ١٩٨٤ م

- **الالتزامات الخُلقية والسياسية في غزو الفضاء** ـ ندوات أكاديمية المملكة المغربية ـ الدار البيضاء ١٩٨٤ م

- **دول مجلس التعاون الخليجي ومستويات العمل الدولية** ـ د . بدرية عبد الله العوضي ـ الكويت ١٩٨٥ م

- **دليل المنظمات والهيئات الخليجية المشتركة** ـ مكتب التربية العربي لدول الخليج ـ الرياض ١٩٨٢

- **جرائم إسرائيل** ـ إصدار المركز الثقافي للجمهورية الاسلامية الايرانية بدمشق

- **فهرس المخطوطات الطبية في مكتبة الدكتور سامي إبراهيم حداد** ـ وضعه فريد سامي حداد بالاشتراك مع هانس هيزش بيتر فيلد ـ حلب ١٩٨٤ م

- **البلاغات الصادرة عن رئاسة مجلس الوزراء اعتباراً من** ١ / ١ / ١٩٨٤ وحتى ٣١ / ١٢ / ١٩٨٤ - دمشق ١٩٨٥ م

- **مجموعة قوانين وأنظمة السيارات والآليات والبلاغات والتعليمات الصادرة بشأنها** - رئاسة مجلس الوزراء - دمشق ١٩٨٤ م

- **الصحافة القطرية والقضايا العربية** - د . عاصم الدسوقي ، د . عبد الخالق لاشين ، د . عبد الرحيم عبد الرحمن ، د . عادل غنيم - الدوحة ١٩٨٤ م

- **المشكلة السكانية وخرافة المالتوسية الجديدة** - د . رمزي زكي - الكويت ١٩٨٤ م

- **إعلامات** بيبليوغرافية (عدد ٢ ، ٤ / ١٩٨٣) دار الكتب الوطنية تونس ١٩٨٤ م

- **النشرة العربية للمطبوعات** (١٩٨٢) - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - تونس ١٩٨٤ م

- **الفهرس الموحد للوثائق التربوية في مراكز التوثيق التربوي بدول الخليج العربي** - المجلد الأول - الرياض ١٤٠٣ هـ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com